




BIBLIOTHECA REGIA HAFNIENSIS

وكمل الكتاب بقراءة الشيخ عماد الدين

تبا لطالب دنيا ثني إليه انصبابه ومن هنا بقراءتي إلى آخر الكتاب سيف الدين أبو بكر عبد الله ابن عمر بن عبد الله التميمي وسمع الفقيه شرف الدين
عوض بن نصر بن شيركوه بقراءتي من قوله في المقامة الأولى تبا لطالب دنيا إلى آخر الكتاب وصح وثبت في مجالس آخرها يوم السبت
حسبما ذكر في صدر الطبقة وأجاز الشيخ كلا من المذكورين جميع ما تجوز له روايته وجميع ما له من مقول نظما ونثرا وجمعا وتأليفا
متلفظا لهم بذلك وكتب الفقير إلى الله تعالى أبي حلس أيبك بن عبد الله الأتابكي الصفدي عفا الله عنه في تاريخه فيه ملحق من السطر
ابن وابن ومخرج في الحاشية وقال الباقون سماعا وهو صحيح الحمد لله حق حمده وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلامه
وسمع الكتاب أجمع من أوله إلى آخره بقراءتي أخي إبراهيم والله الموفق بمنه وكرمه حسبنا الله ونعم الوكيل

ما ذكره الشيخ الإمام العالم رئيس البلغاء شيخ العجماء عز الدين [illegible] من القراءة والسماع والإجازة صحيح وكتب أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي مولدا الجياني محتدا عفا الله عنه

قرأ على المولى الشيخ الإمام المحدث نور الدين أبو بكر أحمد بن علي بن محمد بن أبي الفتح المنذري الحنبلي عرف بابن المقصوص
جميع كتاب المقامات للشيخ الإمام الأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الحريري رحمه الله من أوله إلى آخره في مدة
كان آخرها رابع عشر الآخرة سنة ثمان وخمسين وستمائة بالحائط الشمالي من الجامع الأموي المعمور بذكر الله وسمعه
كاملا من أوله إلى آخره ولداي المجلان أبو عبد الله وأبو بكر وسمعه بفوت المقامة التاسعة والأربعين وبعض المقامة
الخمسين فتاي اسنبغا بن عبد الله الزكي وسمع المقامة الأربعين وما بعدها إلى آخر الثالثة والأربعين فتاي
طغاي بن عبد الله [illegible] وسمع في أماكن متفرقة منه المولى الشيخ الإمام الفاضل المحدث الفصيح البليغ عماد الدين
أبو بكر بن أحمد بن أبي الفتح بن إدريس الشافعي عرف بابن السراج وسمع ذلك كاملا الشيخ الفاضل الصالح الزاهد
البركة تاج الدين علي بن محمود بن أحمد القزويني الشافعي وسمع من أول الكتاب إلى آخر المقامة الأولى ومن أول
المقامة الرابعة إلى آخر المقامة الثانية عشرة المولى الفاضل الصدر الرئيس الأصيل صدر الدين أبو الطيب أحمد بن الشيخ الإمام
العلامة بهاء الدين عبد الله محمد بن علي الشافعي عرف بابن إمام المشهد وسمع بعض هذا القدر المذكور أخواه ابنا الشيخ كمال الدين
محمد وعلاء الدين علي وسمع المقامة التاسعة والأربعين والخمسين كاملتين المولى القاضي الرئيس الماجد بهاء الدين الخضر بن يوسف بن
الحلبي وقد رويت هذا الكتاب لهم بأسانيدي الثلاثة إلى الحريري رحمه الله على ما هو مثبت بهذه النسخة وأجزتها لهم
ولأبيه للشيخ عبد اللطيف ورواية ما يجوز لي تسميعه بشرطه المعتبر وكتب أيبك بن عبد الله الصفدي عفا الله عنه
حامدا الله تعالى ومصليا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الله الموفق

قرأ على المولى الصدر الكبير الرئيس العالم الكامل البليغ الأديب الرئيس الفاضل المتقن

المجيد نظماً ونثراً المحسن في كل ما يأتي به من الانواع الادبية بديهةً وفكراً

عز الدين خليل الامير غازي ابن الابكي نفعه الله بالعلم ونفع به فيه جميع كتاب المقامات

الحريرية قراءة دلت على تمكنه من علم الآداب واستدلوا على ابراز عقائل المعاني

المستكنة في خدور الخواطر مجلوة لعيان الاعيان وانه استشف اشعة

مقاصدها بفكره المتقد وفرق بين فهم مرادها بخاطره المنتقد فما حاد

مكانا الا واحسن الكلام في خفيفه وتحاوره ولا تعدى بيانا الا واجمل الاتقان

في تردد البلاغة بين بسط القول فيه والمجاز وروايته له عن الشيخ الامام العلامة

سنوح الادب في عصره مجد الدين محمد بن الشيخ ظهير الدين احمد بن علي شاكر الحنفي الاربلي بن السحب سلمه الله

ابي عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين وعن عبد الصمد بن ... كامل الاربلي عن ... بركات ... الخشوعي

قال اخبرنا الحريري اجازة وعنهما عن ابي ... التنوخي قالوا جميعا اخبرنا ... وقال

اخبرنا عبد الله ولد المصنف ... وكتبتها ... المنتهى ذكره

وذلك في مجالس آخرها يوم الثلثاء ثاني عشر المحرم سنة اربع وعشرين
وسبع مائة احسن الله خاتمتها واذنت له ان يرويها عني بالسند المذكور
وكذلك رواية جميع ما لي من نظم ونثر وتاليف ومسموع واجازة وكتبه العبد الفقير الى
الله تعالى محمود بن سلمان بن فهد الحلبي الكاتب حامدا لله تعالى ومصليا على
سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وسلم

الله الموفق

الحمد لله

قرأت جميع كتاب المقامات من اوله الى آخره على الشيخ الامام العالم العامل الزاهد الورع الحافظ المقرئ
المحدث الاصولي الفقيه النحوي اللغوي الاديب المحقق كشاف اسرار الفضائل محقق اقوال الاوائل مظهر
نكت الدقائق مبدع جوامع الحقائق ابي الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي بن الصباد المالكي المغربي الوارد الى
الشام المحروس في سنة ست وعشرين وستمائة لا زالت رياض العلوم ببدايع بدايعه زاهية زاهرة وابكار الافكار لذوي
النهى في مشاهد المشاهد سافرة وخفايا الخبايا من الاقوال الغامضة اذا اشار البنان ببيانه ظاهرة
وسمع بعضها اخي ابرهيم واجاز لنا رواية اجمع عنه بحق قراءتي عليه ورواه لي عن الشيخ ابي بكر محمد بن ابي بكر اللخمي الاشبيلي
قراءة عليه وهو يسمع ورواه له عن الشيخ ابي علي عمر بن محمد الشلوبيني قال اخبرنا القاضي المدرس الامام ابو جعفر احمد بن علي بن
ابن حجور قراءة على المولف رحمه الله ورواه لي ايضا عن الشيخ جمال الدين يعقوب بن يوسف بن موسى المحياني قال اخبرنا الشيخ
علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد السخاوي قال اخبرنا ابو طاهر بركات الخشوعي اجازة عن المولف رحمه الله وقرات عليه الرسالتين
المنسوبتين الى الحريري وهما السينية والشينية في عرض المجلد واجاز لنا روايتهما عنه بالسند المذكور المتصل بابن حجور
وكتب العبد الفقير الى الله تعالى خليل بن ايبك الشافعي في عشر المحرم المعظم سنة ست وعشرين وسبعمائة بصفد المحروسة

الوحيد [illegible] الدهر الكبير الاديب الاصيل الكامل اللبيب المتقن
نظما ونثرا المعجز بديهة وفكرا علم البلاغة والتسهيل عز الدين ابو محمد
خليل صح على ما سطره وثابت على ما كتبه [illegible] وكتب مملوكه
المولى العفو عمر بن عبد الرحمن [illegible] في تاريخه المورخ
والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

للقمر عشرة اسماء

القمر والباهر والبدر والزبرقان والسمار والطوس والجلم والغاسق والمتسق والوباص ودارة

[illegible] في القرآن العظيم اعمال ما اعمال ليس في ثلاثة مواطن احدها قوله ما هذا بشرا والثاني ما هن امهاتهم والثالث فما منكم من احد عنه حاجزين قال وزعم بعضهم ان حاجزين صفة لاحد وليس بشيء اذ الصفة مستغنى عنها والخبر محط الفائدة

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

فائدة

لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية فمتى جاءتا في كلمة فاعلم انها معربة من ذلك الجلوبق وجرندق ولا تجتمع الصاد والجيم ايضا في كلمة عربية من ذلك الجص والصنج والصولجان وليس في اصول ابنية العرب اسم فيه نون بعدها راء فاذا وجد فاعلم انه معرب نحو نرجس ونرس ونورج ونرسيان ونرجه وليس في كلامهم زاي بعد دال الا دخيل من ذلك الهندز والمهندز وابدلوا الزاي سينا فقالوا المهندس واعلم ان احذر الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين فاذا جاء ذلك في كلمة فهي دخيل فاما امثلة العرب فاحسنها ما بني من الحروف المتباعدة المخارج واخف الحروف حروف الذلاقة وهي ستة ثلاثة من طرف اللسان وهي الراء واللام والنون وثلاثة من الشفتين وهي الفاء والباء والميم وهذه لا تخلو الرباعي والخماسي منها الا ما كان من عسجد لمشابهة السين النون للصفير الذي فيها والغنة التي في النون فاذا وجد مثال رباعي او خماسي بغير حرف او حرفين من حروف الذلاقة فاعلم انه ليس من كلام العرب عجش وحضاج والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله على أفضاله والصلاة على سيدنا محمد وآله فقد قرأت جميع كتاب المقامات
الحريرية من أوله إلى آخره في ثلاثة مجالس آخرها يوم السبت ثاني المحرم سنة عشرين وسبعمائة بالجامع الأقمر القاهرة المعزية على الشيخ الإمام
العالم العلامة الحافظ حجة العرب لسان الأدب فريد عصره نسيج وحده أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الجياني
النفزي أدام الله فوائده ووضع في جبهة الزمن فرائده وأخبرنا به قال أنا الشيخ الإمام المقرئ الصالح أبو محمد عبد النصير بن علي
ابن يحيى الهمداني المريوطي والإمام العالم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن باخل بن عبد الله بن أحمد الهكاري قال المريوطي أنا أبو عبد الله محمد بن عماد
الحراني قراءة مني عليه وقال ابن باخل أنا أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي سماعا قالا أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن
أحمد بن النقور سماعا قال شيخنا أثير الدين أبو حيان وأنا القاضي أبو علي بن أبي الأحوص القرشي سماعا عليه للخطبة والمقامتين
اللتين تليانها ومناولة لجميعها أنا الحافظ أبو الربيع بن سالم سماعا عليه أنا الحافظ أبو القسم بن حبيش سماعا أنا أبو الحجاج
يوسف بن علي الأندي القضاعي ح وأنا أبو علي أيضا أنا الحاج الأديب أبو الحجاج يوسف بن أحمد الرعيني قراءة عليه
وأبو العباس أحمد بن محمد بن عياش الكناني سماعا عليه قالا أنا أبو طاهر بركات الخشوعي قال الرعيني قراءة عليه وقال
ابن عياش سماعا ح وأخبرنا أبو المظفر يوسف بن محمد البابي في كتابه إلي من بغداد أنا أحمد بن صالح السيبي
العسيني أنا صدقة بن مصدق الماهوشي الشاعر عرف بابن الزبيني ح وأخبرنا عاليا أبو الحسن علي بن أحمد
المقدسي عن الخشوعي قال ابن النقور والقضاعي وابن الزبيني والخشوعي أنا الحريري قال الخشوعي إجازة
وعارضني عند القراءة على الشيخ جماعة بنسخ صحيحة موثوق بها قريبا من اثنتي عشرة نسخة وعلى أحدهن خط الحريري
ووقع في أثناء القراءة من الشيخ فوائد جمة ومن الجماعة الآتي ذكرهم مباحث عديدة وسمع بقراءتي كل من الموالي السادة
الشيخ الإمام العالم القاضي عز الدين عبد العزيز بن مولانا قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني وولده عمر
والشيخ الإمام العالم سراج الدين عبد اللطيف بن شهاب الدين أحمد بن محمود بن الكويك وولداه عز الدين أبو اليمن محمد وفخر الدين
أبو جعفر محمد ومعتق والدهما الطواشي محسن ومؤدبهما نجم الدين عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب الشبراسنبوني م
والشيخ الإمام العالم عماد الدين أبو بكر محمد بن علي بن حرمي الدمياطي والشيخ الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد المعز العجلي
وجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنائي وشهاب الدين أحمد بن أيبك بن عبد الله الدمياطي وتاج الدين أبو بكر محمد بن [illegible] العباس
أحمد بن [illegible] عرف بابن البلج ومحيي الدين محمد بن جمال الدين محمد بن إسماعيل الإسنائي ومحيي الدين يحيى بن جعفر بن الحسن الإسنائي
ونجم الدين عيسى بن أحمد بن يوسف الطوفي الضرير وشرف الدين محمد بن عمر بن لقمان الغالبي والخطيب جمال الدين محمد بن كمال الدين علي بن
يوسف الإسنائي وعلم الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن عبد العليم الأصفوني وسمع بفوت من قراءتي وأعيد له
بقراءة الشيخ الإمام عماد الدين أبي بكر محمد بن علي بن حرمي الدمياطي من أوله إلى آخر المقامة السابعة فخر الدين عثمان بن عمر بن منصور
الخضري وزين الدين أبو بكر عمر بن علي البالسي وتقي الدين زكريا بن محمد بن [illegible] البلبيسي وسمع بالقراءة من أول الخطبة إلى قوله في المقامة

الأولى

قرأ المولى الشيخ الامام العالم الفاضل البليغ المفوه اللسن الضابط البارع المحدث عماد الدين ابو بكر بن احمد بن ابي الفتح
بن ادريس بن السراج الشافعي ادام الله افادته على المولى القاضي الجليل الكبير النبيل الاصيل امين الدين جمال الاسلام رئيس الشام
فخر الانام سليل الاكابر يمين الملوك والسلاطين ولي امير المؤمنين ابي عبد الله محمد بن القاضي الرئيس الكبير محيي الدين محمد بن محمد التميمي بن القلانسي
وكيل بيت المال المعمور وموقع الدست الشريف بالشام المحروس بطاه الله ظله جميع كتاب المقامات الحريرية رحمه الله مصنفها من اوله
الى آخره في عشرة مجالس كل خمس مقامات ميعاد بالحائط الشمالي من الجامع الاموي بمقصورة الحديثة في مدة كان آخرها تاسع عشر
شهر رجب الفرد سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بحق قراءة المشار اليه لجميع الكتاب على شيخنا الامام العلامة شيخ اهل الانشاء شهاب الدين
ابي الثناء محمود بن سلمان بن فهد بسنده فيها الى الحريري حسبما كتب به خطه في هذه النسخة وعلى الشيخ الامام العالم
الفاضل الحافظ المحدث الفقيه الاديب جمال الدين ابي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد العقيلي السرمري الحنبلي ادام الله فوائده
بحق سماعه لها على الشيخ الامام تقي الدين ابي الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي وبحق قراءته لها على الشيخ الامام الفقيه
تقي الدين ابي البدر محمد بن ابرهيم بن عمر الخالدي سنة خمس وثلثين وستمائة قال الاول انا الشيخ ابو عبد الله محمد بن يعقوب بن ابي الفتح
بن ابي الدينة انا الشيخ الامام القاضي ابو طاهر بركات بن ابرهيم الخشوعي اجازة انا المؤلف رحمه الله وقال الثاني
انا ابو عبد الله محمد بن ابي الدينة عن الخشوعي عن المصنف رحمه الله وعلى ايضا بحق قراءتي لها على شيخنا
العلامة ابي الثناء محمود بسنده المثبت في هذه النسخة بخطه الى المصنف وبقراءتي لها على الشيخ الامام العلامة المفتي
ابي الحسن علي بن عتيق بن عبد الرحيم بن الصياد الفاسي المالكي بسنده الى المصنف المكتتب بخطي في هذه النسخة
وبقراءتي لها ايضا على شيخنا الامام العلامة الحافظ حجة العرب اثير الدين ابي حيان محمد بن يوسف بن علي الغرناطي
الجياني تغمده الله برحمته باسانيده المكتتبة بخطي فيها الى المصنف رحمه الله وسمع جميع الكتاب من اوله
الى آخره الولدان النجيبان امين الدين محمد ولد القارئ وبرهان الدين ابرهيم ولد الشيخ الحافظ جمال الدين المظفر السرمري
المسمع والمولى الشيخ الامام جمال الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الحنبلي والشيخ الامام المحدث نور الدين ابو بكر احمد بن علي بن محمد
بن ابي الفتح المنذري الحنفي والشيخ الفاضل الصالح تاج الدين علي بن عمر بن احمد القزويني الشافعي والشيخ الصالح علاء الدين
علي بن عثمان بن محمود التركماني المصري فتى الصوفي وولده النجيب محمد وسمع الميعاد الاول والسابع المولى الشيخ
الامام العلامة المفتي المحدث الفقيه الاصولي النحوي جمال الدين ابو المحاسن يوسف ابن الشيخ الامام العلامة اقضى القضاة
شرف الدين احمد ابن الشيخ الامام المقرئ الحسين الكفري الحنفي ادام الله فوائده وسمع الميعاد السابع فقط المولى الشيخ الامام الفاضل
امين الدين رسول الرحال احمد بن محمد بن بابا العباسي السرخاني الشافعي وسمع الاول والتاسع المولى الشيخ الامام الفاضل بهاء الدين
الحسن علي بن ابي بكر محمد بن ابي الخير الموصلي الحنبلي شيخ دار الحديث النعيمية وسمع ولده المولى الشيخ الامام الفاضل العالم

على الموصلي الحنبلي الميعاد الأول فقط وسمع الميعاد الثالث المولى القاضي الرئيس الفاضل الكاتب المنشي نجم الدين أبو العباس
أحمد بن الشيخ الإمام علاء الدين علي بن محمد بن غانم كاتب الإنشاء الشريف بالمحروسة وسمع الميعاد الأول والثاني والثالث
المولى الفاضل الشيخ زين الدين موسى بن ماجد المصري الحنفي قاضي داريا وسمع الميعاد الثالث وما بعده
خلا الميعاد السابع والثامن الشيخ تقي الدين عبد الرحمن بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن بن علي بن لؤلؤ الواعظ البغدادي وسمع
الميعاد الرابع المولى صفي الدين أبو الطيب أحمد بن المولى الشيخ الإمام العلامة بهاء الدين محمد بن علي إمام المشهد ... وأخوه لأبيه
كمال الدين محمد وسمع المولى الشيخ الإمام الفاضل البليغ اللسن المفوه
الحافظ شمس الدين أبو العباس محمد بن موسى بن محمد بن سند بن تميم اللخمي وسمع الميعاد الخامس وما بعده إلى آخره خلا الميعاد
التاسع والعاشر بفوات بعضهما الشيخ الفقيه شهاب الدين أحمد بن رضوان بن عيسى الجعبري الحنفي وسمع الميعاد الخامس
وما بعده إلى آخره وبيده نسخة يقابل بها شمس الدين محمد بن جبريل بن محمد العدراني ... وسمع جميعا ولداي المحدثان
أبو عبد الله وأبو بكر وفتاي أسن بغا بن عبد الله الركني وسمع الميعاد الثالث طغاي بن عبد الله التجاني فتاي وسمع الميعاد
الأول وبعض الميعاد الآخر المولى القاضي الصدر الرئيس بهاء الدين الخضر بن يوسف بن إبراهيم الحلبي وسمع الميعاد الأخير
القاضي الرئيس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي الغزي وآخرون لم يتحرر كان سماعهم وأجاز الشيخان
المشار إليهما وأنا كلا من المذكورين رواية هذا الكتاب ورواية ما يجوز لنا تسميعه بشرطه المعتبر عند أهل الأثر

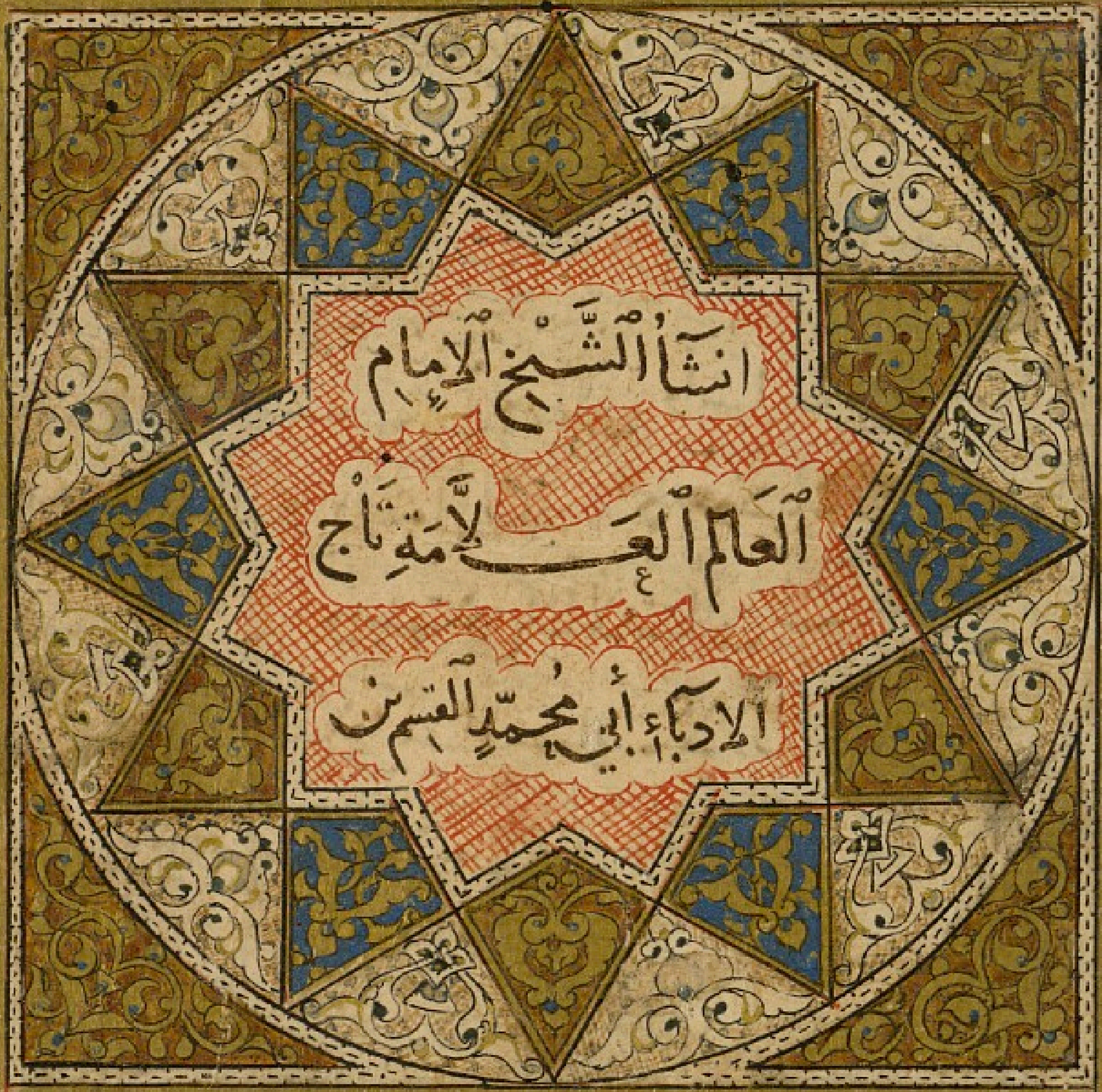
وكتب خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي الشافعي عفا الله عنه
حامدا لله تعالى ومصليا على نبيه محمد ومسلما

ملكه الفقير إلى لطف الله الغني
عبد الله ابن أحمد الشارخ
الزبيري بلدا والحنبلي
مذهبا غفر الله
له ولوالديه
والمسلمين
آمين

قال الامام احمد بن محمد بن المظفر

كتاب مقامات الحريري آية | وصاحبه ابدى به كل معجز
دليل على منواله النسج ناسج | تناهيك من بحر حلال مجوز
واوضح برهان الابانة ناصر | غوامضه اعجب به من مبرز
اراه حريرا فالحريري حاكه | نطرزه الشيخ الامام المطرزي

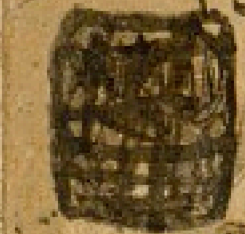
كتاب المقامات



بن علي الحريري









بسم الله الرحمن الرحيم ربّ أعِنْ

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القسم

ابن علي بن محمد بن عثمن البصري

الحريري رحمه الله تعالى

اللهم إنا نحمدك على ما علّمت من البيان، وألهمت من التبيان،
كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء، وأسبلت من الغطاء، ونعوذ
بك من شرة اللسن، وفضول الهذر، كما نعوذ بك من معرة اللكن
وفضوح الحصر، ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء
المسامح، كما نستكفي بك الانتصاب لإزراء القادح وهتك الفاضح
ونستغفرك من سوق الشهوات إلى سوق الشبهات، كما نستغفرك
من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات، ونستوهب منك توفيقا
قائدا إلى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق، ولسانا متحليا بالصدق
ونطقا مؤيدا بالحجة، وإصابة ذائدة عن الزيغ، وعزيمة قاهرة
هوى النفس، وبصيرة ندرك بها عرفان القدر، وأن تسعدنا
بالهداية إلى الدراية، وتعضدنا بالإعانة على الإبانة، وتعصمنا من

الغواية

بيان
ان هذه النسخة النفيسة
العلمية العالية بما فيها
من حواشي وشروح وغير
ذلك كلها بخط العالم
الكامل الاديب خليل
بن ايبك بن عبد الله
الصفدي من علماء القرن
الثامن وقد قرأه عليه
جماعة من العلماء وله اليهم
الاجازة وقد فرغ من
الكتابة سنة احدى عشر و
وسبعمائة وفرغ من تكميله

الغواية في الرواية • وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة • حتى نأمن
حصايد الالسنة • ونكفى غوايل الزخرفة • فلا نرد مورد مأثم
ولا نقف موقف مندم • ولا نرهق بتبعة ولا معتبة • ولا نلجا الى
معذرة عن بادرة • اللهم فحقق لنا هذه المنية • وانلنا هذه
البغية • ولا تضحنا عن ظلك السابغ • ولا تجعلنا مضغة للماضغ • فقد
مددنا اليك يد المسلة • وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة
واستنزلنا كرمك الجم • ومنك الذي عم • بضراعة الطلب وبضاعة
الامل • ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر • والشفيع المشفع في المحشر
الذي ختمت به النبيين • واعليت درجته في عليين • ووصفته في
كتابك المبين • فقلت وانت اصدق القايلين • وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين • اللهم فصل عليه وعلى اله الهادين • واصحابه الذين
شادوا الدين • واجعلنا لهديه وهديهم متبعين • وانفعنا بمحبته
ومحبتهم اجمعين • انك على كل شي قدير • وبالاجابة جدير
وبعد فانه جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في
هذا العصر ريحه • وخبت مصابيحه • ذكر المقامات التي ابتدعها
بديع الزمان • وعلامة همذان • وعزا الى ابي الفتح الاسكندري
نشأتها • والى عيسى بن هشام روايتها • وكلاهما مجهول لا يعرف • ونكرة

لا تُعرف، فأشار من إشارته حُكم، وطاعته غُنم، إلى أن أُنشئ
مقامات أتلو فيها تلو البديع، وإن لم يُدرك الظالع شأو الضليع، فذاكرته
بما قيل فيمن ألّف بين كلمتين، ونظم بيتاً أو بيتين، واستقلّ من هذا
المقام الذي فيه يحار الفهم، ويفرط الوهم، ويُسبر غور العقل
وتبين قيمة المرء، ويُضطرّ صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل، أو جالب
رَجْل وخيل، وقلّما يسلم مكثار، أو أُقيل له عثار، فلمّا لم يُسعف
بالإقالة، ولا أُعفي من المقالة، لبّيت دعوته تلبية المطيع، وبذلت
في مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أُعانيه من قريحة
جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة، وهموم ناصبة، خمسين
مقامة تحتوي على جدّ القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغُرر
البيان ودُرره، ومُلح الأدب ونوادره، إلى ما وشّحتها به من الآيات
ومحاسن الكنايات، ورصّعته فيها من الأمثال العربية، واللطائف
الأدبية، والأحاجي النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل
المبتكرة، والخطب المحبّرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية
مما أمليت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته
إلى الحرث بن همام البصري، وما قصدت بالإحماض فيه، إلا تنشيط
قارئيه، وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا

بيتين

بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين توأمين
ضمنتهما خاتمة المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي
بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى إلا
بدلالته ولله القائل

... النفس قبل الندم
... الفضل للمتقدم

... والذي توردته
... ـته فأحق
... وهم يحسبون
... ـن المتعاني ونحو
... أو ذي عمد
... ـناهي الشرع
... إلى الأصول
... تلك الموضوعات
... ـه عن تلك الحكايات

مقامات وإن خيف أنفه إذا ما
من غير ضرب ولا قتل الظاء للا
والشاة والظبي ما مشي على مثل
للغرس اللحث عن حتفه هذا
يضرب لمن يسعى في هلاك نفسه وأ
أن رجلا وجد كبشا وكان و
من له فيما هو في دنياد شي
إذ ضرب الكبش بيده الأرض فأخرج
تحت الأرض سكينا فأخذه ا
وذبح الكبش قال الشا
وكنت كعنز السوء قامت لحتفها
تحت الثرى تستثيرها

قال ابن الخشاب الجريري بما ساقه في هذا الفصل من كلامه غالط أو متغالط إذ كان ما احتج به من الموضوعات على ألسنة العجماوات والجمادات
لا يشبه ما أخذ فيه من ذكر الحارث بن همام لأن ما ذكر من ذلك في كتاب كليلة ودمنة أو حكايات أخر إنما هي موضوعة وضع الأمثال لتفيد الحزم والتيقظ
لأخي الغفلة فإذا أخبر بها مخبر لم تلتبس بصدق وعلم المقصود بديهة والإخبار عن السروجي يمكن أن يكون مثله وإن لم يكن ذلك فهو كذب لا محالة
لو كان الكذب الذي يلتبس بالصدق جائزا لجاز ابن الخشاب بهذا التقسيم فإنه لو لعصابات البتة جائزا والمرء الكذب منهي عنه شرعا ومستقبح طبعا ...

لا تُعرف • فأشار من إشارته حُكم • وطاعته غُنم • إلى أن أُنشئ
مقامات أتلو فيها تلو البديع • وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع • فذاكرته
بما قيل فيمن ألّف بين كلمتين • ونظم بيتاً أو بيتين • واستقلت من هذا
المقام الذي فيه يحار الفهم • ويفرط الوهم • ويُسبر غور العقل
وتبين قيمة المرء • ويُضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل • أو جالب
رجل وخيل • وقلما سلم مكثار • أو أُقيل له عثار • فلما لم يُسعف
بالإقالة • ولا
لي مطاوعته
جامدة وفطنة
مقامة تحتوي
البيان ودرر
ومحاسن الكناية
الأدبية • و
المتكنّي و
مما أمليت جميع
إلى الحرث بن همام
قارئيه • وتكثير

بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية • وآخرين توأمين
ضمنتهما خاتمة المقامة الكرجية • وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره
ومقتضب حلوه ومره • هذا مع اعترافي بأن البديع رحمه الله سباق
غايات • وصاحب آيات • وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة • ولو أوتي
بلاغة قدامة • لا يغترف إلا من فضالته • ولا يسري ذلك المسرى إلا
بدلالته • ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو أن لا أكون في هذا الهذر الذي أوردته • والمورد الذي توردته
كالباحث عن حتفه بظلفه • والجادع مارن أنفه بكفه • فألحق
بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
أنهم يحسنون صنعا • على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي • ونضح
عني المحب المحابي • لا أكاد أخلص من غمر جاهل • أو ذي غمر
متجاهل • يضع مني لهذا الوضع • ويندد بأنه من مناهي الشرع
ومن نظر بعين المعقول • وحقق النظر في مباني الأصول •
نظم هذه المقامات في سلك الإفادات • وسلكها مسلك الموضوعات
عن العجماوات والجمادات • ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات

قال ابن الخشاب الحريري بما ساقه في هذا الفصل من كلامه غالط أو مغالط إذ كان ما احتج به من الموضوعات على ألسنة العجماوات والجماد لا يشبه ما أخذ فيه من ذكر الحارث بن همام لأن ما ذكر من ذلك في كتاب كليلة ودمنة أو حكايات أخر إنما هي موضوعة وضع الأمثال لتفيد الحزم والتيقظ لأخي الغفلة فإذا أخبر بها مخبر لم تلتبس بصدق وعلم المقصود بديهة والإخبار عن السروجي يمكن أن يكون مثله وإن لم يكن ذلك فهو كذب لا محالة لو كان الكذب الذي يلتبس بالصدق جائزا لعاد ابن الخشاب بهذا التقسيم فإن أولهما ... جائزا وللأمر الكذب منهي عنه شرعا ...

أو أثمّ رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا كانت الأعمال بالنيات
وبها انعقاد العقود الدينيات فأي حرج على من أنشأ ملحاً للتنبيه
لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك إلا
بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى صراط مستقيم
على أني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا عليّ ولا ليا
وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد إلى ما
يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به عليه
توكلت وإليه أنيب



المقامة الأولى الصنعانية

حدث الحرث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني
المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن
فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد
في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في
حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي
وروحاتي كريماً أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو
أديباً تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة

المطاف

المطاف وهدتني فاتحة الالطاف الي نادٍ رحيب محتوٍ علي زحام
ونحيب فولجت غابة الجمع لاسبر مجلبة الدمع فرأيت في بهرة
الحلقة شخصا شخت الخلقة عليه اهبة السياحة وله رنة
النياحة وهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع
بزواجر وعظه وقد احاطت به اخلاط الزمر احاطة الهالة
بالقمر والاكمام بالثمر فدلفت اليه لاقتبس من فوايده والتقط
من فرايده فسمعته يقول حين خبّ في مجاله وهدرت شقاشق ارتجاله
ايها السادر في غلوايه السادل ثوب خيلايه الجامح في
جهالاته الجانح الي خزعبلاته الي م تستمر علي غيك
وتستمري مرعي بغيك وحتي م تتناهي في زهوك ولا تنتهي عن
لهوك تبارز بمعصيتك مالك ناصيتك وتجتري بقبح سيرتك
علي عالم سريرتك وتتواري عن قريبك وانت بمرأي رقيبك وتستخفي
من مملوكك وما تخفي خافية علي مليكك اتظن ان ستنفعك
حالك اذا آن ارتحالك او ينقذك مالك حين توبقك اعمالك
او يغني عنك ندمك اذا زلت قدمك او يعطف عليك معشرك
يوم يضمك محشرك هلا انتهجت محجة اهتدايك وعجلت معالجة
دايك وفللت شباة اعتدايك وقدعت نفسك فهي اكبر اعدايك

أما الحِمامُ ميعادُك فما إعدادُك وبالمشيبِ إنذارُك فما أعذارُك
وفي اللحدِ مقيلُك فما قيلُك والى اللهِ مصيرُك فمن نصيرُك طالما
أيقظك الدهرُ فتناعستَ وجذبك الوعظُ فتقاعستَ وتجلّت
لك العِبَرُ فتعاميتَ وحصحصَ لك الحقُّ فتماريتَ وأذكرك الموتُ
فتناسيتَ وأمكنك أن تواسي فما واسيتَ تؤثرُ فلسًا توعيهِ
على ذكرٍ تعيهِ وتختارُ قصرًا تُعليهِ على برٍّ توليهِ وترغبُ
عن هادٍ تستهديهِ الى زادٍ تستهديهِ وتُغلِّبُ حبَّ ثوبٍ تشتهيهِ
على ثوابٍ تشتريهِ يواقيتُ الصِّلاتِ أعلقُ بقلبك من مواقيتِ الصلوةِ
ومغالاةُ الصَّدُقاتِ آثرُ عندك من موالاةِ الصدقاتِ وصحافُ
الألوانِ أشهى اليك من صحائفِ الأديانِ ودعابةُ الأقرانِ آنسُ
لك من تلاوةِ القرآنِ تأمرُ بالعرفِ وتنتهكُ حماهُ وتحمي عن
النكرِ ولا تتحاماهُ وتزحزحُ عن الظلمِ ثم تغشاهُ وتخشى
الناسَ واللهُ أحقُّ أن تخشاهُ ثم أنشد

تبًّا لطالبِ دنيا ثنى اليها انصبابَه
ما يستفيقُ غرامًا بها وفرطَ صبابه
ولو درى لكفاهُ مما يرومُ صُبابه

ثم إنه لبّدَ عجاجتَه وغيّضَ مجاجتَه واعتضدَ شكوتَه وتأبّطَ

هراوته فلما رأت الجماعة الى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة
مركزه أدخل كل منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه
وقال اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم مغضيا
وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم مهيعه
ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحرث بن همام فاتبعته
من حيث لا يراني حتى انتهى الى مغارة فانساب فيها على غرارة
فأمهلته ريثما خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته
مجاذيا لتلميذ على خبز سميذ وجدي حنيذ وقبالتهما خابية
نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذاك خبرك وهذا مخبرك فزفر
زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ ولم يزل يحملق الي حتى
خفت أن يسطو علي فلما أن خبت ناره وتوارى أواره أنشد

لبست الخميصة أبغي الخبيصه ... وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة ... أريغ القنيص به والقنيصه
وألجاني الدهر حتى ولجت ... بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ... ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد ... يدنس عرضي نفس حريصه
ولو أنصف الدهر في حكمه ... لما ملك الحكم أهل النقيصه

ثُمَّ قَالَ لِي اُدْنُ فَكُلْ وَاِنْ شِئْتَ فَقُمْ وَقُلْ فَالْتَفَتُّ اِلَى تِلْمِيذِهِ وَقُلْتُ عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الْأَذَى لَتُخْبِرَنِّي مَنْ ذَا فَقَالَ هَذَا اَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِيُّ سِرَاجُ الْغُرَبَاءِ وَتَاجُ الْاُدَبَاءِ فَانْصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ اَتَيْتُ وَقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِمَّا رَأَيْتُ

اَلْمَقَامَةُ الثَّانِيَةُ (الحلوانية)

بلغت مقابلة وتصحيحا

حَكَى الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ كَلِفْتُ مُذْ مِيطَتْ عَنِّي التَّمَائِمُ وَنِيطَتْ بِيَ الْعَمَائِمُ بِاَنْ اَغْشَى مَعَانَ الْاَدَبِ وَاُنْضِيَ اِلَيْهِ رِكَابَ الطَّلَبِ لِأَعْلَقَ مِنْهُ بِمَا يَكُونُ لِي زِينَةً بَيْنَ الْاَنَامِ وَمُزْنَةً عِنْدَ الْاُوَامِ وَكُنْتُ لِفَرْطِ اللَّهَجِ بِاقْتِبَاسِهِ وَالطَّمَعِ فِي تَقَمُّصِ لِبَاسِهِ اُبَاحِثُ كُلَّ مَنْ قَلَّ وَجَلَّ وَاَسْتَسْقِي الْوَبْلَ وَالطَّلَّ وَاَتَعَلَّلُ بِعَسَى وَلَعَلَّ فَلَمَّا حَلَلْتُ حُلْوَانَ وَقَدْ بَلَوْتُ الْاِخْوَانَ وَسَبَرْتُ الْاَوْزَانَ وَخَبَرْتُ مَا شَانَ وَزَانَ اَلْفَيْتُ بِهَا اَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ يَتَقَلَّبُ فِي قَوَالِبِ الْاِنْتِسَابِ وَيَخْبِطُ فِي اَسَالِيبِ الْاِكْتِسَابِ فَيَدَّعِي تَارَةً اَنَّهُ مِنْ آلِ سَاسَانَ وَيَعْتَزِي مَرَّةً اِلَى اَقْيَالِ غَسَّانَ وَيَبْرُزُ طَوْرًا فِي شِعَارِ الشُّعَرَاءِ وَيَلْبَسُ حِينًا كِبْرَ الْكُبَرَاءِ بَيْدَ اَنَّهُ مَعَ تَلَوُّنِ

حاله وتبين محاله يتحلى برواء وروايه ومداراة ودرايه وبلاغة رائعه وبديهة مطاوعه وآداب بارعه وقدم لأعلام العلوم فارعه وكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته ولسعة روايته يصبى إلى رؤيته ولخلابة عارضته يرغب عن معارضته ولعذوبة إيراده يسعف بمراده فتعلقت بأهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته

فكنت به أجلو همومي وأجتلي زماني طلق الوجه ملتمع الضيا
أرى قربه قربى ومغناه غنية ورؤيته ريا ومحياه لي حيا

ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي في كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبي شبهة إلى أن جدجد له الإملاق كابن الفراق وأغراه عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الأرفاق إلى مغاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق خفوق راية الإخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بأزمته

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند ند لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله

واستسر عني حينا لا أعرف له عرينا ولا أجد عنه مبينا فلما أبت من غربتي إلى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية كثة وهيئة

رَثَّةٍ فَسَلَّمَ عَلَى الجُلَّاسِ وَجَلَسَ فِي أُخْرَيَاتِ النَّاسِ ثُمَّ أَخَذَ
يُبْدِي مَا فِي وِطَابِهِ وَيُعْجِبُ الحَاضِرِينَ بِفَصْلِ خِطَابِهِ فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ مَا
الكِتَابُ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ فَقَالَ دِيوَانُ أَبِي عُبَادَةَ المَشْهُودِ لَهُ بِالإِجَادَةِ
فَقَالَ هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيمَا لَمَحْتَهُ عَلَى بَدِيعٍ اسْتَمْلَحْتَهُ فَقَالَ نَعَمْ قَوْلُهُ

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ

فَإِنَّهُ أَبْدَعَ فِي التَّشْبِيهِ المُودَعِ فِيهِ فَقَالَ يَا لَلْعَجَبِ وَلِضَيْعَةِ الأَدَبِ
يَا هَذَا لَقَدِ اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرَمٍ وَنَفَخْتَ فِي غَيْرِ ضَرَمٍ أَيْنَ أَنْتَ عَنِ
البَيْتِ النَّادِرِ الجَامِعِ مُشَبَّهَاتِ الثَّغْرِ وَأَنْشَدَ

نَفْسِي الفِدَاءُ لِثَغْرٍ رَاقَ مَبْسِمُهُ وَزَانَهُ شَنَبٌ نَاهِيكَ مِنْ شَنَبِ
يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤٍ رَطْبٍ وَعَنْ بَرَدٍ وَعَنْ أَقَاحٍ وَعَنْ طَلْعٍ وَعَنْ حَبَبِ

فَاسْتَجَادَهُ مَنْ حَضَرَ وَاسْتَحْلَاهُ وَاسْتَعَادَهُ مِنْهُ وَاسْتَمْلَاهُ وَسُئِلَ
لِمَنْ هَذَا البَيْتُ وَهَلْ حَيٌّ قَائِلُهُ أَمْ مَيْتٌ فَقَالَ ايْمُ اللهِ لَلْحَقُّ أَحَقُّ
أَنْ يُتَّبَعَ وَالصِّدْقُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُسْتَمَعَ إِنَّهُ يَا قَوْمِ لَنَجِيُّكُمْ مُذِ اليَوْمِ قَالَ
فَكَأَنَّ الجَمَاعَةَ ارْتَابَتْ بِعَزْوَتِهِ وَأَبَتْ تَصْدِيقَ دَعْوَتِهِ فَتَوَجَّسَ
مَا هَجَسَ فِي أَفْكَارِهِمْ وَفَطِنَ لِمَا بَطَنَ مِنِ اسْتِنْكَارِهِمْ وَحَاذَرَ
أَنْ يَفْرُطَ إِلَيْهِ ذَمٌّ فَقَرَأَ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ثُمَّ قَالَ يَا رُوَاةَ القَرِيضِ
وَأُسَاةَ القَوْلِ المَرِيضِ إِنَّ خُلَاصَةَ الجَوْهَرِ تَظْهَرُ بِالسَّبْكِ وَيَدُ

الحق

الحق تصدع رداء الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتا لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان اثرت اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد — فسقت خ

فلم يكن الا كلمح البصر او هو اقرب حتى انشد فاغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وايداع سمعي اطيب الخبر
فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما انس استئناسهم بكلامه وانصبابهم الى شعب اكرامه اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين اخرين

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر
فلاح ليل على صبح اقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استبى القوم قيمته واستغزروا ديمته واجملوا عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته امعنت النظر في توسمه وسرحت

الطرف في ميسمه فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمر ليله الدجوجي فهنات نفسي بوروده وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت معرفتك واي شي شيب لحيتك حتى انكرت حليتك فانشا يقول

وقع الشوايب شيب ... والدهر بالناس قلب
ان دان يوما لشخص ... ففي غد يتغلب
فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب
واصبر اذا هو اغرى ... بك الخطوب والب
فما على التبر عار ... في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة

الدينارية

روى الحرث بن همام قال نظمني واخدانا لي ناد لم يخب فيه مناد ولا كبا قدح زناد ولا ذكت نار عناد فبينما نحن نتجاذب اطراف الاناشيد ونتوارد طرف الاسانيد اذ وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا اخاير الذخاير وبشاير العشا

عمرا

عِمُوا صَبَاحًا وَانْعَمُوا اصْطِبَاحًا وَانْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ ذَا نَدِيٍّ
وَنَدًى وَجِدَةٍ وَجَدًى وَعَقَارٍ وَقُرًى وَمَقَارٍ وَقِرًى فَمَا زَالَ بِهِ
قُطُوبُ الْخُطُوبِ وَحُرُوبُ الْكُرُوبِ وَشَرَرُ شَرِّ الْحَسُودِ وَانْتِيَابُ
النُّوَبِ السُّودِ حَتَّى صَفِرَتِ الرَّاحَةُ وَقُرِعَتِ السَّاحَةُ وَغَارَ الْمَنْبَعُ
وَنَبَا الْمَرْبَعُ وَأَقْوَى الْمَجْمَعُ وَأَقَضَّ الْمَضْجَعُ وَاسْتَحَالَتِ الْحَالُ
وَأَعْوَلَ الْعِيَالُ وَخَلَتِ الْمَرَابِطُ وَرَحِمَ الْغَابِطُ وَأَوْدَى النَّاطِقُ
وَالصَّامِتُ وَرَثَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ وَآلْنَا لِلدَّهْرِ الْمُوقِعِ
وَالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ إِلَى أَنِ احْتَذَيْنَا الْوَجَى وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَى وَاسْتَبْطَنَّا
الْجَوَى وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى وَاكْتَحَلْنَا السُّهَادَ وَاسْتَوْطَنَّا
الْوِهَادَ وَاسْتَوْطَأْنَا الْقَتَادَ وَتَنَاسَيْنَا الْأَقْتَادَ وَاسْتَطَبْنَا
الْحَيْنَ الْمُجْتَاحَ وَاسْتَبْطَأْنَا الْيَوْمَ الْمُتَاحَ فَهَلْ مِنْ حُرٍّ آسٍ
أَوْ سَمْحٍ مُوَاسٍ فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلَةَ لَقَدْ أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلَةٍ
لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلَةٍ قَالَ الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَأَوَيْتُ لِمَفَاقِرِهِ
وَلَوَيْتُ إِلَى اسْتِنْبَاطِ فِقَرِهِ فَأَبْرَزْتُ لَهُ دِينَارًا وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَارًا
إِنْ مَدَحْتَهُ نَظْمًا فَهُوَ لَكَ حَتْمًا فَانْبَرَى يُنْشِدُ فِي الْحَالِ
مِنْ غَيْرِ انْتِحَالٍ

أَكْرِمْ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ صُفْرَتُهُ ... جَوَّابَ آفَاقٍ تَرَامَتْ سَفْرَتُهُ

مَأْثُورَةٌ سُمْعَتُهُ وَشُهْرَتُهْ ... قَدْ أُودِعَتْ سِرَّ الْغِنَى أَسِرَّتُهْ

وَقَارَنَتْ نُجْحَ الْمَسَاعِي خَطْرَتُهْ ... وَحُبِّبَتْ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتُهْ

كَأَنَّمَا مِنَ الْقُلُوبِ نُقْرَتُهْ ... بِهِ يَصُولُ مَنْ حَوَتْهُ صُرَّتُهْ

وَإِنْ تَفَانَتْ أَوْ تَوَانَتْ عِتْرَتُهْ ... يَا حَبَّذَا نُضَارُهُ وَنَضْرَتُهْ

وَحَبَّذَا مَغْنَاتُهُ وَنُصْرَتُهْ ... كَمْ آمِرٍ بِهِ اسْتَتَبَّتْ إِمْرَتُهْ

وَمُتْرَفٍ لَوْلَاهُ دَامَتْ حَسْرَتُهْ ... وَجَيْشِ هَمٍّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهْ

وَبَدْرِ تِمٍّ أَنْزَلَتْهُ بَدْرَتُهْ ... وَمُسْتَشِيطٍ تَتَلَظَّى جَمْرَتُهْ

أَسَرَّ نَجْوَاهُ فَلَانَتْ شِرَّتُهْ ... وَكَمْ أَسِيرٍ أَسْلَمَتْهُ أُسْرَتُهْ

أَنْقَذَهُ حَتَّى صَفَتْ مَسَرَّتُهْ ... وَحَقِّ مَوْلًى أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهْ

لَوْلَا التُّقَى لَقُلْتُ جَلَّتْ قُدْرَتُهْ

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ بَعْدَمَا أَنْشَدَهُ وَقَالَ أَنْجَزَ حُرٌّ مَا وَعَدَ وَسَحَّ خَالٌ إِذْ رَعَدَ فَنَبَذْتُ الدِّينَارَ إِلَيْهِ وَقُلْتُ خُذْهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَوَضَعَهُ فِي فِيهِ وَقَالَ بَارِكِ اللَّهُمَّ فِيهِ ثُمَّ شَمَّرَ لِلْانْثِنَاءِ بَعْدَ تَوْفِيَةِ الثَّنَاءِ فَنَشَأَتْ لِي مِنْ فُكَاهَتِهِ نَشْوَةُ غَرَامٍ سَهَّلَتْ عَلَيَّ ائْتِنَافَ اغْتِرَامٍ فَجَرَّدْتُ دِينَارًا آخَرَ وَقُلْتُ هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَذُمَّهُ ثُمَّ تَضُمَّهُ فَأَنْشَدَ مُرْتَجِلًا وَشَدَا عَجِلًا

تَبًّا لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَاذِقٍ ... أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَالْمُنَافِقِ

يبدو بوصفين لعين الرامق زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق ولا شكى الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق لا رأي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته بالدينار
الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فألقاه في فمه وقرنه
بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه قال
الحرث بن همام فناجاني قلبي بأنه ابو زيد وأن تعارجه
لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم
في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت بإكرام وحييت
بين كرام فقلت انا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال
أتقلب في الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء
فقلت كيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستبشر

بشرٌ الذي كان تجلّى ثمّ أنشد حين ولّى

تعارجتُ لا رغبةً في العرج ولكن لأقرعَ بابَ الفرج

وألقي حبلي على غاربي وأسلكَ مسلكَ من قد مرج

فإن لامني القومُ قلتُ اعذروا فليس على أعرجٍ من حرج



المقامة الرابعة



بلغ مقابلة وتصحيحا

أخبر الحرث بن همّام قال ظعنتُ إلى دمياط عامَ هياطٍ ومياطٍ وأنا يومئذٍ مرموقُ الرخاء موموقُ الإخاء أسحبُ مطارفَ الثراء وأجتلي معارفَ السرّاء فرافقتُ صحبًا قد شقّوا عصا الشقاق وارتضعوا أفاويقَ الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنّا مع ذلك نسيرُ النجاء ولا نرحلُ إلا كلَّ هوجاء وإذا نزلنا منزلًا أو وردنا منهلًا اختلسنا اللبثَ ولم نُطِلِ المكث فعنّ لنا إعمالُ الركاب في ليلةٍ فتيّةِ الشباب غُدافيّةِ الإهاب فأسرينا إلى أن نضا الليلُ شبابَه وسلتَ الصبحُ خضابَه فحين ملِلنا السُّرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضًا مخضلّةَ الربى

معتلّة

مُعْتَلَّةَ الصَّبا فتخيّرناها مُناخًا للعيسِ ومحطًّا للتعريسِ فلمّا حلّها

الخليطُ وهدأ بها الأطيطُ والغطيطُ سمعتُ صيّتًا من الرجالِ يقولُ

لسميرهِ في الرحالِ كيف حكمُ سيرتِكَ مع جيلِكَ وجيرتِكَ فقالَ

أرعى الجارَ ولو جارَ وأبذلُ الوصالَ لمن صالَ وأحتملُ الخليطَ ولو

أبدى التخليطَ وأودُّ الحميمَ ولو جرّعني الحميمَ وأفضّلُ الشفيقَ على

الشقيقِ وأفي للعشيرِ وإن لم يكافئ بالعشيرِ وأستقلُّ الجزيلَ

للنزيلِ وأغمرُ الزميلَ بالجميلِ وأُنزلُ سميري منزلةَ أميري

وأُحِلُّ أنيسي محلَّ رئيسي وأودِعُ معارفي عوارفي وأُولي مرافقي

مرافقي وأُلينُ مقالي للقالي وأُديمُ تسآلي عن السالي وأرضى

من الوفاءِ باللفاءِ وأقنعُ من الجزاءِ بأقلِّ الأجزاءِ ولا أتظلّمُ حين

أُظلَمُ ولا أنقمُ ولو لدغني الأرقمُ فقالَ له صاحبُهُ ويكَ يا

بُنيَّ إنّما يُضَنُّ بالضنينِ ويُنافَسُ في الثمينِ لكن أنا لا آتي غيرَ المواتي

ولا أسِمُ العاني بمراعاتي ولا أُصافي من يأبى إنصافي ولا أُواخي من

يُلغي الأواخي ولا أُمالي من يُخيّبُ آمالي ولا أُبالي بمن صرمَ حبالي

ولا أُداري من جهلَ مقداري ولا أُعطي زمامي من يُخفِرُ ذمامي ولا

أبذلُ ودادي لأضدادي ولا أدعُ إيعادي للمعادي ولا أغرسُ

الأيادي في أرضِ الأعادي ولا أسمحُ بمواساتي لمن يفرحُ بمساءتي

ولا أرى التفاتي إلى من شمت بوفاتي ولا أخص بحبائي إلا أحبائي
ولا أستطب لدائي إلا أودائي ولا أملّك خلّتي من لا يسدّ خلّتي ولا
أصفي نيّتي لمن يتمنّى منيّتي ولا أخلص دعائي لمن لا يُنعم وعائي
ولا أفرغ ثنائي على من يفرّغ إنائي ومن حكم بأن أبذل وتخزن
وألين وتخشن وأذوب وتجمد وأذكو وتخمد لا والله بل نتوازن
في المقال وزن المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى
نأمن التغابن ونكفى التضاغن وإلا فلم أعلّك وتعلّني وأقلّك
وتستقلّني وأجترح لك وتجرحني وأسرح إليك وتسرّحني وكيف
يجتلب إنصاف بضيم وأنّى تشرق شمس مع غيم ومتى أصحب ودّ
بعسف وأيّ حرّ رضي بخطّة خسف ولله أبوك حيث يقول

جزيت من أعلق بي ودّه جزاء من يبني على أسّه
وكلت للخلّ كما كال لي على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسّره وشرّ الورى من يومه أخسر من أمسه
وكلّ من يطلب عندي جنى فما له إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني بصفقة المغبون في حسّه
ولست بالموجب حقّاً لمن لا يوجب الحقّ على نفسه
وربّ مذّاق الهوى خالني أصدقه الودّ على لبسه

وما درى

وما دري من جهله انني اقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى انك محتاج الى فلسه

قال الحرث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت الى ان اعرف عينهما فلما لاح ابن ذكا وألحف الجو الضيا غدوت قبل استقلال الركاب ولا اغتدا الغراب وجعلت استقري صوب الصوت الليلي واتوسم الوجوه بالنظر الجلي الى ان لمحت ابا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان رثان فعلمت انهما نجيا ليلتي وصاحبا داريتي فقصدتهما قصد كلف بدماثتهما راث لرثاثتهما واجتهما التحول الى رحلي والتحكم في كثري وقلي وطفقت اشير بين السيارة بفضلهما واهز الاعواد المثمرة لهما حتى غمرا بالنحلان واتخذا من الخلان وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى تسور نيران القرى فلما راى ابو زيد امتلا كيسه وانجلا بوسه قال لي ان بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ افتاذن لي في قصد قرية لاستحم واقضي هذا المهم فقلت اذا شيت فالسرعة السرعة والرجعة الرجعة قال ستجد مطلعي عليك

أسرع من ارتداد طرفك اليك ثم ابتسّ استنان الجواد في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل انه غدر وطلب المفرّ فلبثنا نرقبه رقبة اهلّة الاعياد ونستطلعه بالطلايع والروّاد الى ان هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار فلما طال امد الانتظار ولاحت الشمس في الاطمار قلت لاصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة الى ان اضعنا الزمان وبان ان الرجل مان فتأهبوا للظعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاحدج راحلتي واتحمّل لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي مساعدًا ومساعدًا بين البشر
لا تحسبنّ اني نأيت عن ملال او اشر
لكنني مذ لم ازل ممّن اذا طعم انتشر

قال فاقرأت الجماعة القتب ليعذر من كان عتب فاعجبوا بخرافته وتعوّذوا من آفته ثم اناطعنا ولم ندر من اعتاض عنا

المقامة الخامسة

حكى الحرث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها

وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان وسحبوا
على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا يتحفظ
منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن
غرب القمر وغلب السهر فلما روق الليل البهيم ولم يبق
إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبح ثم تلتها صكة مستفتح
فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
قد دفع الليل الذي اكفهرا إلى ذراكم شعثا مغبرا
أخا سفار طال واسبطرا حتى غدا محقوقفا مصفرا
مثل هلال الافق حين افترا وقد عرى فناكم معترا
وأمكم دون الأنام طرا يبغي قرى منكم ومستقرا
فدونكم ضيفا قنوعا حرا يرضى بما احلولى وما أمرا
وينثني عنكم ينث البرا

قال الحرث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما
وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه بالترحاب وقلنا
للغلام هيا هيا وهلم ما تهيا فقال الضيف والذي أحلني
ذراكم لا تلمظت بقراكم أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلا

ولا تجشموا لأجلي أكلا فرب أكلة هاضت الآكل وحرمته مآكل
وشر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصا
أذى يعلق بالأجسام ويفضي إلى الأسقام وما قيل في المثل الذي
سار سائره خير العشا سوافره إلا ليعجل التعشي ويجتنب
أكل الليل الذي يعشي اللهم إلا أن تقد نار الجوع وتحول
دون الهجوع قال وكأنه اطلع على إرادتنا فرمى عن قوس
عقيدتنا لا جرم أنا آنسناه بالتزام الشرط وأثنينا على
خلقه السبط ولما أحضر الغلام ما راج وأذكى بيننا السراج
تأملته فإذا هو أبو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد بل
المغنم البارد فإن يكن أفل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر
أو استسر بدر النثرة فقد تبلج بدر النثر فسرت حميا المسرة
فيهم وطارت السنة عن مآقيهم ورفضوا الدعة التي كانوا نووها
وثابوا إلى نشر الفكاهة بعد ما طووها وأبو زيد مكب على إعمال
يديه حتى إذا استرفع ما لديه قلنا له أطرفنا بغريبة من غرائب أسمارك
أو عجيبة من عجائب أسفارك فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون
ولا رواه الراوون وإن من أعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم
ومصيري إلى بابكم فاستخبرناه عن طرفة مرآه في مسرح مسراه

فقال إن

فقال إن مرامي الغربة لفظتني إلى هذه التربة وأنا ذو مجاعة وبوسى
وجراب كفؤاد أم موسى فنهضت حين سجى الدجى على ما بي من الوجى
لأرتاد مضيفا أو أقتاد رغيفا فساقني حادي السغب والقضاء المكنى أبا
العجب إلى أن وقفت على باب داركم فقلت

حييتم يا أهل هذا المنزل ... وعشتم في خفض عيش خضل
ما عندكم لابن سبيل مرمل ... نضو سرى خابط ليل أليل
جوي الحشا على الطوى مشتمل ... ما ذاق مذ يومان طعم مأكل
ولا له في أرضكم من موئل ... وقد دجى جنح الظلام المسبل
وهو من الحيرة في تململ ... فهل بهذا الربع عذب المنهل
يقول لي ألق عصاك وادخل ... وابشر ببشر وقرى معجل

قال فبرز إلي جؤذر عليه شوذر وقال

وحرمة الشيخ الذي سن القرى ... وأسس المحجوج في أم القرى
ما عندنا لطارق إذا عرى ... سوى الحديث والمناخ في الذرى
وكيف يقري من نفى عنه الكرى ... طوى برى أعظمه لما انبرى
فما ترى في ما ذكرت ما ترى

فقلت ما أصنع بمنزل قفر ومنزل حلف فقر ولكن يا فتى ما اسمك فقد
فتنني فهمك فقال اسمي زيد ومنشأي فيد ووردت إلى هذه المدرة

أمس مع أخوالي من بني عبس فقلت له زدني إيضاحا عشت ونعشت
فقال أخبرتني أمي برة وهي كاسمها برة أنها نكحت عام الغارة
بماوان رجلا من سراة سروج وغسان فلما آنس منها الإثقال
وكان باقعة على ما يقال ظعن عنها سرا وهلم جرا فما يعرف
أحي هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت بصحة
العلامات أنه ولدي وصدفني عن التعرف إليه صفر يدي ففصلت
عنه بكبد مرضوضة ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولي الألباب
بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال
أثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الأوراق فما سير مثلها في
الآفاق فأحضرنا الدواة وأساودها ورقشنا الحكاية على ما
سردها ثم استبطناه عن مرتآه في استضمام فتاه فقال إذا
ثقل ردني خف علي أن أكفل ابني فقلنا إن كان يكفيك نصاب
من المال ألفناه لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب وهل
يحتقر قدره إلا مصاب قال الراوي فالتزم منه كل منا قسطا
وكتب له به قطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع
حتى إننا استطلنا القول واستقللنا الطول ثم إنه نشر من وشي
السمر ما أزرى بالحبر إلى أن أظل التنوير وجشر الصبح المنير

فقضيناها ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها وكمل سعودها إلى أن انفطر عودها ولما ذرّ قرن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الإحالات فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين إلى ولدي فوصلت جناحه حتى سنيت نجاحه فحين أحرز العين في صرته برقت أسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطا قدميك والله خليفتي عليك فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب وأنافثه لكيما يجيب فنظر إليّ نظرة الخادع إلى المخدوع وضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع ثم أنشد

يا من تظنّى السراب ماءً لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسرّ مكري وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برّة بعرسي ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت
تخذتها وصلة إلى ما تجنيه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت حالي ولم أحو ما حويت
فمهّد العذر أو فسامح إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم إنه ودّعني ومضى وأودع قلبي جمر الغضا

وأما الكميت فهو ابن زيد بن خنيس بن مجالد يتصل نسبه بمعد بن عدنان كان شاعرا مقدما عالما بلغات العرب خبيرا بأيامها من شعراء مضر المتعصبين على القحطانية وكان في أيام بني أمية وهو معروف بالتشيع لبني هاشم مشهور بذلك وقصايده الهاشميات من جيد شعره

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة السادسة



روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى
به ذكر البلاغة فأجمع من حضر من فرسان اليراعة وأرباب
البراعة على أنه لم يبق من ينقح الانشا ويتصرف فيه كيف شا
ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غرا أو يفترع رسالة
عذرا وأن المفلق من كتاب هذا الأوان المتمكنين من أزمة البيان
كالعيال على الأوايل ولو ملك فصاحة سحبان وايل وكان بالمجلس
كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم
في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبي تخازر طرفه
وتشامخ أنفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع
ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكناين
وفات السكاين وركدت الزعازع وكف المنازع أقبل على الجماعة
وقال لقد جيتم شيا ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام
الرفات وافتنتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم
لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات أتنسيم يا جهابذة النقد

ومواثبة الحل والعقد ما أبرزته طوارف القرائح وبرز فيه الجذع
على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل
الموشحة والأساجيع المستملحة وهل للقدماء إذا أنعم النظر من
حضر غير المعاني المطروقة والموارد المعقولة الشوارد المأثورة
عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد وإني لأعرف الآن
من إذا أنشأ وشى وإذا عبر حبر وإذا أوجز أعجز وإن أسهب
أذهب وإن بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان
وعين أولئك الأعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات
قال إنه قرن مجالك وقرين جدالك وإذا شئت فرض نجيبا وادع
نجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر
والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف
للنضال فخلص من الداء العضال أو استثار نقع الامتحان فلم
يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة
الناصح فقال كل امرئ أعرف بوسم قدحه وسيسفر الليل
عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعجم فيه
تقليبه فقال أحدهم ذروه في حصتي لأرميه بحجر قصتي فإنها
عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في هذا الأمر الزعامة

تقليد الخوارج أبا نعامة فأقبل على الكهل وقال اعلم أني أولي هذا
الوالي وأرخ جاهي بالبيان الحالي وكنت أستعين على تقويم أودي
في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد
رذاذي أممته من أرجائي برجائي ودعوته لإعادة روائي وإرواي
فهش للوفادة وراح وغدا بالإفادة وراح فلما استأذنته في المراح
إلى المراح على كاهل المراح قال قد أزمعت أن لا أزودك بتاتا
ولا أجمع لك شتاتا او تنشئ أمام ارتحالك رسالة تودعها شرح
حالك حروف إحدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الأخرى
لم يعجمن قط وقد استأنيت بياني حولا فما أحار قولا وبهت فكري
سنة فما ازداد إلا سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب
وتاب فإن كنت صدعت عن وصفك باليقين فأت بآية إن كنت من
الصادقين فقال له يا هذا لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت
أسكوبا وأعطيت القوس باريها وأنزلت الدار بانيها ثم فكر
ريثما استجم قريحته واستدر لقحته وقال ألق دواتك
وخذ أداتك واكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك
يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين والأروع
يثيب والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف

وَالسَّمحُ يغذي وَالمحكُ يقذي وَالعطا ينجي وَالمطالُ يشجي
وَالدعا يقي وَالمدح ينقي وَالحرُّ يجزي وَالالطاطُ يخزي
وَاطّراحُ ذي الحرمة غيٌّ وَمحرمة بني الآمال بغيٌ وَما ضنَّ الا غبن
غبينٌ وَلا غبن الا ضنينٌ وَلا خزنَ الا شقيٌّ وَلا قبضَ راحتهُ تقيٌّ
وَما فتئ وَعدكَ يفي وآراؤكَ تشفي وهلالكَ يضي وَحلمكَ يغضي
وَالاولُ تغني وَأعداؤكَ تثني وَسؤددكَ يبني وَحسامكَ يفني
وَمواصلكَ يجتني وَمادحكَ يقتني وَسماحكَ يغيث وَسماؤكَ تغيث
ودرّكَ يفيض وردّكَ يغيض وَمؤمّلكَ شيخٌ حكاهُ فيَّ وَلم
يبقَ لهُ شيٌّ امّكَ بظنٍّ حرصٍ ذببٍ ومدحكَ يخبّبُ مهورها يجب
وَمرامهُ يخفّ وَأواصرهُ تشفّ وَاطراؤهُ يجتذبُ وَملامهُ
يجتنبُ ووراءهُ ضففٌ مسّهم شظفٌ وحصّهم جنفٌ وعمّهم
قشفٌ وهو بادي دمعٍ يجيبُ وولهٍ يذيبُ وهمٍّ تضيّفَ وكمدٍ
نيّفَ لمأمولٍ خيّبَ واهمالٍ شيّبَ وعدوٍّ نيّبَ وهدوٍّ
تغيّبَ ولم يزغ ودّهُ فيغضبَ ولا خبثَ عودهُ فيقضبَ ولا نفثَ
صدرهُ فينفضَ ولا نشزَ وصلهُ فيبغضَ وما يقتضي كرمكَ
نبذَ حرمهِ فبيّض أمله بتخفيف ألمهِ ينثّ حمدكَ بين عالمهِ بقيتَ
لإماطةِ شجبٍ واعطاءِ نشبٍ ومداواةِ شجنٍ ومراعاةِ يفنٍ

غبن

موصولاً بخفض وسرور غض ما غشي معهد غني أو خشي وهم عيي والسلام فلما فرغ من املاء رسالته وجلّى في هيجاء البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة فعلاً وقولاً وأوسعته حفاوة وطولاً ثم سيل من أي الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسان أسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة
فالبيت مثل الشمس إشراقاً ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمة
واهاً لعيش كان لي فيها ولذات عميمة
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمة
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمة
لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه المليمة
فلو أن كرباً متلف لتلفت من كربي المقيمة
أو يفتدي عيش مضى لفدته مهجتي الكريمة
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمة
تقتاده برة الصغار إلى العظيمة والهضيمة
ويرى السباع تنوشها أيدي الضباع المستضيمة

والذنب للأيام لولا شؤمها لم تنب شيمه

ولو استقامت كانت الأحوال فيها مستقيمه

ثم إن حسن نما إلى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه أن ينضوي إلى أحشائه ويلي ديوان إنشائه فأحسبه الحبا وظلفه عن الولاية الإبا قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل إيناع ثمرته وكدت أنبه على قدره قبل استنارة بدره فأوحى إلي بإيماض جفنه أن لا أجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فأعرض متبسما وأنشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه أحب إلي من المرتبه

لأن الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السراب ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه

فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبه



المقامة السابعة

بلغت مقابلة وتصحيحا

حكى الحرث بن همّام قال أزمعتُ الشخوص من برقعيد وقد شِمتُ
برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة
فلمّا أظلّ بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتّبعت السنّة في لبس
الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلّى وانتظم
وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد
اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة
متهافت وحيّا تحيّة خافت ولمّا فرغ من دعائه أجال خمسه في
وعائه فأبرز منه رقاعا قد كُتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ
فناولهنّ عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسّم الزبون فمن آنست
ندى يديه ألقت ورقة منهنّ لديه قال فأتاح لي القدر المعتوب
رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحتُ موقوذا بأوجاعٍ وأوجالِ
وممنوًّا بمختالٍ ومحتالٍ ومغتالِ وخوّانٍ من الإخوان قالٍ لإقلالي
وإعمالٍ من العمّال في تضليع أعمالي فكم أصلى بإذحالٍ وإمحالٍ وترحالِ
وكم أخطر في بالٍ ولا أخطر في بالٍ فليت الدهر لمّا جار أطفا لي أطفالي
فلولا أنّ أشبالي أغلالي وأغلالي لما جهّزت آمالي إلى آلٍ ولا والي
ولا جرّرت أذيالي على مسحب إذلالي فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي

فهل حرٌّ يرى تخفيفَ أثقالي بمثقالٍ ويُطفي حرَّ بَلبالي بِسِربالٍ وسِروالِ

قالَ الحارثُ بنُ همّامٍ فلمّا استعرضتُ حُلّةَ الأبياتِ تُقتُ الى معرفةِ
مُلحِمِها وراقمِ عَلَمِها فناجاني الفكرُ بأنّ الوُصلةَ اليهِ العجوزُ وأفتاني
بأنّ حُلوانَ المُعرِّفِ يجوزُ فرصدتُها وهي تستقري الصفوفَ صفًّا صفًّا
وتستوكفُ الأكفَّ كفًّا فكفًّا وما إنْ تَنجحُ لها عَنًا ولا يَرشَحُ على يدِها
إنًا فلمّا أكدى استعطافُها وكدَّها مَطافُها عاذتْ بالاسترجاعِ
ومالتْ الى ارتجاعِ الرقاعِ وأنساها الشيطانُ ذكرَ رُقعتي فلم تَعُجْ
الى بُقعتي وآبتْ الى الشيخِ باكيةً للحِرمانِ شاكيةً تحامُلَ الزمانِ
فقالَ إنّا لله وأفوّضُ أمري الى اللهِ ولا حولَ ولا قوّةَ الا باللهِ

لم يبقَ صافٍ ولا مُصافٍ ولا مُعينٌ ولا مَعينُ
وفي المساوي بدا التساوي فلا أمينٌ ولا ثمينُ

ثمّ قالَ لها مَنّي النفسَ وعِديها واجمعي الرقاعَ وعُدّيها فقالتْ لقد
عددتُها لمّا استعدتُها فوجدتُ يدَ الضياعِ قد غالتْ إحدى الرقاعِ
فقالَ تعسًا لكِ يا لكاعِ أنُحرَمُ ويحكِ القَنَصَ والحِبالةَ والقَبَسَ
والذُبالةَ إنّها لضِغثٌ على إبّالةٍ فانصاعتْ تقتصُّ مَدرجَها وتنشُدُ
مُدرَجَها فلمّا دانتني قرنتُ بالرقعةِ درهمًا وقطعةً وقلتُ لها
إنْ رغبتِ في المشوفِ المُعلَمِ وأشرتُ الى الدرهمِ فبوحي بالسرِّ المبهمِ

قال عنترة العبسي

ولقد شربتُ من المُدامةِ بعدما ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعلَمِ

وان أبيت أن تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص
البدر التم والأبلج الهم وقالت دع جدالك وسل عما بدا لك
فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت
إن الشيخ من سروج وهو الذي وشى الشعر المنسوج ثم خطفت
الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي
أن أبا زيد هو المشار إليه وتأجج كربي لمصابه بناظريه وآثرت
أن أفاجئه وأناجيه لأعجم عود فراستي فيه وما كنت لأصل
إليه إلا بتخطي رقاب الجمع المنهي عنه في الشرع وعفت أن يتأذى
بي قوم أو يسري إلي لوم فسددت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني
إلى أن انقضت الخطبة وحقت الوثبة فخففت إليه وتوسمته على
انتخام جفنيه فإذا ألمعيتي المعية ابن عباس وفراستي فراسة
إياس فعرفته حينئذ شخصي وآثرته بأحد قمصي وأهبت بوالي
قرصي فهش لمعارفتي وعرفاني ولبى دعوة رغفاني وانطلق
ويدي زمامه وظلي أمامه والعجوز ثالثة الأثافي والرقيب الذي
لا يخفى عليه خافي ولما استحلس وكني وأحضرته عجالة مكنتي
قال يا حارث أمعنا ثالث فقلت ليس إلا العجوز فقال ما دونها سر
محجوز ثم فتح كريمتيه ورأرأ بتوأمتيه فإذا سراجا وجهه يتقدان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أذهب الله كريمتيه الا كان ثوابه عند الله الجنة قالوا وما الكريمتان قال عيناه

مصدر اطلع

أصل

كأنهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصيرته وعجبت من غرائب سيرته

ولم تلقني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك إلى التعامي مع

سيرك في المعامي وجوبك الموامي وإيغالك في المرامي فتظاهر باللكنة

وتشاغل باللهنة حتى إذا قضى وطره أثار إلى نظره وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده

تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعم

البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف

الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا

ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل

[illegible] الصب وصقال العضب

[illegible] ضت فيما أمر لأدرأ

[illegible] خالي المخدع ولا نظيف

[illegible] سول فلما عدت

[illegible] قد خلا الشيخ والشيخة

[illegible] ت في إثر طلبا فكان

م

بلغت مقابلة

قوله وفراستي فراسة إياس

هو إياس أبو واثلة بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال ويتصل نسبه بعدنان المزني قاضي قضاة البصرة ولاه القضاء عمر بن عبد العزيز وكان معروفا بالذكا والفطنة والحياسة وتوقد الخاطر في الفراسة وإيضاح غوامض الأقضية وروي عنه أنه قال كل من لم يعرف عيبه فهو أحمق فقيل له فما عيبك قال كثرة الكلام وروي عن إبراهيم بن مرزوق قال جاء رجلان إلى إياس يختصمان في قطيفتين وهما قائمان إحداهما حمرا والأخرى خضرا فقال أحدهما دخلت الحوض لأغتسل ووضعت قطيفتي ثم جاء هذا فوضع قطيفته تحت قطيفتي ثم اغتسل وخرج قبلي فأخذ قطيفتي ومضى ثم خرجت فتبعته فزعم أنها قطيفته فقال ألك بينة قال لا قال ايتوني بمشط فأتي بمشط فسرح رأس هذا ورأس هذا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر والآخر صوف أخضر فقضى بالحمرا للأحمر وبالخضرا للأخضر وقد روي أنه نظر إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فقام إليهن رجل فسألهن فكان كما قال فقيل له من أين علمت هذا قال الفزع وضعت إحداهن يدها على ثديها والحامل على بطنها والبكر أسفل من ذلك

وان أبيتِ أن تشرحي فخذي القطعة واسرحي فمالت إلى استخلاص

البدر التمّ والأبلج الهمّ وقالت دع جدالك وسل عمّا بدا لك

فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته والشعر وناسج بردته فقالت

إنّ الشيخ من سروج وهو الذي وشّى الشعر المنسوج ثمّ خطفت

الدرهم خطفة الباشق ومرقت مروق السهم الراشق فخالج قلبي

أنّ أبا زيد هو المشار إليه وتأجّج كربي لمصابه بناظريه وآثرت

أن أفاجئه وأناجيه لأعجم عود فراستي فيه وما كنت لأصل

إليه إلا بتخطّي رقاب الجمع المنهيّ عنه في الشرع وعفت أن تتأذّى

بي قوم أو يسري إليّ لوم فسدكت بمكاني وجعلت شخصه قيد عياني

إلى أن انقضت الخطبة ووجبت الوثبة فخففت إليه وتوسّمته على

التحام جفنيه فاذ…

اياس فعرفته حين…

قرصي فهشّ لعارفي…

ويدي زمامه وظلّي أمامه…

لا يخفى عليه خافي…

قال يا حارث أمعنا…

محجوز ثمّ فتح كريمته…

وروي أن المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معوية وهو صبيّ وخلفه
اربع مائة من العلما وأصحاب الطيالسة واياس مقدمهم فقال المهدي أف لهذه
العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه المهدي
وقال كم سنك يا فتى فقال سنّي أطال الله بقا أمير المؤمنين سنّ أسامة
ابن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة
قال أبو الحسن المداني مات اياس بن معوية سنة اثنتين وعشرين
ومائة في ضيعته بتال العبد ابي رحمه الله تعالى

مصدر الطلع

كأنهما الفرقدان فابتهجت بسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره
ولم يلقني قرار ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك إلى التعامي مع
سيرك في المعامي وجوبك الموامي وإيغالك في المرامي فتظاهر باللكنة
وتشاغل باللهنة حتى إذا قضى وطره أثار إلي نظره وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال انهض إلى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعم
البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف
الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم السحق تحسبه اللامس ذرورا
ويخاله الناشق كافورا واقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل
أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب وصقال العضب
وآلة الحرب ولدونة الغصن الرطب قال فنهضت فيما أمر لأدرأ
عنه الغمر ولم أهم إلى أنه قصد أن يخدع بإدخالي المخدع ولا تظنيت
أنه يتخذ من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول فلما عدت
بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة
قد أجفلا فاستشطت من مكره غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان
كمن قمس في الماء أو عرج به إلى عنان السماء

بلغت مقابلة



المقامة الثامنة



أخبر الحرث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان
إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان والآخر كأنه
قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي كما أيد به المتقاضي إنه
كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد صبور على الكد تخب
أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات
عقل وعنان وحد وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان تلدغ بلسان
نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن من
غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطاوعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك
انفصلت وطالما خدمتك فجملت ولربما جنت عليك فآلمت وململت
وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض فأخدمته إياها بلا عوض على أن
يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها
استمتاعه ثم أعادها إلي وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها
فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضاء
فوقع عن خطأ وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي متناسب

الطرفين

الطرفين منتسبا الى القين نقيا من الدرن والشين يعار لمحله سواد
العين يفشي الاحسان وينشي الاستحسان ويغذي الانسان ويتحامى
اللسان ان سود جاد او وسم اجاد واذا زود وهب الزاد ومتى استزيد
زاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح الا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند
جوده وينقاد مع قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وان لم
يطمع في لينته فقال لهما القاضي اما ان تبينا والا فبينا فابتدر
الغلام وقال

أعارني ابرة لأرفو أطمارا عفاها البلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطأ مني لما جذبت مقوّدها
فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها اذ رأى تأوّدها
بل قال هات ابرة تماثلها أو قيمة بعد أن تجوّدها
وأعتاق ميلي رهنا لديه وناهيك بها خسة تزوّدها
فالعين مرهى لرهنه ويدي تقصر عن أن تفك مروّدها
فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن تعوّدها

فأقبل القاضي على الشيخ وقال ايه بغير تمويه فقال

أقسم بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى
لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا ميله الذي رهنا

الخيف ما ارتفع عن مجرى السيل
والحدور عن غلظ الجبل

وَلا تَصَدَّيْتُ أَبْتَغِي بَدَلًا مِنِ ابْنِ غَالِهَا وَلا ثَمَنَا
لَكِنَّ قَوْسَ الخُطُوبِ تَرْشُقُنِي بِمُصْمِيَاتٍ مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
وَخُبْرُ حَالِي كَخُبْرِ حَالَتِهِ ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنَى
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لا هُوَ يَسْطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنَا
وَلا مَجَالِي لِضِيقِ ذَاتِ يَدِي فِيهِ اتِّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فَهَذِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ فَانْظُرْ إِلَيْنَا وَبَيْنَنَا وَلَنَا

قال فلما وعى القاضي قصصهما وتبين خصاصتهما وتخصصهما أبرز لهما دينارا من تحت مصلاه وقال اقطعا به الخصام وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبرتي وسهمك لي عن ارش ابرتي ولست عن الحق أميل فقم وخذ الميل فعرا الحدث لما حدث اكتئاب وجم له القاضي وهيج أسفه على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى وبلباله بدريهمات رضخ بها له وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما يخبو ضجره منذ بض حجره ولا ينصل كمده منذ رشح جلمده حتى إذا أفاق من غشيته أقبل على غاشيته

وقال قد

وقال قد أشرب حسي ونبأني حدسي أنهما صاحبا دهاء لا أخصما ادعاء فكيف السبيل إلى سبر سرهما واستنباط سرهما فقال له نحرير زمرته وشيطان جمرته إنه لن يتم استخراج خبيئهما إلا بهما فقفاهما عونا يرجعهما إليه فلما مثلا بين يديه قال لهما اصدقاني سن بكركما ولكما الأمان من تبعات مكركما فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدت يده ولا يدي ... في ابنة يوما ولا في مسرود
وإنما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي
كل ندي الراحة عذب المورد ... وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد ... بالجد إن أجدى وإلا بالدد
لنجلب الرشح إلى الحظ الصدي ... وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... إن لم يفاجي اليوم فاجي في غد

فقال له القاضي لله درك فما أعذب نفثات فيك ووا ها لك لولا خداع فيك وإني لك من المنذرين وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن جهته والخفر يلمع في جبهته قال

الحرث بن همام فلم أر أعجب منها في تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة التاسعة

قال الحرث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار واقتحم الأخطار لكي ادرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الأديب الأريب اذا دخل البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الأدب اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد بالأرواح فبينما أنا عند حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام به التراضي اني امرأة من أكرم جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين

جاراتي

جاراتي بونٌ وكان أبي إذا خطبني بُناةُ المجدِ وأربابُ الجدِّ سكّتهم وبكّتهم
وعافَ وُصلتهم وصِلَتهم واحتجّ بأنّه عاهد الله تعالى بحلفةٍ ألّا يصاهرَ
غيرَ ذي حرفةٍ فقيّض القدرُ لنصبي ووصبي أن حضر هذا الخُدَعةُ نادي
أبي فأقسم بين رهطه أنّه وفق شرطه وادّعى أنّه طالما نظم درّةً إلى
درّةٍ فباعهما ببدرةٍ فاغترّ أبي بزخرفةِ مِحالِه (وزوّجنيه) قبل اختبار حاله فلمّا
استخرجني من كِناسي ورحّلني عن أُناسي ونقلني إلى كِسْرِه وحصّلني تحت
أسرِه وجدتُه قُعَدةً جُثَمةً وألفيتُه ضُجَعةً نُوَمةً وكنتُ صحبتُه
برياشٍ وزيٍّ وأثاثٍ وريٍّ فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه
في الخضم والقضم إلى أن مزّق مالي بأسره وأنفق مالي في عسره فلمّا أنساني
طعمَ الراحةِ وغادر بيتي أنقى من الراحةِ قلتُ له يا هذا إنّه لا مخبأ بعد
بؤسٍ ولا عطرَ بعد عروسٍ فانهض للاكتساب بصناعتك واجنِ ثمرةَ
براعتك فزعم أنّ صناعته قد رُميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد
ولي منه سُلالةٌ كأنّه خِلالةٌ وكلانا ما ينال معه شبعةً ولا ترقى له
من الطوى دمعةٌ وقد قُدتُه إليك وأحضرتُه لديك لتعجمَ عودَ دعواه
وتحكمَ بيننا بما أراك الله فأقبل القاضي عليه وقال له قد وعيتَ قصصَ
عرسِك فبرهن عن نفسك وإلّا كشفتُ عن لَبسك وأمرتُ بحبسك فأطرق
إطراقَ الأفعوانِ ثمّ شمّر للحرب العوانِ وقال ـــــــــــ

اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي نشأت بها والاصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
وراس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاختار اللآلي منها وانتخب
واجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
واخذ اللفظ فضة فاذا ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبا بالادب المقتنى واحتلب
ويمتطي اخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به اكسد شيء في سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا يرقب فيهم ال ولا نسب
كانهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضيق ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم الى سلوك ما يستشينه الحسب

عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اشتغل احد بحفظ [illegible] على العلم [illegible] الا اعطى الله [illegible]

بعد [illegible] الانسان من [illegible]

فبعتُ حتى لم يبقَ لي لبدٌ ولا بتاتٌ إليه أنقلبُ
وادّنتُ حتى أثقلتُ سالفتي بحملِ دَينٍ من دونه العطبُ
ثمّ طويتُ الحشا على سغبٍ خمساً فلمّا أمضّني السغبُ
لم أرَ إلّا جهازها عرضاً أجولُ في بيعهِ وأضطربُ
فجلتُ فيه والنفسُ كارهةٌ والعينُ عبرى والقلبُ مكتئبُ
وما تجاوزتُ إذ عبثتُ به حدّ التراضي فيحدثُ الغضبُ
فإن يكن غاظها توهّمها أنّ بناني بالنظمِ تكتسبُ
أو أنّني مذ عزمتُ خطبتها زخرفتُ قولي لينجحَ الطلبُ
فوالذي سارتِ الرفاقُ إلى كعبتهِ تستحثّها النجبُ
ما المكرُ بالمحصناتِ من خلقي ولا شعاري التمويهُ والكذبُ
ولا يدي مذ نشأتُ نيطَ بها إلّا مواضي اليراعِ والكتبُ
بل فكري تنظمُ القلائدَ لا كفّي وشعري المنظومُ لا السخبُ
وهذه الحرفةُ المشارُ إلى ما كنتُ أحوي بها وأجتلبُ
فأذن لشرحي كما أذنتَ لها ولا تراقبْ واحكمْ بما يجبُ

قال فلمّا أحكم ما شادَه وأكمل إنشادَه عطف القاضي إلى الفتاةِ بعد أن شُغف بالأبياتِ وقال أما إنّه قد ثبت عند جميع الحكّامِ وولاةِ الأحكامِ انقراضُ جيلِ الكرامِ وميلُ الأيامِ إلى اللئامِ وإنّي لأخالُ

بعلك صدوقا في الكلام بريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالعرض
وصرح عن المحض وبين مصداق النظم وتبين انه معروق العظم
واعنات المعذر ملامة وحبس المعسر مأثمة وكتمان الفقر زهادة
وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي الى خدرك واعذري ابا عذرك
ونهنهي من غربك وسلمي لقضاء ربك ثم انه فرض لهما في الصدقات حصة
وناولهما من دراهمها قبصة وقال تعللا بهذه العلالة وتنديا
بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله ان يأتي بالفتح
او امر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الاسار وهزة
الموسر بعد الاعسار قال الراوي وكنت عرفت انه ابو زيد
ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت افصح عن افتنانه واثمار
افنانه ثم اشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى
عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت عن القول احجام المرتاب
وطويت ذكره كطي السجل للكتاب الا اني قلت بعدما فصل ووصل لا
ما وصل لو ان لنا من ينطلق في اثرهما لاتانا بنص خبرهما وما ينشر
من حبرهما فاتبعه القاضي احد امنائه وامره بالتجسس على انبائه
فما لبث ان رجع متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم يا ابا مريم
فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما انشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت وما

الذي وعيت. قال: فلم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين
رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول:

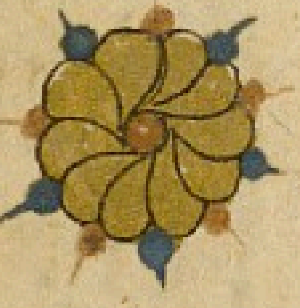
كدت أصلى ببلية من وقاح شمرية
وأزور السجن لولا حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيّته وذوت سكينته. فلما فاء إلى الوقار
وعقّب الاستغراب بالاستغفار قال: اللهم بحرمة عبادك المقربين
حرّم حبسي على المتأدبين. ثم قال لذلك الأمين: عليّ به فانطلق مجدّا
في طلبه ثم عاد بعد لأيٍ مخبرا بنأيه. فقال القاضي: أما إنه لو حضر
لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته أن الآخرة خير
له من الأولى. قال الحارث بن همام: فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت
ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار أو الكسعي
لما استبان النهار.

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة العاشرة



حكى الحارث بن همام قال: هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن
طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة. فلما ألقيت
بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد سبت رأسي

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلعم ان الله لا يعذب حسان الوجوه بسواد الحدق ووورد على النبي صلعم وفد عبد القيس وفيهم غلام وضيء الوجه فاقعده وراء ظهره وقال انما كانت فتنة داود من النظر

رَأَيْتُ غُلَامًا قَدْ أُفْرِغَ فِي قَالَبِ الْجَمَالِ وَأُلْبِسَ مِنَ الْحُسْنِ حُلَّةَ الْكَمَالِ وَقَدِ
اعْتَلَقَ شَيْخٌ بِرُدْنِهِ يَدَّعِي أَنَّهُ قَتَلَ ابْنَهُ وَالْغُلَامُ يُنْكِرُ عِرْفَتَهُ
وَيُكْبِرُ قَرْفَتَهُ وَالْخِصَامُ بَيْنَهُمَا مُتَطَايِرُ الشَّرَارِ وَالزِّحَامُ عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ
بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ إِلَى أَنْ تَرَاضَيَا بَعْدَ اشْتِطَاطِ اللِّدَادِ بِالتَّنَافُرِ
إِلَى وَالِي الْبَلَدِ وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ وَيُغَلِّبُ حُبَّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ
فَأَسْرَعَا إِلَى نَدْوَتِهِ كَالسُّلَيْكِ فِي عَدْوَتِهِ فَلَمَّا حَضَرَاهُ جَدَّدَ الشَّيْخُ
دَعْوَاهُ فَاسْتَنْطَقَ الْغُلَامَ وَأَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ وَقَدْ فَتَنَتْهُ مَحَاسِنُ
غُرَّتِهِ وَطَرَّ عَقْلَهُ بِتَصْفِيفِ طُرَّتِهِ فَقَالَ إِنَّهَا أَفِيكَةُ أَفَّاكٍ عَلَى غَيْرِ
سَفَّاكٍ وَعَضِيهَةُ مُحْتَالٍ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمُغْتَالٍ فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ إِنْ
شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ فَقَالَ الشَّيْخُ
إِنَّهُ جَدَّلَهُ خَاسِيًا وَأَفَاحَ دَمَهُ خَالِيًا فَأَنَّى لِي شَاهِدٌ وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ مُشَاهِدٌ
وَلَكِنْ وَلِّنِي تَلْقِينَهُ الْيَمِينَ لِيَبِينَ أَيَصْدُقُكَ أَمْ يَمِينُ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ الْمَالِكُ
لِذَلِكَ مَعَ وَجْدِكَ الْمُتَهَالِكِ عَلَى ابْنِكَ الْهَالِكِ فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ قُلْ وَالَّذِي
زَيَّنَ الْجِبَاهَ بِالطُّرَرِ وَالْعُيُونَ بِالْحَوَرِ وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ وَالْمَبَاسِمَ
بِالْفَلَجِ وَالْجُفُونَ بِالسَّقَمِ وَالْأُنُوفَ بِالشَّمَمِ وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ وَالثُّغُورَ
بِالشَّنَبِ وَالْبَنَانَ بِالتَّرَفِ وَالْخُصُورَ بِالْهَيَفِ إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ
سَهْوًا وَلَا عَمْدًا وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسَيْفِي غِمْدًا وَإِلَّا فَرَمَى اللهُ جَفْنِي

بالعمش، وخدّي بالنمش، وورْدي بالبهار، ومسكي بالبخار، وبدري بالمحاق، وفضّتي بالاحتراق، وشعاعي بالإظلام، ودواتي بالأقلام. فقال الغلام: الاصطلاء بالبلية، ولا الإيلاء بهذه الألية، والانقياد للقود، ولا الحلف بما لم يحلف به أحد. وأبى الشيخ إلا تجريعه اليمين التي اخترعها وأمقر له جرعها، ولم يزل التلاحي بينهما يستعر، ومحجة التراضي تعر، والغلام في ضمن تأبيه يجلب الوالي بتلويه، ويطمعه في أن يلبيه، إلى أن زار هواه على قلبه، وألبّ بلبه، وسوّل له الوجد الذي تيّمه، والطمع الذي توهّمه، أن يخلّص الغلام ويستخلصه، وأن ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه. فقال للشيخ: هل لك فيما هو أليق بالأقوى، وأقرب للتقوى؟ فقال: إلام تشير، لأقفوه ولا أقف فيه؟ قال: أرى أن تقصر عن القيل والقال، وتقتصر منه على مائة مثقال، لأتحمّل منها بعضا، وأجبي لك الباقي عرضا. فقال الشيخ: ما مني خلاف، فلا يكن لوعدك إخلاف. فنقده الوالي عشرين، ووزّع على وزعته تكملة خمسين، ورقّ ثوب الأصيل، وانقطع لأجله صوب التحصيل. فقال له: خذ ما راج، ودع اللجاج، وعليّ في غد أن أتوصّل إلى أن أنضّ لك الباقي وأتحصّل. فقال الشيخ: أفعل ذلك على أن ألازمه ليلتي، وأرعاه بإنسان مقلتي، حتى إذا أعفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح، تخلّصت قابية من قوب، وبرئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب. فقال له الوالي: ما أراك سمت

قال المسعودي ...

دواتي لا ميرله دواة كل الياسمين بغير صوف

ترى قلم الأمير يغوص فيه مغاص حلاق في حلق صوفي

شططا ولا رمت فرطا قال الحرث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج
السريجية علمت أنه علم السروجية فلبثت الى أن زهرت نجوم
الظلام وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فاذا الشيخ
للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحل الصيد فقلت
من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام فقال هو في النسب فرخي وفي
المكسب فخي قلت فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت الوالي الافتتان
بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما قنفشت الخمسين ثم قال
بت الليلة عندي لنطفي نار الجوى ونبرد الهوى من النوى فقد أجمعت على
أن أنسل بسحرة وأصلي قلب الوالي نار حسرة قال فقضيت الليلة معه
في سمر آنق من حديقة زهر وخميلة شجر حتى إذا تلألأ الأفق ذنب
السرحان وآن انبلاج الفجر وحان ركب متن الطريق وأذاق
الوالي عذاب الحريق وسلم الي عند ساعة الفراق رقعة محكمة الالصاق
وقال ادفعها الى الوالي اذا سلب القرار وتحقق منا الفرار ففضضتها
فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فاذا فيها مكتوب

قل لوالٍ غادرته بعد بيني نادما سادما يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عينه فانثنى بلا عينين

خفض الحزن يا معنّى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين

ولئن جلّ ما عراك كما جلّ لدى المسلمين رزء الحسين

فقد اعتضت منه فهمًا وحزمًا واللبيب الأريب يبغي ذين

فاغضض من بعدها المطامع واعلم أن صيد الظباء ليس بهين

لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محدقًا باللجين

ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين

فتبصّر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين

واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين

فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الحارث بن همام فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبال أعذل أم عذر

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الحادية عشرة

حدث الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعًا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت إليهم متفكرًا في المآل ومتذكرًا من درج من الآل فلما

أَلْحَدُوا الْمَيْتَ وَفَاتَ قَوْلُ لَيْتَ أَشْرَفَ شَيْخٌ مِنْ رَبَاوَةٍ مُتَخَصِّرٌ بِهِرَاوَةٍ
وَقَدْ لَفَّعَ وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ وَنَكَّرَ شَخْصَهُ لِدَهَائِهِ فَقَالَ
لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ فَادَّكِرُوا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ وَشَمِّرُوا أَيُّهَا
الْمُقَصِّرُونَ وَأَحْسِنُوا النَّظَرَ أَيُّهَا الْمُتَبَصِّرُونَ مَا لَكُمْ لَا يَحْزُنُكُمْ دَفْنُ
الْأَتْرَابِ وَلَا يَهُولُكُمْ هَيْلُ التُّرَابِ وَلَا تَعْبَأُونَ بِنَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ وَلَا
تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ الْأَجْدَاثِ وَلَا تَسْتَعْبِرُونَ لِعَيْنٍ تَدْمَعُ وَلَا تَعْتَبِرُونَ
بِنَعْيٍ تَسْمَعُ وَلَا تَرْتَاعُونَ لِإِلْفٍ يُفْقَدُ وَلَا تَلْتَاعُونَ لِمَنَاحَةٍ تُعْقَدُ يُشَيِّعُ
أَحَدُكُمْ نَعْشَ الْمَيْتِ وَقَلْبُهُ تِلْقَاءَ الْبَيْتِ وَيَشْهَدُ مُوَارَاةَ نَسِيبِهِ وَفِكْرُهُ
فِي اسْتِخْلَاصِ نَصِيبِهِ وَيُخَلِّي بَيْنَ وَدُودِهِ وَدُودِهِ ثُمَّ يَخْلُو بِمِزْمَارِهِ وَعُودِهِ
طَالَمَا أَسِيتُمْ عَلَى انْثِلَامِ الْحَبَّةِ وَتَنَاسَيْتُمُ اخْتِرَامَ الْأَحِبَّةِ وَاسْتَكَنْتُمْ
لِاعْتِرَاضِ الْعُسْرَةِ وَاسْتَهَنْتُمْ بِانْقِرَاضِ الْأُسْرَةِ وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ الدَّفْنِ
وَلَا ضَحِكَكُمْ سَاعَةَ الزَّفْنِ وَتَبَخْتَرْتُمْ خَلْفَ الْجَنَائِزِ وَلَا تَبَخْتُرَكُمْ يَوْمَ قَبْضِ
الْجَوَائِزِ وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ النَّوَادِبِ إِلَى إِعْدَادِ الْمَآدِبِ وَعَنْ تَحَرُّقِ
الثَّوَاكِلِ إِلَى التَّأَنُّقِ فِي الْمَآكِلِ لَا تُبَالُونَ بِمَنْ هُوَ بَالٍ وَلَا تُخْطِرُونَ
ذِكْرَ الْمَوْتِ عَلَى بَالٍ حَتَّى كَأَنَّكُمْ قَدْ عَلِقْتُمْ مِنَ الْحِمَامِ بِذِمَامٍ أَوْ حَصَّلْتُمْ
مِنَ الزَّمَانِ عَلَى أَمَانٍ أَوْ وَثِقْتُمْ بِسَلَامَةِ الذَّاتِ أَوْ تَحَقَّقْتُمْ مُسَالَمَةَ
هَادِمِ اللَّذَّاتِ كَلَّا سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ أَنْشَدَ

أيا من يدّعي الفهمْ ◦ إلى كمْ يا أخا الوهمْ ◦ تُعبّي الذنبَ والذمّْ ◦ وتُخطي الخطأَ الجمّْ

أما بان لك العيبْ ◦ أما أنذرك الشيبْ ◦ وما في نُصحه ريبْ ◦ ولا سمعُكَ قد صمّْ

أما نادى بك الموتْ ◦ أما أسمعك الصوتْ ◦ أما تخشى من الفوتْ ◦ فتحتاط وتهتمّْ

فكم تسدر في السهوْ ◦ وتختال من الزهوْ ◦ وتنصبّ إلى اللهوْ ◦ كأنّ الموت ما عمّْ

وحتّى مَ تجافيكْ ◦ وإبطا تلافيكْ ◦ طباعًا جمعت فيكْ ◦ عيوبًا شملها انضمّْ

إذا أسخطتَ مولاكْ ◦ فما تقلق من ذاكْ ◦ وإن أخفق مسعاكْ ◦ تلظّيتَ من الهمّْ

وإن لاح لك النقشْ ◦ من الأصفر تهتشّْ ◦ وإن مرّ بك النعشْ ◦ تغاممتَ ولا غمّْ

تُعاصي الناصحَ البرّْ ◦ وتعتاص وتزورّْ ◦ وتنقاد لمن غرّْ ◦ ومن مان ومن نمّْ

وتسعى في هوى النفسْ ◦ وتحتال على الفلسْ ◦ وتنسى ظلمة الرمسْ

قال المسعودي انشدني بعض الفضلاء

إذا ما غضب السوقي فالحبة ترضيه ◦ ونزع الفلس من يده كنزع الضرس من فيه

ومن صح عبد الفلس قل لي كيف تعطيه

ولا تذكر ما ثم

ولولا حظك الحظ — لما طاح بك اللحظ — ولا كنت اذا الوعظ

جلى الاحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع — اذا عاينت لا جمع — يقي في عرصة الجمع

ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط — الى اللحد وتنغط — وقد اسلمك الرهط

الى اضيق من سم

هناك الجسم ممدود — ليستأكله الدود — الى ان ينخر العود

ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد — من العرض اذا اعتد — صراط جسره مد

على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل — ومن ذي عزة ذل — وكم من عالم زل

وقال الخطب قد طم

فبادر أيها الغمر — لما يحلو به المر — فقد كاد يهي العمر

وما اقلعت عن ذم

ولا تركن الى الدهر — وان لان وان سر — فتلفى كمن اغتر

بأفعى تنفث السم

جمع ترقوة وهي عظم بين ثغرة النحر والعاتق

وخفّض من تراقيك   فإنّ الموت لاقيك   وسارٍ في تراقيك

وما ينكل إن همّ

وجانب صعر الخدّ   إذا ساعدك الجدّ   وزمّ النطق إن ندّ

فما أسعد من زمّ

ونفّس عن أخي البثّ   وصدّقه إذا نثّ   ورمّ العمل الرثّ

فقد أفلح من رمّ

ورِش من ريشه انحصّ   بما عمّ وما خصّ   ولا تأس على النقص

ولا تحرص على اللمّ

وعاد الخلق الرذل   وعوّد كفك البذل   ولا تستمع العذل

ونزّهها عن الضمّ

وزوّد نفسك الخير   ودع ما يعقب الضير   وهيّئ مركب السير

وخف من لجّة اليمّ

بذا أوصيت يا صاح   وقد بحت كمن باح   فطوبى لفتى راح

بآدابي يأتمّ

ثمّ حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر قد شدّ عليه جبائر المكر لا الكسر متعرّضاً للاستماحة في معرض الوقاحة فاحتلب به أولية الملاحي أربع كمّه وملا ثمّ انحدر من الربوة جذلاً بالحبوة وقال

الداوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت الي مستسلما وواجهني مسلما فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه ومينه فقلت له

الى كم يا ابا زيد
افانينك في الكيد
لتحتاش لك الصيد
ولا تعبا بمن ذم

فاجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصر ودع اللوم
وقل لي هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم
متى ما دسته تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وزاملة العار فما مثلك في طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث مفضض او كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال وناوحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

وخبثه ٢

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة الثانية عشر

بلغ العقيد [illegible] جعله الله [illegible]

حكى الحرث بن همام قال شخصت عن العراق الى الغوطة وانا ذو جرد مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس الفيتها كما تصفها الالسن وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع

الهوى

الهوى وطفقت أفض بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف اللذات الى أن شرع
سفر في الأعراق وقد اشتففت من الأعراق فعادني عيد من تذكار
الوطن والحنين الى العطن فقوضت خيام الغيبة وأسرجت جواد الأوبة
ولما تأهب الرفاق واستتب الاتفاق ألحنا من المسير دون استصحاب
الخفير فرُدناه من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله ألف حيلة فأعوز
وجدانه في الأحياء حتى خلنا أنه ليس من الأحياء فحارت لعوزه عزوم
السيارة وانتدوا بباب جيرون للاستشارة فما زالوا بين عقد وحل
وشزر وسحل الى أن نفد التناجي وقنط الراجي وكان حذاءهم شخص
ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي
عينيه ترجمة النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه لاستراق
السمع فلما انكفأوا وقد برح لهم خفاؤهم قال لهم يا قوم لينفرج
كربكم وليأمن سربكم فسأخفركم بما يسرو روعكم ويبدو طوعكم
قال الراوي فاستطلعنا طلع الخفارة واستنبأناه الجعالة عن السفارة
فزعم أنها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل
بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض وتبين له أنا استضعفنا
الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا وتبري خبثا
ولطالما والله جبت مخاوف الأقطار وولجت مفاحم الأخطار فغنيت

بها عن مصاحبة خنزر واستصحاب جنزر ثم اني سانفي ما رابكم واستسل
الحذر الذي نابكم بان اوافقكم في البداوة وارافقكم في السماوة فان صدقتكم
وعدي فاجدوا اسعدي واسعدوا جدي وان كذبتكم فمزقوا اديمي قال
الحرث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته
واستهمنا على معادلته وفصمنا بقوله عرى الربايث والغينا الغاء العابث
والعايث ولما عكمت الرحال وازف الترحال استنزلنا كلماته الواقية
لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم ام القران ثم ليقل
بلسان خاضع وصوت خاشع اللهم يا محيي الرفات
ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات ويا كريم المكافاة ويا موئل
العفاة ويا ولي العفو والمعافاة صل على محمد خاتم انبيائك
ومبلغ انبائك وعلى مصابيح اسرته ومفاتيح نصرته واعذني
من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين واعنات الباغين
ومعاناة الطاغين ومعادات العادين وعدوان المعادين وغلب
الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيل المغالين
واجرني اللهم من جور المجاورين وسطوة الجائرين وكف عني
اكف الظالمين واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين اللهم حطني في تربتي وغربتي وغيبتي واوبتي

ونجعتي

الخروج الى البادية

طلب المعروف

وبُجعتي ورجعتي وتصرّفي ومنصرفي وتقلّبي ومنقلبي واحفظني
في نفسي ونفائسي وعِرضي وعَرَضي وعَددي وعُددي وسَكَني
ومسكني وحولي وحالي ومآلي ومالي ولا تلحقني تغييرًا ولا تسلّط
عليّ مغيرًا واجعل لي من لدنك سلطانًا نصيرًا اللهمّ احرسني
بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنّك وتولّني باختيارك
وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية
وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاوف اللأواء واكنفني
بعوارف الآلاء ولا تظفّر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء
ثمّ أطرق لا يدير لحظًا ولا يحير لفظًا حتى قلنا قد أبلسته خشية
أو أخرسته غشية ثمّ أقنع رأسه وصعّد أنفاسه وقال أقسم
بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجّاج والسراج
الوهّاج والبحر العجّاج والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العُوَذ
وأغنى عنكم من لابسي الخُوَذ من درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق
من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن ليلته من السَّرَق
قال الراوي فتلقّفناها حتى أتقنّاها وتدارسناها كي لا ننساها
ثمّ سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحُداة ونحمي الحمولات بالكلمات
لا بالكماة وصاحبنا يتعهّدنا بالعشيّ والغداة ولا يستنجز منّا

العداتِ حتّى اذا عاينّا أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه
المعلوم والمكتوم وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقضِ ما أنت قاضٍ فما نجد
فينا غير راضٍ فما استخفّه سوى الخِفّ ولا حَلِيَ بعينه غير العين فاحتمل
منهما وِقرَه ونأى بما سدّ فقره ثمّ خالسنا مخالسة الطرّار وانصلت
منّا انصلات الغرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امّراقه ولم نزل
ننشده بكلّ نادٍ ونستخبر عنه كلّ مغدٍ وهادٍ الى أن قيل انّه مذ دخل عانة
ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسبكه والانسلاك فيما لست
من سلكه فادّلجت الى الدسكرة في هيئة منكرة فاذا الشيخ في حلّة ممصّرة
بين دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر
ومزمار ومزهر وهو تارةً يستبزل الدنان وطوراً يستنطق العيدان
ودفعةً يستنشق الريحان وأخرى يغازل الغزلان فلمّا عثرت على
لبسه وتفاوت يومه من أمسه قلت له أولى لك يا ملعون أنسيت يوم
جيرون فضحك مستغرباً ثمّ أنشد مطرباً ه

لزمت السفار ... وجبت القفار ... وعفت النفار
لأجني الفرح
وخضت السيول ... ورضت الخيول ... لجرّ ذيول
الصبى والمرح

والمكتوم

وميط

35

زجرت العقل — الملك من العيار — لشرب الخمر

ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار
ورشف القدح

شدة النظر

ولولا الطماح الى شرب راح لما كان باح
نمي بالملح

دكاني

ولا كان باق دهاني الرفاق لارض العراق
بحملي السبح

بزنم صوتك

فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن
فعذري وضح

أقام — مزار — كثير العشب

لأن الذباب بالغدو وصوت بها غنة

ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن
ودن طفح

فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام

الحزن

وتنفي الترح

الحيي — أزال

وأصفى السرور اذا ما الوقور أماط ستور
الحيا واطرح

رما

وأحلى الغرام اذا المستهام أزال اكتتام
الهوى وافتضح

فبح بهواك وبرد حشاك فزند أساك

بِهِ قَدْ قَدَحْ

وَدَاوِ الْكُلُومْ (الجراح) وَسَلِّ الْهُمُومْ بِبِنْتِ الْكُرُومْ (الخمرة)

الَّتِي تُقْتَرَحْ (تشتهي)

وَخُصَّ الْغَبُوقْ (شرب) بِسَاقٍ يَسُوقْ بِلَأْيِ الْمَشُوقْ

اِذَا مَا طَمَحْ (نظر الى فوق)

وَشَادٍ (مغني) يُشِيدْ (يرفع صوته) بِصَوْتٍ تَمِيدْ جِبَالُ الْحَدِيدْ

لَهُ اِنْ صَدَحْ (صاح)

وَعَاصِ النَّصِيحْ الَّذِي لَا يُبِيحْ وِصَالَ الْمَلِيحْ

اِذَا مَا سَمَحْ

وَجُلْ فِي الْمَجَالْ (المقاواه) وَلَوْ بِالْمُحَالْ وَدَعْ مَا يُقَالْ

وَخُذْ مَا صَلَحْ

وَخَالِفْ اَبَاكْ (فارق / باعد) اِذَا مَا أَبَاكْ وَمُدَّ الشِّبَاكْ

وَصِدْ مَنْ سَنَحْ

وَصَافِ الْخَلِيلْ وَنَافِ الْبَخِيلْ وَأَوْلِ الْجَمِيلْ

وَوَالِ الْمِنَحْ

وَلُذْ بِالْمَتَابْ (اي تُب) أَمَامَ الذَّهَابْ فَمَنْ دَقَّ بَابْ

كَرِيمٍ فَتَحْ

قال النبي صلعم من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه

[illegible] اذا قرع بابا كريما الخ

فقلت له بخٍ بخٍ لروايتك وأُفٍّ وتُفٍّ لغوايتك فبالله من أيّ
الأعياص عيصك فقد أعضلني عويصك فقال ما أُحبّ أن أُفصح عني
ولكني سأُكنّي

أنا الطروفة الزمان وأعجوبة الأمم
وأنا الحُوَّلُ الذي احتال في العرب والعجم
غير أني ابن حاجةٍ هاضه الدهر واهتضم
وأبو صبيةٍ غدوا مثل لحمٍ على وضم
وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يُلَم

قال الراوي فعرفت حينئذٍ أنه أبو زيدٍ ذو الريب والعيب ومسوّد
وجه الشيب وساءني عظم تمرّده وقبح توردّه فقلت له بلسان
الأنفة وإدلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تُقلع عن
الخنا فتنحّر وزمجر وتنكّر وتنكّر ثم قال إنها ليلة
مراحٍ لا ليلة تلاحٍ وهنة شرب راحٍ لا كفاح فعدّ عمّا بدا إلى أن
نلتقي في غدا ففارقته فرقاً من عربدته لا تعلّقاً بعدته وبتّ ليلتي
لابساً جلباب الندم على نقل خطا القدم إلى ابنة الكرم وعاهدت الله
تعالى أن لا أحضر بعدها حانة نبّاذٍ ولو أُعطيت ملك بغداذ ولا أشهد
معصرة الشراب ولو رُدّ عليّ عصر الشباب ثم إنا رحّلنا العيس وقت التغليس

الحُوَّل البصير بتحويل الأمور

المقامة الثالثة عشرة

حكى

روى الحرث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء
لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجري معهم ممار في مضمار فأفضنا في
حديث يفضح الازهار الى أن نصفنا النهار فلما غاض در الافكار
وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار
الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل
فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله
المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مال الآمل وثمال الارامل
أني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون
الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى
الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر
وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت
اليمين وبان المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر
وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى
رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوي من ترون عينه
فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثردة وقصارى منيته

بردة

برزة وكنت آليت أن لا أبذل الحُرّ إلا للحُرّ ولو أني متّ من الضُّرّ وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضّر الله امرأً أبرّ قسمي وصدّق توسّمي ونظر إليّ بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحامك فقالت تفجّر الصخر ولا فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينّكم أولاً شعاري ثم لأروينّكم أشعاري فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز دردبيس وأنشأت تقول

الحرث بن همام

أشكو إلى الله اشتكا المريض ريب الزمان المتعدي البغيض

المعتدي

يا قوم إني من أناس غنوا دهراً وجفن الدهر عنهم غضيض

فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض

كانوا إذا ما نجعة أعوزت في السنة الشهباء روضاً أريض

تُشبّ للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحماً غريض

ما بات جارٌ لهم ساغباً ولا لروعٍ قال حال الجريض

فغيّضت منهم صروف الردى بحار جود لم أخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض

فمحملي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤساً له في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض
أتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لي صفحة ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبراً وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكلفتهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما سيبدي من العجاب فلما انسرت أهبة

الخفر

الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى إليه فاستلقى استلقاء المتمردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري أحاط علماً بقدري
وهل درى كنه غوري في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف عليهم وبنكر
أصطاد قوماً بوعظ وآخرين بشعر
وأستفز بخل عقلاً وعقلاً بخمر
وتارة أنا صخر وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا عذري فدونك عذري

قال الراوي فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على مجانبة العجائز

الحارث بن همام

بلغ مقابلة وتصحيحا

شدة الحياء اساء قصد اصوته المغنين خديعة استخف غر خبير سهم استمراري حزنوا العطايا

المقامة الرابعة عشره

حكى الحارث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فلما قضيت بحمد الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف موسم
الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما ينفي من حر الظهيرة
فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس الحصباء وأعشى
الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع
فسلم الشيخ تسليم أديب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نثر
من سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له من أنت وكيف ولجت
وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب إسعاف وسر ضري غير
خاف والنظر إلي شفيع كاف وأما الانسياب الذي علق به الارتياب
فما هو بعجاب إذ ما على الكرماء من حجاب فسألناه أنى اهتدى إلينا
ولم استدل علينا فقال إن للكرم نشرا تنم نفحاته وترشد إلى روضه
فوحاته فاستدللت بأرج عرفكم على تبلج عرفكم وبشرني تضوع
رندكم بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنكفل
بإعانته فقال إن لي مأربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى
وكلاكما سوف يرضى ولكن الكبر الكبر فقال أجل ومن دحى السبع

معروف

قال النبي صلعم في غزاة له الآن حمي الوطيس وهي كلمة لم تسمع من غيره

أريب صح

تركه الاحتشام

إلى صح

قدم الكبير على الصغير ونصبه على الإغراء

الغبر ثم وثب للمقال كالمنشط من العقال وقال وانشد

إني امرؤٌ أُبدِعَ بي بعد الوجى والتعبِ

وشفّني شاسعةٌ يقصرُ عنها خببي

وما معي خردلةٌ مطبوعةٌ من ذهبِ

فحيلتي منسدّةٌ وحيرتي تلعبُ بي

إن ارتحلتُ راجلاً خفتُ دواعي العطبِ

وإن تخلّفتُ عن الرفقة ضاق مذهبي

فزفرتي في صعدٍ وعبرتي في صببِ

وأنتم منتجعُ الراجي ومرمى الطلبِ

لهاكم منهلةٌ ولا انهلال السحبِ

وجاركم في حرمٍ ووفركم في حربِ

ما لاذ مرتاعٌ بكم فخاف نابَ النوبِ

ولا استدرَّ آملٌ حباكم فما حُبي

فانعطفوا في قصتي وأحسنوا منقلبي

فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي

لساءكم ضرّي الذي أسلمني للكربِ

ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي

وما حوت معرفتي من العلوم النخب

لما اعترتكم شبهة في ان دايي ادبي

فليت انّي لم اكن ارضعت ثدي الادب

فقد دهاني شؤمه وعقّني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرّحت ابياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسمطيك ما يوصلك الى بلدك فاما مأربة ولدك فقال له قم يا بنيّ كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فضّ فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشا يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيّده

ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده

ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده

اريد منكم شواء وجردقا وعصيده

وان غلا فرقاق به توارى الشهيده

او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده

فان تعذّر طرّا فجرعة وهنيده

فاحضروا ما تيسّر ولو شظا من قديده

فروّحوا فنفسي لما يروح مريده

خيار الشي — عشيتكم — اماني — وطع رحمي — تركبك ظهر مطيتك — عطت اسنانك — السيف القاطع — جلا — الجيد — الزبد — قطعة

قال الفضل [illegible] ... الادب ... [illegible]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه المؤمن شهوته [illegible] وفي نسخة من شهوة ادخله الله [illegible] الجنة

[illegible] الشهيد [illegible]

تعذّرن صح

وَالزَّادُ لَابُدَّ مِنْهُ لِرِحْلَةٍ لِي بَعِيدَهْ

وَأَنْتُمْ خَيْرُ رَهْطٍ يُدْعَوْنَ عِنْدَ الشَّدِيدَهْ

أَيْدِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ لَهَا أَيَادٍ جَدِيدَهْ

وَرَاحُكُمْ وَاصِلَاتٌ شَمْلَ الصِّلَاتِ الْمُفِيدَهْ

وَبُغْيَتِي فِي مَطَاوِي مَا تَرْفِدُونَ زَهِيدَهْ

فَفِي أَجْرٌ وَعُقْبَى تَنْفِيسِ كَرْبٍ حَمِيدَهْ

وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدَهْ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَلَمَّا رَأَيْنَا الشِّبْلَ يُشْبِهُ الْأَسَدَ أَرْحَلْنَا الْوَالِدَ وَزَوَّدْنَا الْوَلَدَ فَقَابَلَا الصُّنْعَ بِشُكْرٍ نَشَرَا أَرْدِيَتَهُ وَأَدَّيَا دِيَتَهُ وَلَمَّا عَزَمَا عَلَى الِانْطِلَاقِ وَعَقَدَا لِلرِّحْلَةِ حُبُكَ النِّطَاقِ قُلْتُ لِلشَّيْخِ هَلْ ضَاهَتْ عِدَتُنَا عِدَةَ عُرْقُوبٍ أَوْ بَقِيَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ فَقَالَ حَاشَ لِلّٰهِ وَكَلَّا بَلْ جَلَّ مَعْرُوفُكُمْ وَجَلَّى فَقُلْتُ لَهُ فِدْنَا كَمَا فَدَيْنَاكَ وَأَفِدْنَا كَمَا أَفَدْنَاكَ أَيْنَ الدُّوَيْرُ فَقَدْ مَلَّكَتْنَا فِيكَ الْحَيْرَةُ فَتَنَفَّسَ تَنَفُّسَ مَنِ ادَّكَرَ أَوْطَانَهُ وَأَنْشَدَ وَالشَّهِيقُ يُلَعْثِمُ لِسَانَهُ

سَرُوجُ دَارِي وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا

وَقَدْ أَنَاخَ الْأَعَادِي بِهَا وَأَخْنَوْا عَلَيْهَا

فَوَالَّذِي سِرْتُ أَبْغِي حَطَّ الذُّنُوبِ لَدَيْهِ

بل جل

ما راقَ طَرفي شيءٌ مُذْ غِبْتَ عن طرفِهِ

ثُمَّ اغْرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدُّموعِ وأذَنَتْ مدامِعُهُ بالهُموعِ فكَرِهَ أن يَسْتَوْكِفَها ولم يملِكْ أنْ يُكَفْكِفَها فقطعَ إنشادَ المُسْتَمْلي وأوجزَ في الوداعِ وولَّى

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الخامسة عشر

أخبرَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال أرِقْتُ ذاتَ ليلةٍ حالكةِ الجِلْبابِ هاميةِ الرَّبابِ ولا أرَقَ صَبٍّ طُرِدَ عن البابِ ومُنِيَ بصدِّ الأحبابِ فلم تزَلِ الأفكارُ يَهِجْنَ هَمّي ويَجُلْنَ في الوَساوِسِ وَهْمي حتّى تمنّيتُ لِمَضَضِ ما عانَيْتُ أنْ أُرْزَقَ سَميرًا من الفُضَلاءِ ليقصِّرَ طولَ ليلي الليلاءِ فما انقضَتْ مُنْيَتي ولا أغمضَتْ مُقْلَتي حتّى قرعَ البابَ قارِعٌ لهُ صوتٌ خاشِعٌ فقلتُ في نفسي لعلَّ غرسَ التَّمنّي قد أثمرَ وليلَ الحظِّ قد أقمرَ فنهضتُ إليهِ عجلانَ وقلتُ مَنِ الطّارقُ الآنَ فقالَ غريبٌ أجَنَّهُ اللّيلُ وغشِيَهُ السَّيْلُ ويبتغي الإيواءَ لا غيرَ وإذا أسحرَ قدَّمَ السَّيرَ فلمّا دلَّ شُعاعُهُ على شمسِهِ ونمَّ عُنوانُهُ بسِرِّ طِرْسِهِ علمتُ أنَّ مُسامرَتَهُ غُنْمٌ ومُساهرَتَهُ نُعْمٌ ففتحتُ البابَ بابتسامٍ وقلتُ ادخُلوها بسلامٍ فدخلَ شيخٌ قد حنى الدَّهرُ صَعْدَتَهُ وبَلَّ القَطْرُ بُرْدَتَهُ فحيّا بلسانٍ

الوسواس صح

غضبٍ وبيانٍ عذبٍ ثم شكر على تلبية صوته واعتذر من الطروق في غير
وقته فدانيته بالمصباح المتقد وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا
أبا زيد بلا ريبٍ ولا رجم غيبٍ فأحللته محل من أظفرني بعصوى الطلب ونقلني
من موقد الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو الأين وأخرق في كيف وأين
فقال أبلغني ريقي فقد أتعبني طريقي فظننته مستبطنا حميا السغب
متكاسلا لهذا السبب فأحضرته ما يحضر الضيف المفاجي في الليل
الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض البشم فسؤت ظنا
بامتناعه وأحفظني حؤول طباعه حتى كدت أغلظ له في الكلام وأسعه
بجمة الملام فتبين من لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف
الثقة بأهل المقة عدّ عما أخطرته بالك واستمع إليّ لا أبا لك فقلت
هات يا أخا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة حليف إفلاس ونجيّ
وسواس فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح شهبه غدوت وقت الإشراق
إلى بعض الأسواق متصديا للصيد يسنح أو حرٍّ يسمح فلحظت بها تمرا
قد حسن تصفيفه وأحسن إليه مصيفه يجمع على التحقيق صفاء الرحيق
وقنوء العقيق وقبالته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر وانجلى في اللون
المزعفر فهو يثني على طاهيه بلسان تناهيه ويصوب رأي مشتريه
ولو نقد حبة القلب فيه فأسرتني الشهوة بأشطانها وأسلمتني العيمة

العيمة مهملة شهوة اللبن ومعجمة العطش والعرم شهوة اللحم والقرم ... شهوة التمر والجعم شهوة الفاكهة والشوق شهوة الجماع

إلى سلطانها فبقيت أحير من ضب وأذهل من صب لا وجد يوصلني
إلى نيل المراد ولا لذة الازدياد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة الالتهاب
لكن جذبني القرم وسورته والسغب وفورته على أن أنتجع كل أرض
وأقتنع من الورد ببرض فلم أزل سحابة ذلك النهار أدلي دلوي إلى
الأنهار وهي لا ترجع ببلة ولا تجلب نقع غلة إلى أن ضعفت الشمس للغروب
وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وأنشبت أقدم
رجلا وأوخر أخرى وبينما أنا أسعى وأقعد وأهب وأركد إذ قابلني
شخص بتأوه الثكلان وعيناه تهملان ثم ما شغلني ما أنا فيه من
داء الذيب والخوى المذيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخاتلته
فقلت له يا هذا إن لبكائك سرا ووراء تحرقك لسرا فأطلعني على
برحائك واتخذني من نصحائك فإنك ستجد مني طبا آسيا وعونا مواسيا
فقال والله ما تأوهي لعيش فات ولا من دهر أفات بل لانقراض العلم
ودروسه وأفول أقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت وقضية
استعجمت حتى هاجت لك الأسف على فقد من سلف فأبرز رقعة من
كمه وأقسم بأبيه وأمه لقد أنزلها بأعلام المدارس فما امتازوا عن
الأعلام الدوارس واستنطق لها أحبار المحابر فجرسوا ولا خرس سكان
المقابر فقلت أرنيها فلعلي أغني فيها فقال أما أبعدت في المرام فرب

رمية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب فيها

أيها العالم الفقيه الذي فا ... ق ذكاء فما له من شبيه

أفتنا في قضية حار عنها ... كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر ... تقي من أمه وأبيه

وله زوجة لها أيها الحبر ... أخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز أخوها ... ما تبقى بالإرث دون أخيه

فاشفنا بالجواب عما سألنا ... فهو نص لا خلف يوجد فيه

قال فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير بها سقطت وعند ابن بجدتها حططت إلا أني مضطرم الأحشاء مضطر إلى العشاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد أنصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فسر معي إلى مربعي لتظفر بما تبتغي وتنقلب كما ينبغي قال فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله فأدخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن من بيت العنكبوت إلا أنه جبر ضيق ربعه بتوسعة ذرعه وحكمني في القرى ومطايب ما يشترى فقلت أريد أزهى راكب على أشهى مركوب وأنفع صاحب مع أضر مصحوب فأفكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تبغي بنت نخيلة مع لبابة بخيلة فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطا ثم ربض متثبطا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة والكذب

يقال مطايب الكلم ومطايب الفاكهة

اللباب ولد الصغير والعرب تكني بالتمر عن الطعام

تعنى صح

عاهة فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن
تلحق بمن مان وتتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا
تأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها ثم إني لست لك بزبون ولا أغبى
على صفقة مغبون وها أنا قد أنذرتك قبل أن ينهتك الستر وينعقد فيما
بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الإنذار وحذار من المكاذبة حذار
فقلت له والذي حرم أكل الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا
دليتك بغرور وستخبر حقيقة الأمر وتحمد بذل اللبا والتمر
فهش هشاشة المصدوق وانطلق مغذا إلى السوق فما كان بأسرع
من أن أقبل بما يدلح ووجهه يكلح فوضعهما لدي وضع الممتن علي
وقال اضرب الجيش بالجيش تحظ بلذة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحملت
حملة الفيل الملتهم وهو يلحظني كما يلحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق
حتى إذا التهمت النوعين وغادرتهما أثرا بعد عين أوردت حيرة
في أطلال الأبيات وفكرة في جواب الأبيات فما لبث أن قام وأحضر
الدواة والأقلام وقال قد ملأت الجراب فأمل الجواب وإلا فتهيأ
إن نكلت لاغترام ما أكلت فقلت ما عندي إلا التحقيق فاكتب الجواب
وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تخفيه

من التعب

تأمل

إن ذلك

إنّ ذاك الميت الذي قدّم الشرعُ أخا عرسه على ابن أبيه

رجلٌ زوّج ابنه عن رضاه بحماةٍ له ولا غرو فيه

ثم مات ابنه وقد علقت منه نجاتٌ بابنٍ سرّ ذويه

فهو ابن ابنه بغير مراءٍ وأخو عرسه بلا تمويه

وابن الابن الصريح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه

فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه

وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها باقيه

وتخلّى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه

هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاضٍ يقضي وكل فقيه

فلمّا أثبتّ الجواب واستثبت منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمّر الذيل وبادر السيل فقلت إني بدار غربة وفي إيوائي أفضل قربة لا سيّما وقد أغدف جنح الظلام وسحّ الرعد في الغمام فقال اغرب عافاك الله إلى حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت قلت ولِمَ ذاك مع خلوّ دارك قال لأني أنعمت النظر في التقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرأيتك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي حفظ صحتك ومن أمعن فيما أمعنت وتبطّن ما تبطّنت لم يخلص من كظّة مدنفة أو هيضة متلفة فدعني بالله كفافا وأخرج عني ما دمت معافى فوالذي يحيي ويميت

وسُئل محمد عبد الله التستري وقد قيل له الرجل يأكل في اليوم أكلة واحدة قال أكل الصدّيقين قيل فأكلتين قال أكل المؤمنين قيل فثلاثا قال قل لأهلك يبنوا لك معلفا

مالكَ عندي مبيتٌ فلما سمعتُ أليتَهُ وبلوتُ بليّتَهُ خرجتُ من بيتِهِ
بالرغمِ وتزوّدتُ الغمّ تجودني السّما وتخبطني الظلما وتنبحني الكلابُ
وتتقاذفُ بي الأبوابُ حتى ساقني إليكَ لطفُ القضاءِ فشكرًا ليدِهِ
البيضاءِ فقلتُ لهُ أجِبْ بلقائِكَ المتاحِ إلى قلبي المرتاحِ ثمّ أخذ يفتنّ
في حكاياتِهِ ويشمطُ مضحكاتِهِ بمبكياتِهِ إلى أنْ عطسَ أنفُ الصباحِ
وهتفَ داعي الفلاحِ فتأهّبَ لإجابةِ الداعي ثمّ عطفَ إلى وداعي فعقتُهُ
عن الانبعاثِ وقلتُ لهُ الضيافةُ ثلاثٌ فناشدَ وحرّجَ ثمّ أمَّ المخرجَ
وأنشدَ إذْ عرّجَ

لا تزرْ من تحبُّ في كلِّ شهرٍ غيرَ يومٍ ولا تزِدْ عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ في الشهرِ يومٌ ثمّ لا تنظرُ العيونُ إليهِ

قالَ الحارثُ بنُ همّامٍ فودّعتُهُ بقلبٍ دامي القرحِ ووددتُ لو أنّ ليلي بطيئةُ الصبحِ

المقامة السادسة عشر

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قالَ شهدتُ صلاةَ المغربِ في بعضِ مساجدِ المغربِ
فلمّا أدّيتُها بفضلِها وشفعتُها بنفلِها أخذَ طرفي رفقةً قد انتبذوا ناحيةً
وامتازوا صفوةً صافيةً وهم يتعاطونَ كأسَ المنافثةِ ويقتدحونَ

(الحواشي والتعليقات:)

بالكره — يمطرني — ترميني — تعوي — بالإجابة — المقدّر — يخلط — توضأ — المؤذن — ضيق — قصد — طويلة — البلدة — أبصر — انفردوا — خالصة — يتناولون — الشعر

حديث [illegible] عن النبي صلعم قال الضيافة ثلاثة أيام [illegible] فما زاد فهو صدقة

ص بعضهم
إذا حققت من خلٍّ ودادًا فزره ولا تخف منه ملالا
وكن كالشمس تطلع كل يومٍ ولا تك في زيارته هلالا

٣

بلغ العفيف عمر [illegible]
[illegible] أحسن [illegible]

بلغ مقابلة وتصحيحا

بلغ [illegible] قراءة

بلغ قراءة المولى الشيخ [illegible]

٣

صليت بالجماعة
عن أبي هريرة عن النبي صلعم أنه قال
صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم
بخمسة وعشرين جزءا

زناد الفكرة

زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد وأدب يستزاد
فسعيت إليهم سعي المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون نزيلاً يطلب جنى
الأسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملحاً الحوار فحلوا لي
الحبا وقالوا مرحباً مرحبا فلم أجلس إلا لمحة برق خاطف أو نغبة طاير
خايف حتى غشينا جوّاب على عاتقه جراب فحيا بالكلمتين وحيا
المسجد بالتسليمتين ثم قال يا أولي الألباب والفضل اللباب أما تعلمون
أن أنفس القربات تنفيس الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة
ذوي الحاجات واني ومن أحلني ساحتكم وأتاح لي استماحتكم
لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عنا
حميا المجاعة فقالوا له يا هذا إنك حضرت بعد العشاء ولم يبق إلا
فضلات العشاء فإن كنت بها قنوعاً فما تجد فينا منوعاً فقال إن
أخا الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فأمر كل منهم
عبده أن يزوده ما عنده فأعجبه الصنع وشكر عليه وجلس يرقب ما
يحمل إليه وثبنا نحن إلى استثارة ملح الأدب وعيونه واستنباط
معينه من عيونه إلى أن جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك
ساكب كاس فتداعينا إلى أن يستنتج له الأفكار ونفترع منه
الأبكار على أن ينظم البادي ثلاث جمانات في عقد ثم تدرج

بارق ح

قال رسول الله صلعم للداخل دهشة فتلقوه بالمرحبا

أحلني ح

فضالات خ

خرز من فضة وقيل اللولو

الزيادات من بعده فيبرع ذو ميميته في نظمه ويسبغ صاحب ميسرته
على رغمه قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف وتألفنا
ألفة أصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال
لم أخا مل ❖ وقال مسامته ❖ كبر رجا أجر ربك ❖ وقال
الذي يليه ❖ من يرب إذا بر ينم ❖ وقال الآخر ❖ سكت كل من نم لك
تكن ❖ وأفضت النوبة إلي وقد تعين نظم السمط السباعي علي فلم
يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك أستطعم
فلا أجد من يطعم إلى أن ركد النسيم وحصحص التسليم فقلت لأصحابي
لو حضر السروجي هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو نزلت
هذه بإياس لأمسك على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق
بابها وذلك الواغل يلحظنا لحظ المزدري ويولف الدرر ونحن لا ندري
فلما عثر على انفضاحنا ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم إن من العناء
العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم
ثم أقبل علي وقال سأنوب منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن تنثر
ولا تعثر فقل مخاطبا للذي ذم البخل وأكثر العذل
لذ بكل مؤمل إذا لم وملك بذل ❖ وإن أحببت أن تنظم
فقل للذي تعظم ❖ ❖ ❖ ❖

أُسُ أرملاً إذا عرا وارعَ إذا المرءُ أسا

أسنِدْ أخا نباهةٍ أبِنْ إخاءً دنّسا

أُسْلُ جنابَ غاشمٍ مُشاغبٍ إن جلسا

أُسرْ إذا هبَّ مِراً وارمِ به إذا رسا

أُسكنْ تقوَّ فعسى يُسعفُ وقتٌ نكسا

قال فلمّا سحرنا بآياته وحسرنا بُعدُ غاياته مدحناه حتّى استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثمّ شمّر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله درُّ عصابةٍ صدقوا المقالَ مقاولا

فاقوا الأنامَ فضائلاً مأثورةً وفواضلا

جاورتُهم فوجدتُ سحباناً لديهم باقلا

وحللتُ فيهم سائلاً فلقيتُ جوداً سائلا

أقسمتُ لو كان الكرامُ حياً لكانوا وابلا

ثمّ خطا قِيدَ رمحين ثمّ عاد مستعيذاً من الحَين وقال يا عِزَّ من عَدِمَ الآل وكنزَ من سُلِبَ المال إنّ الغاسقَ قد وقب ووجهَ المحجّة قد انتقب وبيني وبين كِنّي ليلٌ دامس وطريقٌ طامس فهل من مصباحٍ يؤمنني العِثار ويبيّن لي الآثار فلمّا جيء بالملتمس وجلّى الوجوهَ ضوءُ القبس رأيتُ صاحبَ صيدنا هو أبو زيدنا فقلتُ لأصحابي هذا الذي أشرتُ إلى أنّه إذا نطق أصاب

وان استمطر صاب فاتلعوا نحوه الاعناق واحدقوا به الاحداق
وسألوه ان يسامرهم ليلته على ان يجبروا عيلته فقال حبا لما احببتم
ورحبا بكم اذ رحبتم غير اني قصدتكم واطفالي يتضورون من الجوع ويدعون
لي بوشك الرجوع وان استراثوني خامرهم الطيش ولم يصف لي العيش
فدعوني لاذهب فاسد مخمصتهم واسيغ غصتهم ثم انقلب اليكم على الاثر
متأهبا للسمر الى السحر فقالوا لاحد الغلمة اتبعه الى فيئته ليكون
اسرع الى فيئته فانطلق معه مضطبنا جرابه ومحتثا ايابه وابطأ
بطأ جاوز حده ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ما عندك من الحديث عن الخبيث
قال اخذني في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى افضينا الى دويرة خربة
فقال ههنا مناخي ووكر افراخي ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه
وقال لعمري لقد خففت عني واستوجبت الشكر مني فهاك نصيحة
هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح وانشد

اذا ما حويت جنى نخلة ... فلا تقربنها الى قابل
واما سقطت على بيدر ... فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن اذا ما لقطت ... فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن اذا ما سبحت ... فان السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف ... وبع آجلا منك بالعاجل

فقلنا صح

الضبن الخاصرة
لبيته صح

الخبيث صح

ولا تكثرن

ولا تكثرن على صاحب نعمًا فلم يمل قط سوى الواجد

ثم قال اخزنها في تامورك واقتد بها في امورك وبادر الى صحبك في كلاءة
ربك فاذا بلغتهم فابلغهم تحيتي واتل عليهم وصيتي وقل لهم عني ان
التهتر في الخرافات لمن اعظم الآفات ولست الغي احتراسي ولا اجلب
الهوس الى راسي قال الراوي فلما وقفنا نحوي شعره على نكره ومكره
تلاومنا على تركه والاغترار بافكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشر

القهقرية

حدث الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح العين
فتية عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة مشتدة
الهبوب ومباراة مشتطة الالهوب فهزني لقصدهم هوى المحاضرة
واستحلاء المناظرة فلما التحقت برهطهم وانتظمت في سمطهم
قالوا اانت ممن يلي في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء فقلت بل انا من نظارة
الحرب لا من ابناء الطعن والضرب فاضربوا عن محاجتي وافاضوا في
التناجي وكان في بحبوحة حلقتهم واكليل رفقتهم شيخ قد برته الهموم
ولوحته السموم حتى عاد اخل من قلم واقحل من جلم الا انه كان يبدي

الغي ابطل

بلغ مقابلة وصحيحا

ويدلي

العجاب إذا أجاب ويُنسي سحبان كلما أبان فأعجبتُ بما أوتي من الإصابة
والتبريز على تلك العصابة وما زال يفضح كل معمًّى ويُصمي في كل
مرمى إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى إنفاض
القوم واضطرارهم إلى الصوم عرّض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة
فقالوا له حبّذا ومن لنا بذا فقال أتعرفون رسالةً أرضها سماؤها
وصبحها مساؤها نُسجت على منوالين وتجلّت في لونين وصلت إلى
جهتين وبدت ذات وجهين إن بزغت من مشرقها فناهيك برونقها
وإن طلعت من مغربها فيا لعجبها قال وكأن القوم رُموا بالصُّمات أو
حقّت عليهم كلمة الإنصات فما نبس منهم إنسان ولا فاه لهم لسان
فحين رآهم بُكمًا كالأنعام وصموتًا كالأصنام قال لهم قد أجّلتكم
أجل العدّة وأرخيت لكم طول المدّة ثم ها هنا مجمع الشمل وموقف الفصل
فإن سمحت خواطركم مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله
ما لنا في لجّة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكدّ
وهب العطية بالنقد واتخذنا إخوانًا يثبون إذا وثبت ويُثبّتون
متى استثبت فأطرق ساعةً ثم قال سمعًا لكم وطاعةً فاستملوا مني
وانقلوا عني الإنسان صنيعة الإحسان وربّ الجميل فعل
الندب وشيمة الحرّ ذخيرة الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة

وعنوان

وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلايق شين الخلايق وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يدحض المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال ثمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الخلف وتيقن المعونة يسني المؤونة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزا المدايح بث المنايح ومهر الوسايل تشفيع المسايل ومجلبة الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدي الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق ينشي العقوق وتحاشي الريب يرفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار وتنوع الأقدار بمواتاة الأقدار وشرف الأعمال في تقصير الآمال والآلة الموكرة تنفيح الحكمة ورأس الرياسة تهذب السياسة ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم وبتزيد السفير يهن التدبير وبخلل الأحوال تتبين الأهوال وبموجب الصبر ثمرة النصر واستحقاق الإحماد

(اوايل كل شي – طلاقة الوجه – العوايد – ونوى الراي – المعايب – تبطل – الزلات – يحشم – يسهل – الغمازون – نشر – العطايا – مجلبة الشي ما يحملك على جلبه – استيعاب – المنتهى – ما يتقرب به الى الله – المنازل – الهلاك – المقادير – تقدمه – مطاوعه – بتهذيب – المخاوف – تكدير – الرسول يضعفه – وجدان الشي محمودا)

(حاشية: [illegible])

بحسب الاجتهاد ووجوب الملاحظة كما المحافظة وصفا الموالي
بتعهد الموالي وتحلي المروات بحفظ الأمانات واختبار
الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع الأعداء بكف الأوداء وامتحان
العقلاء بمقارنة الجهلاء وتبصر العواقب يؤمن المعاطب
واتقا الشنعة بنشر السمعة وقبح الجفاء ينافي الوفا وجوهر
الأحرار عند الأسرار ثم قال هذه مائة لفظة تحتوي
على أدب وعظة فمن ساوقها هذا المساق فلا مرا ولا شقاق ومن
رام عكس قالبها وأن يردها على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار
وجوهر الوفاء ينافي الجفا وقبح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا
المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها وآخرة دررها
ورب الإحسان صنيعة الإنسان قال الراوي فلما صدع برسالته
الغريبة والملوحة المغيبة علمنا كيف يتفاضل الإنشاء وأن
الفضل بيد الله يؤتيه من يشا ثم علق كل منا بذيله وفلذه
فلذة من نيله فأبى قبول فلذتي وقال لست أرزأ تلامذتي فقلت له
كن أبا زيد على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على
نحولي وتحولي وقشف محولي فأخذت على تثريبه على تشريقه
وتغريبه بحوله واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سلّ الزمان على عضبه ليروعني وأحدّ غربه
وأبتلّ من جفني كراه مراغماً وأسال غربه
وأجالني في الأفق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكلّ جوّ طلعة في كلّ يوم لي وغربه
وكذا المغرّب شخصه متغرّب ونواه غربه

ثمّ ولّى يجرّ عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفّت إليه ومتهافت عليه ثمّ لم نلبث أن حللنا الحبا وتفرّقنا أيادي سبا

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الثامنة عشرة
السنجارية

حكى الحرث بن همّام قال قفلت ذات مرّة من الشام أنحو مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير وميْر ومعنا أبو زيد السروجي غلّة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها بعض التجار فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلاح حتّى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلمّا أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة البدو والبدين ما حلي في الفم وحلي بالعين ثمّ قدّم جاماً كأنّما جمد

قوله جمع فيها بين الفريضة والنافلة أي جمع بين المفترض الذي إطعامه فرض وبين الغني الذي إطعامه من النوافل

وقوله البدو والبدين أي الثريد فإنه يؤكل باليد الواحدة والثواني يؤكل باليدين

من الهواء، أو جمع من الهباء، أو صيغ من نور الفضاء، أو قشر من الدرة البيضاء،
وقد أودع لفائف النعيم، وضمخ بالطيب العميم، وسيق إليه شرب من تسنيم،
وسفر عن مرأى وسيم، وأرج نسيم، فلما اضطرمت بمحضنه الشهوات، وقرمت
إلى مخبره اللهوات، وشارف أن تشن على سربه الغارات، وينادي عند
نهبه يا للثارات، نشز أبو زيد كالمجنون، وتباعد عنه تباعد الضب من النون
فراودناه أن يعود، وأن لا يكون كقدار في ثمود، فقال والذي
ينشر الأموات من الرجام، لا عدت دون رفع الجام، فلم نجد بدا من تألفه
وإبرار حلفه، فأسلناه والعقول معه شائلة، والدموع عليه سائلة، فلما
فاء إلى مجثمه، وخلص من مأثمه، سألناه لم قام، ولأي معنى استرفع الجام
فقال إن الزجاج نمام، وإني آليت مذ أعوام، أن لا يضمني ونماما مقام،
فقلنا وما سبب يمينك الصري، وإيلائك الحري، فقال كان لي جار لسانه
يتعرب وقلبه عقرب، ولفظه شهد يشفع وخبؤه سم منقع، فملت
لمجاورته إلى محاورته، واغتررت بمكاشرته في معاشرته، واستهوتني
حسن دمنته لمنادمته، وأغرتني خدعة شيمته بمناسمته، فمازجته
وعندي أنه جار مكاسر، فبان أنه عقاب كاسر، وآنسته على أنه حب
مؤانس، فوضح أنه حباب موالس، ومالحته ولا أعلم أنه عند نعقه ممن ينعق
بعقه، وعاقرته ولم أدر أنه بعد فرقه ممن يطرب لمفرقه، وكانت عندي

الجارية

جارية لا يوجد لها في الكمال مجارية إن سفرت خجل النيران وصليت
القلوب بالنيران وإن بسمت أزرت بالجمان وبيع المرجان بالمجان وإن
رنت هيجت البلابل وحققت سحر بابل وإن نطقت عقلت لب العاقل
واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت شفت المفؤود وخلتها أوتيت
مزامير داود وإن غنت ظل معبد لها عبدا وقيل سحقا لإسحق وبعدا
وإن زمرت أضحى زنام عندها زنيما بعد أن كان لحيله زعيما وبالإطراب
زعيما وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب في الكؤوس
فكنت أزدري معها حمر النعم وأجلي بتمليها جيد النعم وأحجب مرآها
عن الشمس والقمر وأذود ذكراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك الج من
أن تسري برياها ريح أو يكهن بها سطيح أو يشم عليها برق مليح فاتفق
لوشل الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس أن أنطقني بوصفها
حميا المدام عند الجار النمام ثم ثاب الفهم بعد أن صرد السهم فأحسست
الخبال والوبال وضيعة ما أودع ذلك الغربال بيد أني عاهدته على كتم
ما لفظته وأن يحفظ السر ولو أحفظته فزعم أنه يخزن الأسرار
كما يخزن اللئيم الدينار وأنه لا يهتك الأستار ولو عرض لأن يلج النار
ثم ما عبر على ذلك الزمان إلا يوم أو يومان حتى بدا لأمير بلد المدرة والبها
ذي المقدرة أن يقصد باب قبله مجددا عرض خيله ومستمطرا عارض نيله وارتاد

أن تصحبه تحفة تلايم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل بذل العوايد
لرواده ويشي المراغب لمن يطفق يحمّ بمراده فاسف ذلك الجار الختار الى
بذوله وعصى في ادراع العار عذل عذوله فاتى الوالي ناشراً اذنيه وابثه
ما كنت اسررته اليه ثم راعي الانساب صاغيته الى وانثال حفدته
على يسومني ابثاثه بالدرة اليتيمة على ان احكم عليه في القيمة فغشيني من
الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم ازل ادافع عنها ولا يغني الدفاع
واستشفع اليه ولا يجدي الاستشفاع وكلما راى مني ازدياد الاعتياص
وارتياد المناص تحرّم وتضرّم وحرق على الارم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقته
بدري ولا بان انزع قلبي من صدري حتى اذا الوعيد ايقاعاً والتقريع قراعاً
فقادني الاشفاق من الحين الى ان قضته سواد العين بصفرة العين ولم
يحظ الواشي بغير الاثم والشين فعاهدت الله تعالى مذ ذلك العهد ان لا
احاضر نمّاماً من بعد والزجاج مخصوص بهذه الطباع الذميمة وبه
يضرب المثل في النميمة فقد جرى عليه سيل يميني ولذلكم السبب لم تمتد
اليه يميني

فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على ان حرمتم في اقطاف القطائف
فقد بان عذري في صنيعي وانني سارتق فتقي من تليدي وطارفي
على ان ما زودتكم من فكاهة ألذ من الحلو الذي كل عارف

اليم خ

قال الحرث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما
وقذت النميمة خير البشر حتى انتشر عن حمالة الحطب ما انتشر ثم سالناه
عما احدث جاره العتات ودخلله المفتات بعد ان راش له نبل السعاية
وجذم حبل الرعاية فقال اخذ في الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع الى
بذوي المكانة وكنت حرجت على نفسي ان يسترجعه انسي او يرجع
الى امسي فلم يكن له مني سوى الرد والاصرار على الصد وهو لا يكتئب من
النجه ولا يتئب من وقاحة الوجه بل يلظ بالوسايل ويلح في المسايل فما
انقذني من ابرامه ولا ابعد عليه نيل مرامه الا ابيات نفث بها الصدر
الموتور والخاطر المبتور فانها كانت مدحرة لشيطانه ومسخنة له في اوطانه
وعند انتشارها بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور وايس من نشر
وصلي كما يئس الكفار من اصحاب القبور فناشدناه ان ينشدنا اياها ويشمنا
رياها فقال اجل خلق الانسان من عجل ثم انشد لا يزويه خجل ولا يثنيه وجل

ونديم محضته صدق ودي ... اذ توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال ... حين الفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا ... ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخيرته كليما فامسى ... منه قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما ... فتبينته لعينا رجيما

وترايته مريدا انجلى عنه يشكى له مريدا لئيما
وتوسمت ان يهب نسيما فأبى ان يهب الا سموما
بت من لسعه الذي اعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن كان بالشر رائعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عديما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم الى قلبي لأن الصباح يلفى نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تعريضه وسجعه بوّأه مهاد كرامته وصدّره على تكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب فيها حلوا العقيد والضرب وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة ولا يسع ان يجعل البري كذي الظنة وهذه الآية تتنزل منزلة الابرار في صون الاسرار فلا تولها الابعاد ولا تلحق هودا بعاد ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه ليحكم فيها بما يهواه فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح وابشروا بانذمال القرح فقد جبر الله ثكلكم وسنّى اكلكم وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو

خيرٌ لكم. ولمّا همّ بالانصراف مال إلى استهداء الصِّحاف فقال
للأديب إنّ من دلائل الظَّرف سماحة المُهدي بالظَّرف فقال كلاهما والغلام
فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواب وشكره شكر الروض للسحاب
ثم اقتادنا أبو زيد إلى حوايه وحكّمنا في حلوايه وجعل يقلّب الأواني
بيديه ويبعض عددها على عدده ثم قال لست أدري أأشكو ذلك النمّام أم أشكر
وأتناسى فعلته أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة ونمّ النميمة
فمن غيمه انهلّت هذه الديمة وبسيفه احتازت يدي هذه الغنيمة وقد خطر
ببالي أن أرجع إلى أشبالي وأقنع بما تيسّر لي ولا أتعب نفسي ولا أجمالي
وأنا أودّعكم وداع محافظ وأستودعكم خير حافظ ثم استوى على
راحلته راجعًا في حافرته ولاويًا إلى آفرته فغادرنا بعد أن وخدت عنسه
وزايلنا أنسه كدستٍ غاب صدره أو ليلٍ أفل بدره

وشكره

بلغت مقابلة وتصحيحًا

المقامة التاسعة عشر

روى الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العُوَيم لإخلاف أنواء الغيم
وتحدّث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين فاقتعدت مهريًّا
واعتقلت سمهريًّا وسرت تلفظني أرض إلى أرض ويجذبني رفع من خفض

حتى بلغتها نقضا على نقض فلما أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها
بنصيب نويت أن ألقي بها جراني وأتخذ أهلها جيراني إلى أن يحيي
السنة الجماد ويستعد أرض قومي العهاد فوالله ما تمضمضت مقلتي
بنومها ولا تمخضت ليلتي عن يومها أو ألفيت بها أبا زيد السروجي يجول
في أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصيبين وهو يمتري من فيه
الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت جهادي قد جاء مغنما وقدحي
الفذ قد صار توأما ولم أزل أتبع ظله أينما انبعث وألتقط لفظه
كلما نفث إلى أن عراه مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد
يسلبه ثوب الحيا ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت لملقاه وانقطاع سقياه
ما يجده المبعد عن مرامه والمرضع عند فطامه ثم أرجف بأن ذهنه
قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فتعلق صحبه لإرجاف المرجفين
وانثالوا إلى عقوته موجفين

حيارى يميد بهم شجوهم كأنهم ارتضعوا الخندريسا
أسالوا الغروب وعطوا الجيوب وصكوا الخدود وشجوا الرؤوسا
يودون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن التف بأصحابه وأغذ إلى بابه فلما انتهينا
إلى فنائه وتصدينا لاستنشاء أنبائه برز إلينا فتاه مفترة شفتاه

فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وكنه قوى حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة الوعكة الى ان شفه الدنف واستشفه التلف ثم من الله بتقوية ذمايه فافاق من اغمايه فادرجوا ادراجكم وانضوا انزعاجكم وكان قد غدا وراح وساقاكم الراح فاعظمنا بشراه واقترحنا ان نراه فدخل موذنا بنا ثم خرج اذنا لنا فلقينا منه لقى ولبانا طلقا وجلسنا محدقين بسرير محدقين الى اسارير فقلب طرفه في الجماعة ثم قال اجتلوها بنت الساعة وانشد

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفيني
ومن بالبرء على انه لا بد من حتف سيبريني
ما يتناساني ولكنه الى تقضي الاكل ينسيني
ان حم لم يغن حميم ولا حمى كليب منه يحميني
وما ابالي ادنا يومه ام اخر الحين الى حين
فاي فخر في حياة ارى فيها البلايا ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الاجل وارتداد الوجل ثم تداعينا الى القيام لاتقاء الابرام فقال كلا بل البثوا بياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي فان مناجاتكم قوت نفسي ومغناطيس انسي فتحرينا مرضاته وتحامينا معاصاته واقبلنا على الحديث

نمخض زبده ونلغي زبده الى ان حان وقت المقيل وكلّت الالسن من القال
والقيل وكان يوماً حامي الوديقة يانع الحديقة فقال ان النعاس
قد امال الاعناق وراود الاماق وهو خصم الدّ وخطب لا يردّ
فصلوا حبله بالقيلولة واقتدوا فيه بالاثار المنقولة قال الراوي
فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على الاذان وافرغ السِنة
في الاجفان حتى خرجنا من حكم الوجود وصرفنا بالهجود عن السجود
ثم استيقظنا الا والحرّ قد باخ واليوم قد شاخ فتكرّعنا الصلوتين
العجماوين وادينا ما حلّ من الدين ثم تحفّشنا للارتحال الى
ملقى الرحال فالتفت ابو زيد الى شبله وكان على شاكلته وشكله
وقال اني لاخال ابا عمرة قد اضرم في احشائهم الجمرة فاستدع ابا
جابر فانه بشرى كل جائع واردفه بابي نعيم الصابر على كل ضيم
ثم عزّز بابي حبيب المحبّب الى كل لبيب المقلّب بين احراق وتعذيب واهب
بابي ثقيف فحبذا هو من اليف وهلمّ بابي عون فما مثله من عون
ولو استحضرت ابا جميل الجمّل اي تجميل وحيّهلا بامّ القرى
المذكرة بكسرى ولا تتناس امّ جابر فكم لها من ذاكر وناد امّ الفرج
ثم ائتك به ولا حرج واختم بابي زين فانه مسلاة لكل حزين
وان تغرّبوا ابا العلاء فمح اسمك من ديوان النبلاء واياك وليستدنا

المرجفين

المرجفين قبل استقلال حمول البين واذا نزع القوم عن المراس وصافحوا ابا الياس فاطف عليهم أبا السرو فانه عنوان السرو قال ففقه ابنه لطايف رموزه بلطافة تمييزه فطاف علينا بالطيبات والطيب الى أن أذنت الشمس بالمغيب فلما أجمعنا على التوديع ألم تر الى هذا اليوم البديع كيف بدا اصبحه مقطرا وامسيه مستبشرا فسجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسا عند النوب من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هب ثم جرى نسيما وانقلب

وسحاب مكروه تنشا فاضمحل وما سكب

ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى وعلى تغيته غرب

فاصبر اذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب

وترج من روح الاله لطايفا لا تحتسب

قال فاستمليناه أبياته الغر واولينا الله تعالى الشكر وودعناه مسرورين بسره مغمورين ببره

تفسير ما تضمن هذه المقامة من ألفاظ

قوله ذات العوم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والسمهرية
الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت به لصلابتها من قولهم
اسمهر الشيء اذا قوي وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا
جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله نضرب الله على الاذان اي انامنا
ومنه قوله تعالى فضربنا على اذانهم اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم
السمع وقوله تكدرعنا الصلوة العجماوين اي غسلنا الكارعنا وهو
كناية عن الوضوء والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار
القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجما وقوله هلم اي قل هلم
وتستعمل بمعنى هات وبمعنى اقبل والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمونث
والاثنين والجمع وبه نطق القران في قوله تعالى والقايلين لاخوانهم هلم الينا
ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا
وللمونثة الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وقوله حي هلا اي عجل واسرع
اليه يقال حي هل بلا وحي هلا بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وباثبات النون معها
ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر
وفيها لغات اخر اضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع شرحها لهذا تفسير الالفاظ
اللغوية وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات الصوفية
فابو يحيى كنية الموت وابو عمرة كنية الجوع ويكنى أيضا ابا مالك

وابو جامع

وأبو جامع الخوان ، وأبو نعيم الخبز الحواري ، وابو حبيب الجدي
وابو ثقيف الخل ، وابو عون الملح ، وأبو جميل البقل
وام القرى السكباج ، وام جابر الهريسة ، وام الفرج الجوذابة
وابو زرين الخبيص ، وابو العلاء الفالوذج ، وابو أياس الغسول
والمرزبان الطست والابريق ، وابو البشر والبخور ، تمت

المقامة العشرون

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة موافقين لا
يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنت بهم كمن لم يرم عن
وجاره ولا ظعن عن الفه وجاره فلما انخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا
عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار الصحبة وتناهينا عن
التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعتمن طرفي النهار ونتهادى فيه
طرف الاخبار فبينما نحن في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتيام
وقف علينا ذو مقول جري وحرّ بن جهوري فحيا تحية نفاث في
العقد قناص للاسد والنقد ثم قال
عندي يا قوم حديث عجيب فيه اعتبار للبيب الاريب

ريعان الشيء أوله ونماؤه

رأيت في ريعان عمري أخا بأس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك إقدام من يوقن بالفتك ولا يستريب
فيفرج الضيق بكراته حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الأقران إلا انثنى عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا مستغلق الباب منيعا مهيب
إلا ونودي حين يسمو له نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف العذب ويرشفنه وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل يبتز دهره ما فيه من بطش وعود صليب
حتى أصارته الليالي لقى يعافه من كان منه قريب
قد أعجز الراقي تحليل ما به من الداء وأعيا الطبيب
وصارم البيض وصار منه من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن يرغب في تكفين ميت غريب

ثم إنه أعلن بالنحيب وبكى بكاء المحب على الحبيب ولما رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الأجواد والله ما نطقت ببهتان ولا أخبرتكم إلا عن عيان ولو كان في عصاي سير ولغيري مطير

من أمثالهم ليس في العصا سير
يضرب لمن لا يقدر على ما يريد

لاستأثرت

صاحب قوة — القتل غيلة — ضيقا — متسع — معا — الجديد — يقبل — يستلبه — ملقى — هاجر — رجع — كالمقلوب — معطى — سكنت — فترت — طلبة الكلأ

قال الفراء الضيق بفتح الضاد ما ضاق عنه صدرك
والضيق بالكسر ما يتسع ويضيق مثل الدار والثوب ومنه قوله
تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون

وفيه أيضا
[illegible]

لاستأثرت بما دعوتم إليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف
الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال الراوي
فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما يأتون فتوهم أنهم
على صرفه يتحرمون أو مطالبته ببرهان فقرطهم أن قال يا لامع
القاع ويراع البقاع ما هذا الارتياء الذي يأباه الحيا حتى كأنكم
كلفتم مشقة لا شقة أو استوهبتم بلدة لا بردة أو هززتم لكسوة البيت لا
لتكفين ميت أو لمن لا تندى صفاته ولا يترشح حصاته فلما بصرت
الجماعة بذلاقته ومرارة مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمد
له خوف سيله قال الحرث بن همام وكان هذا السايل وافقا خلفي
ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما أرضاه القوم بسيبهم وحق على التأسي
بهم خلعت خاتمي من خنصري ولفت إليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي
بلا فرية ولا مرية فأيقنت أنها أكذوبة تكذبها وأحبولة نصبها
إلا أني طويته على غره وصنت شغاه عن فره وحصبته بالخاتم وقلت له
أرصد لنفقة المأتم فقال وأهالك فيما أضرم شعلتك وأكرم فعلتك
ثم انطلق يسعى قدما ويهرول هرولته قدما فنزعت إلى عرفان منيته
وامتحان دعوى حميته فقرعت ظنبوبي واهتبلت الهوبي حتى أدركته
على غلوة وأخليته في خلوة فأخذت بمجمع أردانه وعقته عن سنن

قال ابو الهيثم القدم برفع القاف المضي وهو الاقدام

ميدانه وقلت له والله ما لك مني ملجأ ولا منجى او تريني مستك المسجى فكشف
عن سر اويليه واشار الى غرموله فقلت له قاتلك الله فما اعبثك بالنهى
واحيلك على اللهى ثم عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله
ولا يبرقش قوله فاخبرتهم بالذي رأيت وما ورّيت ولا رأيت فقهقهوا
من كيت وكيت ولعنوا ذلك الميت

بلغت قراءة المولى الشيخ عماد الدين السراج

بلغت مقابلة وتصحيحا

بلغت قراءة العالم عمر بن الزين بلغه الله مراتب اهل اليقين

المقامة الحادية والعشرون

حدّث الحارث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري وعرفت قبيلي
من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات لاتحلى
بمحاسن الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق وما زلت آخذ نفسي بهذا
الادب واخمد به جمرة الغضب حتى صار التطبع فيه طباعا والتكلف
له هوى مطاعا فلما حللت بالري وقد حللت حبا الغي وعرفت الحي
من اللي رأيت بها ذات بكرة زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار
الجراد ومستنّون استنان الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه
ويحلّون ابن سمعون دونه فلم يتكادني لاستماع المواعظ واختبار
الواعظ ان اقاسي اللاغط واحتمل الضاغط فاصحبت اصحاب

ابن سمعون هو ابو الحسين محمد بن احمد بن اسمعيل بن عنبس بن اسمعيل كان وحيد عصره
وفريد دهره في الارشاد ... والكلام على الخواطر ... في الوعظ
ومجالس ... توفي في ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ببغداد

المطواعة

المطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى أفضينا الى ناد جمع الأمير
والمأمور وحشد النبيه والمغمور وفي وسطها هالته ووسط أهلته
شيخ قد تقوس واقعنسس وتقلنس وتطلس وهو يصدع بوعظ يشفي
الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول وقد افتتنت به العقول
ابن آدم ما أغراك بما يغرك وأضراك بما يضرك والهجك بما
يطغيك وأبهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك
وتنزع في قوس تعديك وترتدي الحرص الذي يرديك لا بالكفاف تقتنع
ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع ولا بالوعيد ترتدع دأبك
أن تتقلب مع الأهواء وتخبط خبط العشواء وهمك أن تدأب في
الاحتراث وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك
ولا تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاريك ولا تبالي ألك أم عليك
أتظن أن ستترك سدى وأن لا تحاسب غدا أم تحسب أن الموت
يقبل الرشا أو يميز بين الأسد والرشا كلا والله لن يدفع المنون
مال ولا بنون ولا ينفع أهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى
لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم أن الفائز
من ارعوى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى
ثم أنشد انشاد وجل بصوت زجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من أجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه الأشغى يصول ونابه
ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل أخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما أطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه
ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي الوبل حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وأبدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الأصوات والتام الانصات واستكنت العبرات والعبارات استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر وجعل يجأر اليه من عامله الجائر والأمير صاغ الى خصمه لاه عن كشف ظلمه فلما أيس من روحه استنهض الواعظ لنصحه فنهض نهضة الشهم وانشد معرضا بالأمير

عجبا لراج أن ينال ولاية حتى اذا ما نال بغيته بغى

يسري

يُسْدِي ويُلْحِمُ في المَظَالِمِ والِغًا في وِرْدِهَا طَوْرًا وطَوْرًا مُولِغَا

ما إنْ يُبَالِي حِينَ يَتْبَعُ الهَوَى فِيهَا أأَصْلَحَ دِينَهُ أَمْ أَوْتَغَا

يا وَيْحَهُ لَوْ كَانَ يُوقِنُ أنَّهُ ما حَالَةٌ إلَّا تَحُولُ لَمَا طَغَا

أو لو تَبَيَّنَ ما نَدَامَةُ مَنْ صَغَا سَمْعًا إلَى إفْكِ الوُشَاةِ لَمَا صَغَا

فانْعَدْ لِمَنْ أضْحَى الزِّمَامُ بِكَفِّهِ وتَغَاضَ إنْ لَغَا الرَّعايَةُ أو لَغَا

وارْعَ المِرَارَ إذَا دَعَاكَ لِرَعْيِهِ ورِدِ الأُجَاجَ إذا جَمَاكَ السِّيَغَا

واحْمِلْ أَذَاهُ ولَوْ أمَضَّكَ مَسُّهُ وأَسَالَ غَرْبَ الدَّمْعِ مِنْكَ وأفْرَغَا

فَلَيَضْحَكَنَّ الدَّهْرُ مِنْهُ إذا نَبَا عَنْهُ وشَبَّ لِكَيْدِهِ نَارَ الوَغَا

ولَيَنْزِلَنَّ بِهِ الشَّمَاتُ إذا بَدَا مُتَخَلِّيًا مِنْ شُغْلِهِ مُتَفَرِّغَا

ولَتَأْوِيَنَّ لَهُ إذا ما خَدُّهُ أضْحَى عَلَى تُرْبِ الهَوَانِ مُمَرَّغَا

هَذَا لَهُ ولَسَوْفَ يُوقَفُ مَوْقِفًا فِيهِ يُرَى رَبُّ الفَصَاحَةِ أَلْثَغَا

ولَيُحْشَرَنَّ أذَلَّ مِنْ فَقْعِ الفَلَا ويُحَاسَبَنَّ عَلَى القَبِيصَةِ والشَّغَا

ولَيُؤْخَذَنَّ بِمَا اجْتَنَى ومَنِ اجْتَبَى ولَيُطَالَبَنَّ بِمَا اجْتَنَى وبِمَا ارْتَغَى

ولَيُنَاقَشَنَّ عَلَى الدَّقَائِقِ مِثْلَ ما قَدْ كَانَ يَفْعَلُ بالوَرَى بَلْ أبْلَغَا

حَتَّى يَعَضَّ عَلَى الوِلَايَةِ كَفَّهُ ويَوَدُّ لَوْ لَمْ يَبْغِ مِنْهَا ما بَغَى

ثُمَّ قَالَ أيُّهَا المُتَوَشِّحُ بالوِلَايَةِ المُتَرَشِّحُ لِلرِّعَايَةِ دَعِ الإدْلَالَ بِدَوْلَتِكَ والاغْتِرَارَ بِصَوْلَتِكَ فإنَّ الدَّوْلَةَ رِيحٌ قُلَّبٌ والقُدْرَةَ بَرْقٌ خُلَّبٌ

وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من ساءت
رعايته فلا تكن ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها
ويظلم الرعية ويؤذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فوالله ما
يغفل الديان ولا يهمل يا انسان بل ستوضع لك الميزان وكما تدين
تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه وانتقع وجعل
يتأفف من الاين ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فأشكاه
والى المشكو فأشجاه والطف الواعظ وحباه وعزم عليه ان
يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ
يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واعتقبته اخطو متقاصرا
وارئيه لمحا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه
قال خير دليليك من ارشد ثم اقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث	حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث	طورا اخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث	ولا التحى عودي خطب كارث
ولا فرى نابي حد فارث	بل مخلبي بكل صيد ضابث
وكل سرح فيه ذئبي عائث	حتى كأني للأنام وارث

شامهم وحامهم ويافث

فاز الحرث

قال الحرث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد قمت لله ولا
عمرو بن عبيد فهش هشاشة الكريم اذا أُمّ وقال اسمع يا ابن امّ
عليك بالوعد ولو أنّه أحرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فأغبى الورى من أسخط المولى وأرضى العبيد
ثم انه ودع أخدانه وانطلق يسحب أردانه فطلبناه من بعد بالري
واستنشرنا خبره من مدارج الطي فما فينا من عرف قراره ولا دري أي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحرث بن همام قال أويت في بعض الفترات الى سقي الفرات فلقيت
بها كتّابا أبرع من بني الفرات فأطفت بهم لتهذّبهم لا لذهبهم وكاثرتهم
لأدبهم لا لمأدبهم فجالست منهم أضراب القعقاع بن شور ووصلت بهم
الى الكور بعد الحور حتى انهم أشركوني في المرتع والمربع وأحلّوني محلّ
الأنملة من الاصبع واتخذوني ابن انسهم عند الولاية والعزل وخازن
سرّهم في الجدّ والهزل فاتفق أن بدوا في بعض الأوقات لاستقراء مزارع
الرزداقات فاختاروا من الجواري المنشآت جارية حالكة الشيات
تحسبها جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب وتنساب في الحباب كالحباب ثم دعوني

إلى الموافقة واستدعوني للمرافقة فلما توركنا على المطية الدهماء
وتبطنا الولية الماشية على الماء ألفينا بها شيخا عليه سحق سربال
وسب بال فعاف الجماعة محضره وعنفت من أحضره وهمت بإبرازه
من السفينة لولا ما ثاب إليها من السكينة فلما لمح منا استثقال ظله
واستبراد طله تعرض للمنافثة فصمت وحمد بعد أن عطس فما
شمت فأخذ ينظر فيما آلت حاله إليه وينتظر نصر المبغي عليه
وطفقنا نحن في شجون من جد ومجون إلى أن اعترض ذكر الكاتبين وفضلهما
وتبيان أفضلهما فقال قائل إن كتبة الإنشاء أنبل الكتاب ومال
مائل إلى تفضيل الحساب واحتد اللجاج وامتد الحجاج حتى إذا لم يبق
للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم اللغط
وأثرتم الصواب والغلط وإن جلية الحكم عندي فارتضوا بنقدي
ولا تستفتوا أحدا بعدي اعلموا أن صناعة الإنشاء أرفع
وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم المحاسبة حاطب
وأساطير البلاغة تنسخ لتدرس ودساتير الحسابات تنسخ وتدرس
والمنشئ جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ونجي العظماء وكبير
الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان
الهمة وهو البشير والنذير والشفيع والسفير به تستخلص الصياصي

تسائل عن حصين كل ركب وعند جهينة الخبر اليقين
فمن يك سائلا عنه فعندي لسائله البيان المستبين

قال رسول الله صلعم سادات السودان أربعة لقمن ومهجع والنجاشي وبلال

وتُملكُ النّواصي ويُقتادُ العاصي ويُستدنى القاصي وصاحبُهُ بريءٌ
من التّبعاتِ آمنٌ كيدَ السُّعاةِ مُقرّظٌ بين الجماعاتِ غيرُ مُعرّضٍ
لنظمِ الجماعاتِ فلمّا انتهى في الفصلِ إلى هذا الفصلِ لحظَ من لمحاتِ
القومِ أنّهُ ازدرعَ حُبّاً وبُغضاً وأرضى بعضاً وأسخطَ بعضاً فعقّبَ
كلامَهُ بأن قالَ إلّا أنّ صناعةَ الحسابِ موضوعةٌ على التّحقيقِ وصناعةَ
الإنشاءِ مبنيّةٌ على التّلفيقِ وقلمَ الحاسبِ ضابطٌ وقلمَ المنشي خابطٌ
وبين أتاوةِ توظيفِ المعاملاتِ وتلاوةِ طواميرِ السّجلّاتِ بونٌ لا يدركُهُ
قياسٌ ولا يعتورُهُ التباسٌ إذِ الإتاوةُ تملأُ الأكياسَ والتّلاوةُ
تُفرغُ الرّأسَ وخراجُ الأوارجِ يُغني النّاظرَ واستخراجُ
المدارجِ يُعنّي النّاظرَ ثمّ إنّ الحسبةَ حفظةُ الأموالِ وحملةُ الأثقالِ
والنّقلةُ الأثباتُ والسّفرةُ الثّقاتُ وأعلامُ الإنصافِ والانتصافِ
والشّهودُ المقانعُ في الاختلافِ ومنهمُ المستوفي الذي هو يدُ السّلطانِ
وقطبُ الدّيوانِ وقسطاسُ الأعمالِ والمهيمنُ على العمّالِ وإليهِ
المآبُ في السّلمِ والهرجِ وعليهِ المدارُ في الدّخلِ والخرجِ وبهِ مناطُ
الضّرِّ والنّفعِ وفي يدِهِ رباطُ الإعطاءِ والمنعِ ولولا قلمُ الحسّابِ
لأودت ثمرةُ الاكتسابِ ولاتّصلَ التّغابنُ إلى يومِ الحسابِ ولكانَ
نظامُ المعاملاتِ محلولاً وجرحُ الظّلاماتِ مطلولاً وجيدُ التّناصفِ

واحفظ

مغلولا وسيف الظالم مسلولا على أن يراع الإنشاء متقوّل ويراع
الحساب متأوّل والمحاسب مناقش والمنشئ أبو براقش ولكليهما
حمة حين يرتقي إلى أن يلقى ويرقى واغيات في ما ينشي ويغشي حتى
يغشى ويرشي إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
قال الحرث بن همام فلما أمتع الأسماع بما راق وراع استنبأته
فاستراب وأبى الانتساب ولو وجد منسبا بالأنساب فجعلت من
لبسه على عمه ثم ادكرت بعد أمة فقلت والذي سخر الفلك الدوار
والفلك السيار إني لأحدس أبي زيد وإن كنت أعهده ذا رواء وأيد
فتبسم ضاحكا من قولي وقال أنا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لأصحابي
هذا الذي لا يفري فريه ولا يباري عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له
الوجد فرغب عن الألفة ولم يرغب في التحفة وقال أما بعد أن سحقتم
حقي لأجل سحقي وكسفتم بالي لإخلاق سربالي فما أراكم إلا بالعين
السخينة ولا لكم مني إلا صحبة السفينة ثم قال

اسمع أخي وصية من ناصح ما شاب محض الود منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله أو خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه

فهناك إن ترما يشين فواره كرما وإن ترما يزين فأفشه

ومن استحق الارتقا فرقه ومن استحط فحطه في حشه

واعلم بأن التبر في عرق الثرى خاف إلى أن يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه

أو أن تهين مهذبا في نفسه لدروس بزته ورثة فرشه

ولكم أخي طمر هيب لفضله ومفوف البردين عيب لفحشه

وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن أسماله إلا مراقي عرشه

ما إن يضر العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم ان استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح فندم كل منا على ما فرط في ذاته واغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة بزته ولا نزدري سيفا مخبوا في غمده

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الثالثة والعشرون

حدث الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشيته وخوف غشيته فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت

بسير وعور لم تدم منها الخطا ولا اهتدت اليها القطا حتى وردت
حمى الخلافة والحرم العاصم من المخافة فسروت انجاس الروع واستشعرت
وتسربلت لباس الامن وشعاره وقصرت همي على لذة اجتنيها وملحة
اجتليها فبرزت يوما الى الحريم لاروض طرفي واجيل في طرفه طرفي
فاذا فرسان متتالون ورجال منثالون وشيخ طويل اللسان قصير
الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب فركضت
اثر النظارة حتى وافينا باب الامارة وهناك صاحب المعونة
متربعا في دسته ومروعا بسمته فقال له الشيخ اعز الله الوالي
وجعل كعبه العالي اني كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما
ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرد سيف العدوان وشهر ولم — لم آله اي لم اقصر في تعليمه
اخله يلتوي علي ويتقح حين يرتوي مني ويلتقح فقال له الفتى علام
عثرت مني حتى تنشر هذا الخزي عني فوالله ما سترت وجه برك
ولا هتكت حجاب سترك ولا الغيت تلاوة شكرك ولا شققت عصا
امرك فقال له الشيخ ويلك واي ريب اخزى من ريبك وهل عيب
افحش من عيبك وقد ادعيت سحري واستلحقته وانتحلت شعري
واسترقته واستراق الشعر عند الشعراء افظع من سرقة البيضاء — الدراهم
والصفراء وغيرتهم على بنات الافكار كغيرتهم على البنات الابكار

الدنانير

فقال الوالي للشيخ وهل جنيت سرق سلخ أم مسخ أم نسخ فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له أنشد أبياتك برمتها ليتضح ما اختان من جملتها فقال فأنشد

معناه ان شعره من بحر الكامل سداسي الاجزا مقطوع الضرب

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى — وقرارة الأكدا ر

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا — بعدا لها من دا ر

وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى — لجهامه الغدا ر

غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى — بجلائل الأخطا ر

كم مزدهي بغرورها حتى بدا متمردا — متجاوز المقدا ر

قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى — ونزت لأخذ الثا ر

فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى — من غير ما استظها ر

واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى — ورفاهة الأسرا ر

وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى — وتوثب الغدا ر

واعلم بأن خطوبها تفجا ولو طال المدى — ووني مسير الأقدا ر

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا قال أقدم للؤمه وجراءه على أبياتي السداسية الأجزاء فحذف منها جزأين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار الزرى فيها زرين فقال بين ما أخذ ومن أين فلذ فقال ارعني سمعك

جرّد سيفه — تقدّر

وأخلِ للتفهّم عيني ذرعك حتى تتبيّن كيف أصلت عليّ وتقدّر قدر اجترامه
إليّ ثم أنشد وأنفاسه تتصعّد — القافية متدارك

يا خاطبَ الدنيا الدنيّة إنها شَرَكُ الردى
دارٌ متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظلّ سحابها لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي وأسيرها ما يفتدى
كم مزدهًى بغرورها حتى بدا متمرّدا
قلبت له ظهر المجنّ وأولغت فيه المدى — أدخلت
فاربأ بعمرك أن يمرّ مضيّعًا فيها سدى
واقطع علائق حبّها وطلابها تلق الهدى
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا
واعلم بأنّ خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفت الوالي إلى الغلام وقال تبًّا لك من خرّيجٍ مارقٍ وتلميذٍ سارقٍ — ذو المروق عن الحدّ — هلاكًا
فقال الفتى برئتُ من الأدب وبنيه ولحقتُ بمن يناويه ويقوّض مبانيه إن — بمعاديه — تنقض
كانت أبياته نمت إلى علمي قبل أن ألّفت نظمي وإنما اتّفق توارد الخواطر — ارتفعت
كما قد يقع الحافر على الحافر قال وكأنّ الوالي جوّز صدق زعمه فندم على — قوله
بادرة ذمّه وظلّ يفكّر فيما يكشف له عن الحقائق ويميّز به الفائق من

الذي يفوق أصحابه ويعلوهم في الظرف

وقال [illegible] — لو أنّ [illegible] عبد الله صرورة متبتّل [illegible]

وقال أبو نواس
جريتُ مع الهوى طلقَ الجموح وهان عليّ مأثور القبيح
وجدتُ ألذّ عارية الليالي قرانَ النغم بالوتر الفصيح
ومسمعةٍ متى ما شئتُ غنّت متى كان الخيام بذي طلوح
تمتّع من شبابٍ ليس يبقى وصِلْ بعرى الغبوق عرى الصبوح

السابق فلم يرَ إلا أخذهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل واتّضاح الحقّ من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة فقالا له بلسانٍ واحدٍ وجوابٍ متواردٍ قد رضينا بسبرك فمُرنا بأمرك فقال إني مولعٌ من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبياتٍ تلحمانها بوشيه وترصّعانها بحليه وضمّناها شرح حالي مع إلفٍ بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثنّي كثير التيه والتجنّي مغرًى بتناسي العهد وإطالة الصدّ وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد فبرز الشيخ مجلّيًا وتلاه الفتى مصلّيًا وتجاريا بيتًا فبيتًا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتّسق وهي

وأحوى حوى رقّي برقّة لفظه ... وغادرني إلف السهاد بغدره

تصدّى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدّق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خيفة هجره

وأستعذب التعذيب منه وكلّما ... أجدّ عذابي جدّ بي حبّ برّه

تناسى ذمامي والتناسي مذمّةٌ ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه

وأعجب ما فيه التباهي بعجبه ... وأكبر عن أن أفوه بكبره

له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ما تقدم من الإنسان

ولو كان عدلاً ما تجنّى وقد جنى ... عليّ وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثنّيه ثنيت أعنّتي ... بداراً إلى من اجتلى نور بدره

وإني على تصريف أمري وأمره ... أرى المرّ حلواً في انقيادي لأمره

فلما أنشداها الوالي متراسلين، هشّ لذكائهما المتعادلين، وقال أشهد بالله إنكما فرقدا سماء، وكزندين في وعاء، وإنّ هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجده عمّن سواه، فتب أيها الشيخ من اتهامه، وثب إلى إكرامه، فقال الشيخ هيهات أن تراجعه مقتي، أو تعلق به ثقتي، وقد بلوت كفرانه للصنيع، ومنيت منه بالعقوق الشنيع، فاعترضه الفتى وقال يا هذا إنّ اللجاج شؤم، والحنق لؤم، وإعنات البريء ظلم، وهبني اقترفت جريرة، أو اجترحت كبيرة، أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك في إبان أنسك

سامح أخاك إذا خلط ... منه الإصابة بالغلط

وتجاف عن تعنيفه ... إن زاغ يوماً أو قسط

واحفظ صنيعك عنده ... شكر الصنيعة أم غمط

وأطعه إن عاصى وهن ... إن عزّ وادن إذا شحط

واقن الوفا ولو أخلّ ... بما اشترطت وما شرط

واعلم بأنك إن طلبت ... مهذّباً رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

أو ما ترى

أوما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط

كالشوك يبدو في الغصون مع الجني الملتقط

ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال
والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما نزعي عن الاصطلاح
إلا لتوقي الافتضاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأراعي شؤونه
وقد كان الدهر يسح فلم أكن أشح فأما الآن فالوقت عبوس وحشو
العيش بوس حتى إن بزتي هذه عارة وبيتي لا تطوف به فارة قال
فرق لمقالهما الوالي وأوى لهما من عبث الليالي وصبا إلى اختصاصهما
بالإسعاف وأمر النظارة بالانصراف قال الراوي وكنت متشوفا
إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه إذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر
عنه ولا يفرج لي فأدنو منه فلما تقوضت الصفوف وأجفل الوقوف
توسمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذ مغزاه فيما أتاه وكدت
أنقض عليه لأستعرف إليه فزجرني بإيماض طرفه واستوقفني بإيماء كفه
فلزمت موقفي وأخرت منصرفي فقال الوالي ما مرامك ولأيما سبب
مقامك فابتدر الشيخ وقال إنه أنيسي وصاحب ملبوسي فسمح عند هذا ابايسي

الصل حية لا تنفع معها الرقية

جمع شأن وهي الأمور

ورخص في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين
واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف إلى أن يطلع اليوم المخوف فنهضا من
ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما لأعرف مثواهما وأتزود من نجواهما
فلما أجزنا حمى الوالي وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته
مهيباً بي إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبرني فماذا
أقول وفي أي واد معه أجول فقال بين له غباوة قلبه وتلعابي بلبه
ليعلم أن ريحه لاقت إعصاراً وجدوله صادف تياراً فقلت أخاف
أن يتقد غضبه فيلفحك لهبه أو يستشري طيشه فيسري إليك بطشه
فقال إني أرحل الآن إلى الرها وأنى يلتقي سهيل والسها فلما حضرت الوالي
وقد خلا بمجلسه وانجلى تعبسه أخذ يصف أبا زيد وفضله ويذم الدهر له
ثم قال نشدتك الله ألست الذي أعاره الدست فقلت والذي أجلسك في هذا
الدست ما أنا بصاحب ذاك الدست بل أنت الذي تم عليه الدست فازورت
مقلتاه واحمرت وجنتاه وقال والله ما أعجزني قط فضح مريب ولا تكشيف واحمارت صح
معيب ولكن ما سمعت بأن شخصاً دلس بعدما تطلس فبهذا تم له أن لبس
أفتدري أين سكع ذلك اللكع قلت أشفق منك ليتعدى طورك فظعن
عن بغداد من فوره فقال لا قرب الله له نوى ولا كلأه أين ثوى فما زاولت
أشد من مكره ولا ذقت أمر من مكره ولولا حرمة أدبه لأمعنت في طلبه إلى أن يقع

فأوقعه

فاوقع به واني لاكره ان تشيع فعلته بمدينة السلام فافتضح بين الانام
وتحبط مكانتي عند الامام واصير ضحكة الخاص والعام فعاهدني
على ان لا تفوه بما اعتمد ما دمت حالا بهذا البلد قال الحرث بن همام
فعاهدته معاهدة من لا يتاول ووفيت له كما وفي السموال

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الرابعة والعشرون

ابو الفضل الربيع بن يونس بن محمد مولى ابي جعفر المنصور وكان حاجبه اقطعه من ربض بغداد منسوبة اليه

حكى الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان الربيع فتية
وجوههم ابهج من انواره واخلاقهم ابهى من ازهاره والفاظهم ارق من نسيم
اسحاره فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر
وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وان لا ينفرد احد بالتذاذ
ولا يستاثر ولو بزاد فاجمعنا في يوم سما دجنه ونمى حسنه وحكم
بالاصطباح مزنه على ان نلتهي بالخروج الى بعض المروج لنسرح النواظر
في الرياض النواضر ونصقل الخواطر بشيم المواطر فبرزنا ونحن كالشهور
عدة وكندماني جذيمة مودة الى حديقة قد اخذت زخرفها وازينت وتنوعت
ازاهيرها وتلونت ومعنا الكميت المشمول والسقاة الشموس والشادي
الذي يطرب السامع ويلهيه ويقري كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان

بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس وغل علينا ذمير عليه طمر فتجهمناه تجهم العيد الشيب ووجدنا صفو يومنا قد شيب الا انه سلم تسليم اولي الفهم وجلس يغض لطائم النثر والنظم ونحن ننزوي من انبساطه وننبري لطي بساطه الى ان غنى شادينا المغرب ومغردنا المطرب

الام سعاد لا تصلين حبلي … ولا تأوين لي مما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري … وكادت تبلغ الروح التراقي
فها انا قد عزمت على انتصاف … ابا في فيه خلي ما يساقي
فان وصلا الذ به فوصل … وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستغمنا العابث بالمثاني لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني فاقسم بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعبت حينئذ ارا الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طايفة لا يجوز فيهما الا الانتصاب واستبهم على اخرين الجواب واستعر بينهم الاصطخاب وذلك الواغل يبدي ابتسام ذي معرفة وان لم يفه ببنت شفة حتى اذا سكتت الزماجر وصمت المزجور والزاجر قال يا قوم انا انبيكم بتاويله واميز صحيح القول من عليله انه ليجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في الاعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الاضمار والتقدير المحذوف في هذا المضمار قال

فقرطا

نمط من الجماعة إفراط في مماراته وانخراط في سلك مباراته فقال أما
إذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة إن شئتم حرف محبوب أو اسم
لما فيه حرف حلوب وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية
هاء إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل
العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبدا على الظرف ولا يخفضه سوى
حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء
وغدوة وما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله
وأي عامل نائبه أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى
ذكرا وفي أي موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز
ربات الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب
وما اسم لا يعرف إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفي
وضعه الأول التزام وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف بالنون
نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون
فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم وزنة لددكم ولو زدتم زدنا وإن
عدتم عدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا من أحاجيه اللاتي
هالت لما أهالت ما حارت له الأفكار وحالت فلما أعجزنا العوم في
بحره واستسلمت تمائمنا للسحر عدلنا من استثقال الرؤية إلى استنزال

انقادت

الرِّوايةَ عنهُ ومن بغى التبرُّمَ به الى ابتغاءِ التعلُّمِ منهُ فقال والذي نزّل النحوَ في الكلامِ منزلةَ الملحِ في الطعامِ لا أنلتُكم مراماً ولا شفيتُ لكم غراماً أو تُخوِّلني كلُّ يدٍ وتختصَّني كلٌّ منكم بيدٍ فلم يبقَ في الجماعةِ الّا من أذعنَ لحُكمهِ ونبذَ اليهِ خباءَ كمِّهِ فكشفَ حينئذٍ من أسرارِ ألغازهِ وبدائعِ إعجازهِ ما جلا بهِ صدأَ الأذهانِ وجلّى مطلعَهُ بنورِ البرهانِ قال الراوي فهِمنا حين فُهِّمنا وعجِبنا اذ أُجبنا وندِمنا على ما ندِمنا وأخذنا نعتذرُ اليهِ اعتذارَ الأكياسِ ونعرضُ عليهِ ارتضاعَ الكاسِ فقال ما أرَبي لا حَفاوةٌ ومشربٌ لم يبقَ لهُ عندي حلاوةٌ ثمّ شمخَ بأنفهِ صلفاً ونأى بجانبهِ أنفاً وأنشد

نهاني الشيبُ عمّا فيهِ أفراحي فكيفَ أجمعُ بينَ الراحِ والراحِ
وهل يجوزُ اصطباحي من معتّقةٍ وقد أنارَ مشيبُ الرأسِ إصباحي
آليتُ لا خامرتني الخمرُ ما علقت روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتست لي بكاساتِ السُّلافِ يدٌ ولا أجلتُ قِداحي بينَ أقداحِ
ولا صرفتُ الى راحٍ مشعشعةٍ همّي ولا رُحتُ مُرتاحاً الى راحِ
ولا نظمتُ على مشمولةٍ أبداً شملي ولا اخترتُ نُدماناً سوى الصاحي
محا المشيبُ مِراحي حينَ خطَّ على رأسي فأبغِض بهِ من كاتبٍ ماحي
ولاحَ يلحى على جري العِنانِ الى ملهى فسحقاً لهُ من لائحٍ لاحي

حرف ح

ولو لهوت

ولو لهوت وفودي شايب لحنا بين المصابيح من غيبان مضاحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الايم واجفل اجفال الغيم فعلمت انه سراج سروج
وبدر الادب الذي يجتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق

بلغ مقابلة وتصحيحا

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت الغريبة والأحاجي النحوية

اما صدر البيت الاخير من الاغنية الذي هو فان وصلة الذنب فوصل فانه نظير
قولهم المرء مجزي بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر وهذه المسلة اودعها
سيبويه كتابه وجوز في اعرابها اربعة اوجه احدها وهو اجودها ان تنصب خيرا
الاول وترفع الثاني ويكون تقديره ان كان عمله خيرا فجزاوه خير وان كان عمله
شرا فجزاوه شر فينتصب الاول على انه خبر كان ويرتفع الثاني على انه
خبر مبتدا محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط
الذي هو ان على تقديرهما وحذفت ايضا المبتدا لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط
لانه كثيرا ما يقع بعدها والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير
الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا
فينتصب الاول على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به والوجه

وتنصب الاول وترفع الثاني

الثالث أن ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خير فخير او
خير فيرتفع خير الاول على انه فاعل كان ويرتفع خير الثاني على ما بين في الوجه
الاول وقد يجوز أن يرتفع خير الاول على انه فاعل كان وتجعل كان المقدرة هاهنا
هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع ولا تحتاج الى خبر كقوله عز وجل وان كان
ذو عسرة فنظرة ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فخير او خير اي ان حدث
خير فخير او خير والوجه الرابع وهو اضعفها أن ترفع الاول على ما تقدم
شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون
التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات
المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي عني به ومما ينتظم في هذا السلك
قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان خنجرا فخنجر وأما
الكلمة التي هي حرف محبوب واسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم ان اردت بها
تصديق الاخبار والعدة عند السؤال وان عنيت بها الابل فهي اسم والنعم يذكر
ويؤنث ويطلق على الابل وعلى كل ماشية فيها ابل وفي الابل الحرف وهي الناقة
الضامر سميت حرفا تشبيها بحرف السيف وقيل انها الضخمة تشبيها بحرف
الجبل واما الاسم المتردد بين فرد جازم وجمع ملازم فهو سراويل فقال بعضهم
هو واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكني عن ضمه الخصر
بانه جازم وقال آخر هو جمع واحده سروالة مثل شملال وشماليل فهو على هذا

اسم ح
شرح ح
معنى حرف

القول جمع

67

وقد كني في هذه الاحجية عما لا ينصرف باللازم

القول جمع ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع
وهو كل جمع ثالثه ألف بعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بأن لا نظير له في الاسماء الاحاد واما الها التي اذا دخلت اماطت
الثقل واطلقت المعتقل فهي الها اللاحقة بالجمع المقدم الذكر كقولك صيارفة
وصياقلة فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء لانها قد اصارته الى امثال الاحاد
نحو رفاهية وكراهية فخف هذا السبب وصرف لهذه العلة وقد كني في هذه
الاحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كني في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم واما
السين التي تعزل العامل من غير ان تحامل فهي السين التي تدخل على الفعل
المستقبل وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من ادوات النصب فيرتفع
حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل الى أن تصير المخففة من
الثقيلة وذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم انه سيكون
واما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند اذ لا تجره
غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن واما المضاف الذي
اخل من عرى الاضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن
من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور بها الا غدوة فان العرب
نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ثم قال نونتها أيضا ليبين بذلك
انها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف وعند بعض النحويين ان لدن

بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند يشتمل معناها على ما في ملكك ومكنتك وبعد عنك ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك

واما العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسه اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وان كانت يا احول في الكلام واكثر في الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادي باي القريب فقط كالهمزة

واما العامل الذي نايبه ارحب منه وكرا واعظم مكرا واكثر لله تعالى ذكرا فهو با القسم وهذه البا هي اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك اقسم بالله ولدخولها ايضا على المضمر كقولك بك لافعلن ثم ابدلت الواو منها في القسم لانهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والبا تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور في الكلام واعلق بالاقسام ولهذا الغرض بانها اكثر لله تعالى ذكرا ثم ان الواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رب وتنتظم ايضا مع نواصب الفعل وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر

واما الموطن الذي تلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمايم الرجال فهو اول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالها ومع المونث بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما والها في غير هذا الموطن من

علامة التانيث

الرشو[illegible] ان البا لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل عمل الواو

خبا بعو

مثال بخطه

خصايص المونث كقولك قايم وقايمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في
هذا الموطن حكم المذكر والمونث حتى انقلب كل منهما في بز صاحبه وأما
الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه الفاعل
بالمفعول لتعذر ظهور علامة الاعراب فيهما أو في احدهما وذلك اذا كانا مقصورين
مثل عيسى وموسى ومن اسماء الاشارة نحو قولك ذاك وهذا فيجب حينيذ لازالة اللبس
اقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره وأما
الاسم الذي لا يفهم الا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين فهو مهما
وفيه قولان احدهما انها مركبة من مه التي بمعنى اكفف ومن ما والقول الثاني وهو
الصحيح ان الاصل فيها ما ما فزيدت عليها ما أخرى كما تزاد على ان فصار لفظها ما ما
فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من الالف الاولى ها فصار مهما ومهما
من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى الا بايراد
كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل ويكون حينيذ ملتزما للفعل ومتى اقتصرت
منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف فهم المعنى فكنت ملزما من خاطبته أن
يكف وأما الوصف الذي اذا ادرف النون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون
وخرج من الزبون وتعرض للهون فهو ضيف اذا لحقته النون استحال الى ضيفن
وهو الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف والله أعلم

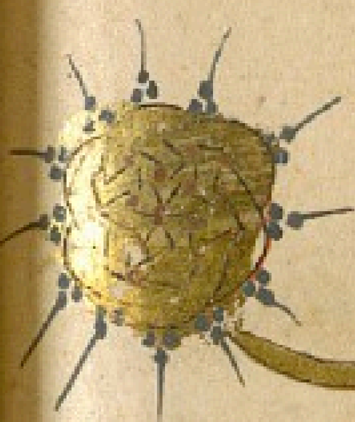
تم التفسير لهذه المقامة

عرض فالبه ٢٣ وز

ط

قال الشاعر وهو الطفيلي الذي [illegible]
لو طبخت قدر بمطمورة أو في ذرى قصر لأقصى الثغور
وكنت بالصين لوافيتها يا عالم الغيب بما في القدور

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة الخامسة والعشرون



حدث الحرث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه وأرب أقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها الناتح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري ومستوقد ناري إلا لضرورة أدفع إليها أو إقامة جماعة أحافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر إلى أن برزت من كناسي لمهم عناني فإذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفويطة وحواليه جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... أصدق من عريي أوان القر

فاعتبروا بما بدا من ضري ... باطن حالي وخفي أمري

وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فإنني كنت نبيه القدر

آوي إلى وفر وحد يفري ... تفيد صفري وتبيد سمري

وتشتكي كومي غداة أقري ... فجرد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر ... ولم يزل يسحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض دري ... وبار شعري في الورى وسعري

وَصِرْتُ نِضْوَ فَاقَةٍ وَعُسْرِ ‏ عَارِيَ المَطَا مُجْرَدًا مِنْ قِشْرِي
كَأَنَّنِي المِغْزَلُ فِي التَّعَرِّي ‏ لَا دِفْءَ لِي فِي الصِّنِّ وَالصِّنَّبْرِ
غَيْرُ التَّضَحِّي وَاصْطِلَاءِ الجَمْرِ ‏ فَهَلْ خِضَمٌّ ذُو رِدَاءٍ غَمْرِ
يَسْتُرُنِي بِمُطْرَفٍ أَوْ طِمْرِ ‏ طِلَابَ وَجْهِ اللهِ لَا لِشُكْرِي

ثُمَّ قَالَ يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ الرَّافِلِينَ فِي الفِرَاءِ مَنْ أُوتِيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ فَلْيُرْفِقْ فَإِنَّ الدُّنْيَا غَرُورٌ وَالدَّهْرَ عَثُورٌ وَالمُكْنَةَ زَوْرَةُ طَيْفٍ وَالفُرْصَةَ مُزْنَةُ صَيْفٍ وَإِنِّي وَاللهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ بِكَافَاتِهِ وَأَعْدَدْتُ الأُهَبَ لَهُ قَبْلَ مُوَافَاتِهِ وَهَا أَنَا اليَوْمَ يَا سَادَتِي سَاعِدِي وِسَادِي وَجِلْدِي بُرْدِي وَجَفْنَتِي حَفْنَتِي فَلْيَعْتَبِرِ العَاقِلُ بِحَالِي وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنِ اتَّعَظَ بِسِوَاهُ وَاسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ فَقِيلَ لَهُ قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ فَقَالَ تَبًّا لِلْمُفْتَخِرِ بِعَظْمٍ نَخِرٍ إِنَّمَا الفَخْرُ بِالتُّقَى وَالأَدَبِ المُنْتَقَى ثُمَّ أَنْشَدَ

لَعَمْرُكَ مَا الإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ ‏ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا الفَخْرُ بِالعَظْمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا ‏ فَخَارُ الَّذِي يَبْغِي الفَخَارَ بِنَفْسِهِ

ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحْقَوْقِفًا وَاجْرَنْثَمَ مُقَفْقِفًا وَقَالَ اللَّهُمَّ يَا مَنْ غَمَرَ بِنَوَالِهِ وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَعِنِّي عَلَى البَرْدِ وَأَهْوَالِهِ وَأَتِحْ لِي حُرًّا يُؤْثِرُ مَعَ خَصَاصَتِهِ وَيُوَاسِي وَلَوْ بِقُصَاصَتِهِ قَالَ الرَّاوِي فَلَمَّا تَجَلَّى عَنِ النَّفَرِ العِصَامِيَّةِ

جعلت عيني تعجمه ومرأى لحظي ترجمه حتى استبنت أنه أبو زيد وأن تعريه أحبولة لصيد ولمح مني أن عرفاني قد أدركه ولم يأمن أن أهتكه فقال أقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه لن يسترني إلا من طابت خيمه واشرب ماء المروءة أديمه فعلمت ما عناه وان لم يدر القوم معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة فعمدت لفروة هي بالنهار رياشي وفي الليل فراشي فنضوتها عني وقلت له اقبلها مني فما كذب أن افترآها وعيني تراها ثم أنشد

لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لي جنه
ألبسنيها واقيا مهجتي وقي شر الإنس والجنه
سيكتسي اليوم ثنائي وفي غد سيكسى سندس الجنه

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا عليه من الفراء المغشاة والجباب الموشاة ما آده نقله ولم يكد يقله فانطلق مستبشرا بالفرج مستقيا للدرج وتبعته الى حيث ارتفعت التقية وبدت السماء نقية فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا تعرّ من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة وطيب تربة طيبة لو لم أتعرّ لرحت بالخيبة وصفر العيبة ثم نزع الى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن

شنشنتي الانتقال من صيدٍ الى صيدٍ والانعطاف من عمرٍو الى زيدٍ وأراك
قد عققتني وعقّقتني وأفتيتني اضعاف ما أفدتني فاعفني عافاك الله من لغوك
واسدد دوني باب جدّك ولهوك فجبذته جبذ اللّعابة وجمجمت به
للدّعابة وقلت له والله لولا اوارك واعظ على عوارك لما وصلت الى صلةٍ
ولا انقلبت اكتسي من بصلةٍ فجازني عن احتباني اليك وسرّي لك وعليك
بأن تسمح لي ببرد الفروة أو تعبّر في كافات الشتوة فنظر اليّ نظرة
المتعجّب وازورّ ازورار المتغضّب ثم قال امّا ردّ الفروة فأبعد من ردّ
أمس الدابر والميت الغابر واما كافات الشتوة فسبحان من طبع على
ذهنك وأوهى وعاء خزنك حتى انسيت ما انشدتك لابن سكّرة

جا الشتا وعندي من حوائجه سبعٌ اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكاس طلا بعد الكباب وكسٌّ ناعمٌ وكسا

ثم قال الجواب يشفي خيرٌ من جلبابٍ يدفي فاكتفي بما وعيت وانكفي ففارقته
وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت على الرعدة طوال شتوتي

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة السادسة والعشرون

الرقطاء

أخبر الحرث بن همام قال حللت سوق الأهواز لابساً حلّة الإعواز فلبثت

فيها مدة أكابد شدة وأزجي أياما مسودة إلى أن رأيت تمادي المقام من عوادي
الانتقام فزممتها بعين القالي وفارقتها مفارقة الطلل البالي وظعنت
عن وشلها كمش الإزار راكضا إلى المياه الغزار حتى إذا سرت منها
مرحلتين وبعدت سرى ليلتين ترأت لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة
فقلت آتيها لعلي أنقع صدى أو أجد على النار هدى فلما انتهيت إلى ظل
الخيمة رأيت غلمة روقة وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية
ولديه فاكهة جنية فحييته ثم حاميته فضحك إلي ثم أحسن الرد علي وأحسن خ
وقال ألا تجلس إلى من تروق فاكهته وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام
محاضرته لا لالتهام ما بحضرته فحين سفر عن آدابه وكشر عن أنيابه
عرفت أنه أبو زيد بحسن ملحه وفتح قلحه فتعارفنا حينئذ وحفت بي
فرحتان ساعتئذ ولم أدر بأيهما أنا أضفى فرحا وأوكى مرحا أبإسفار
من دجنة أسفار أم بخصب رحاله بعد إمحاله وتاقت نفسي إلى أن أفض
ختم سره وأبطن داعية يسره فقلت له من أين إيابك وإلى أين انسيابك
وبم امتلأ عيابك فقال أما المقدم فمن طوس وأما المقصد فإلى السوس وأما
الجدة التي أصبتها فمن رسالة اقتضبتها فسألته أن يعرشني دخلته ويسرد
علي رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس أو تصحبني إلى السوس
فصاحبته إليها قهرا وعكفت بها عليه شهرا وهو يعللني كالتاب...

التعليل ويجرّني أعنّة التأميل حتى إذا حرج صدري وعيل صبري قلت له إنه لم يبق لك علّة ولا لي تعلّة وفي غدٍ أزجر غراب البين وأرحل عنك بخفّي حنين فقال حاش لله أن أخلفك أو أخالفك وما أرجأت أن أجدّثك إلا لأُلبثك وإذا كنت قد استربت بعدتي وأغراك ظنّ السوء بمباعدتي فأصخ لقصص سيرتي الممتدّة وأصغها إلى أخبار الفرج بعد الشدّة فقلت له هات فما أطول طيلك وأهول حيلك فقال اعلم أن الدهر العبوس القاني إلى طوس وأنا يومئذ فقير وقير لا فتيل لي ولا نقير فالجأني صفر اليدين إلى التطوّق بالدين فادّنت بسوء الاتفاق ممن هو عسر الأخلاق وتوسّمت تسنّي النفاق فتوسّعت في الإنفاق فما أفقت حتى هظني دين لزمني حقّه ولازمني مستحقّه فجرت في أمري وأطلعت غريمي على عسري فلم يصدّق إملاقي ولا نزع عن إزهاقي بل جدّ في التقاضي ولجّ في تبادي إلى القاضي وكلما خضعت له في الكلام واستنزلت منه رفق الكرام ورغّبته في أن ينظر لي بمياسرة أو ينظرني إلى ميسرة قال لا تطمع في إنظار واحتجاز النظار فوجّهك ما ترى مسالك الخلاص أو تريني سبائك الخلاص فلما رأيت احتداد لدده وأن لا مناص لي من يده شاغبته ثم واثبته ليرافعني إلى الوالي الجرائم لا إلى الحاكم في المظالم لما كان بلغني من إفضال الوالي وفضله وتشدّد

العاضي وبخله فلما حضرنا باب أمير طوس آنست أن لا بأس ولا بؤس

فاستدعيت دواة وبيضاً وأنشأت رسالة رقطاء وهي

أخلاق سيدنا تحب وبعقوته يلب وقربه تحف ونأيه تلف

وخلته نسب وقطيعته نصب وغربه ذلق وشهبه تألق

وظلفه زان وقويم نهجه بان وذهنه قلب وحرب ونعته شرق وغرب

سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيوف

متلف مخلف أغر فريد نابه فاضل ذكي أنوف

مفلق إن أبان طب إذا با ت هياج وحل خطب مخوف

مناظم شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف ونائل يديه فاض

وشح قلبه غاض وخلف سخائه يحتلب وذهب عيابه يجترب

من لفه لفه فلج وغلب وتاجر بابه جلب وخلب كف عن هضم

بري وبرئ من دنس غوي وقرن لبانه بعز ونكب عن مذهب

كز ليس بوثاب عند هنة شر بل يعف عفة بر

فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب

أخلاقه غر ترف وفوقه فوق إذا ناضلته غلاب

سمح يهش وذو تلاف إن هفا خل فليس بحقه يرتاب

لا باخل بل باذل خرق إذا يعتر برز لا يليه باب

إليه

بلغ مقابلة وتصحيحاً

معناه لا يحجب عن المعتر

يتعرض بالمسألة

السخي الكريم

إنْ عِظاً أُزِلَّ فلَّ غَرْبَ عِظاظِهِ بمنابهِ فانْحَتَّ منهُ نابُ

وجُبِرَ بِمَنْ لَبَّ وفَطِنَ وقَرُبَ وشَطَنَ إنْ أذْعَنَ لِعَقْبِعِ زَمَنٍ

وجابِرُ زَمَنٍ مُذْ دَضَعَ ثَدْيَ لِبانِهِ خُصَّ بإفاضةِ تَهْتانِهِ نَعْشٌ وفَرَجٌ

وضافرٌ فأبهجَ ونافرٌ فأزعجَ وفأبَجُّ ألبجَ أتعبَ مَنْ سَيَلي وقَرَّطَ

إذْ مُتَرَّ وبلي وتَوَّجَ صِفاتهِ بِحُبِّ عِفاتهِ

فلا خلا ذا بهجةٍ يمتدُّ ظِلُّ خِصْبِهِ

فإنّهُ يَبَرُّ بمن آنسَ ضوءَ شُهْبِهِ

زانَ مزايا ظَرْفِهِ بِلُبْسِ خوفِ رَبِّهِ

فليهنَ سيّدَنا بمَناجدَ تأثّلتْ وجَلَّتْ وقُوّةٍ نَمَتْ ونَمَّتْ وبلايمُ

قُرْبُ حَضْرَتِهِ غَوْثُ رِقّهِ يحظُّ من حَظْوَتِهِ فإنّهُ بليدٌ ندبٌ

وشريدٌ جدبٍ وجريحُ نُوَبٍ أثّرتْ وناظمُ قلائدَ تيسّرتْ

إذا جاشَ لخطبةٍ فلا يوجدُ قائلٌ ثُمَّ قسٌّ أو باقلٌ فإنْ جَبَرَ وَلَتْ

جَبْرٌ نمّتْ وخلتْ رياضاً قد نمتْ هذا ثُمَّ شرّبهُ يرضْ وقوتُهُ

قَرْضٌ وفِلْقَةٌ غَسَقٌ وجلبابُهُ خَلَقٌ وقد قَلِقَ لتوعّدِ غَرِمٍ

غاشمٍ يَسْتَحِثُّهُ بحقٍّ لازمٍ فإنْ مَنَّ سيّدُنا بهِباتِ كفّهِ توشّحَ بمجدٍ

باقٍ ونابَ أجرُ فكّي من وثاقٍ لا خلتْ سجايا خلقهِ ترفدُ شائمَ برقهِ

بمن رَبٍّ أزليٍّ حيٍّ أبديٍّ قال فلمّا استشفَّ

الأمر لأليها ولمح السر المودع فيها أوعز في الحال بقضاء ديني
وفصل ما بين خصمي وبيني ثم استخلصني لمكاثرته واختصني بأثرته
فلبثت بضع سنين أنعم في ضيافته وأرتع في ريف رأفته حتى إذا
غمرتني مواهبه وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما ترى
من حسن الحال قال فقلت له فشكرا لمن أتاح لك لقيان
السمح الكريم وأنقذك من ضغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة
الجد والخلوص من الخصم الألد ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من
العطاء أم أتحفك بالرسالة الرقطاء قلت إي لا بل الرسالة أحب
إلي فقال وهو وحقك أخف علي فإن نحلة ما يلج في الآذان
أهون من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كأنه أنف واستحيا
فجمع لي بين الرسالة والحذيا ففزت منه بسهمين وفصلت عنه
بغنمين وأبت إلى وطني قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة السابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ملت في ريّق زماني الذي غبر إلى مجاورة
أهل الوبر لآخذ أخذ نفوسهم الأبية وألسنتهم العربية فشمرت

تشمير

تسمية من لا يألو جهدا وجعلت أضرب في الأرض غورا ونجدا الى أن
اقتنيت هجمة من الراغية وثلة من الثاغية ثم أويت الى عرب أرداف
أقيال وأبناء أقوال فأوطنوني أمنع جناب وفلّوا عني حدّ كل ناب فما
تأوّبني عندهم همّ ولا قرع صفاتي سهم الى أن أظلتني ليلة منيرة البدر
بهجة غرة الدهر فلم أطب نفسا بالغاء طلبها والغاء حبلها على غاربها
فتدثرت فرسا محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتي جمعاء
أجوب البيداء وأقتري كل نجد ومرداة الى أن نشر الصبح راياته
وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لأداء المكتوبة
ثم جلت في صهوتها وفررت عن نجوتها وسرت لا أرى أثرا الا اقتفوته ولا
نشزا الا علوته ولا واديا الا اجزعته ولا راكبا الا استطلعته وجدّي
مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد وردة صدرا الى أن حانت صكة عمي
ولفح هجير يذهل غيلان عن مي وكان يوما أطول من ظل القناة
واحرّ من دمع المقلاة فأيقنت أني ان لم استكن من الوقدة واستجم
بالرقدة أدنفني اللغوب وعلقت بي شعوب فنحوت الى سرحة كثيفة
الأغصان وريقة الأفنان لأغوّر تحتها الى المغيربان فوالله
ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى سائح في هيئة سائح
وهو منتجع نجعتي ويشتد الى بقعتي فكرهت انعياجه الى معاجي واستعذت

رجوت يتعرض يظهر

بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت أن يتصدى منشدا أو يتبدى مرشدا
فلما اقترب من سرحتي وكاد يحل بساحتي ألفيته شيخنا السروجي
متشحا بجرابه ومضطغنا اهبة جوابه فاستني ازورد وانباني ما
ما شرد ثم استوضحته من أين أثره وكيف عجره وبجره
فانشد بديها ولم يقل ايها

قل لمستطلع دخيلة أمري لك عندي كرامة وعزان
أنا ما بين جوب أرض فارض وسرى في مفازة فمفان
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكان
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جزان
لس لي ما اسا ان فات او احزن ان حاول الزمان ابتزان
غير اني ابيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى منجان
ارقد الليل مل عيني وقلبي بارد من حرارة وحزان
لا ابالي من اي كاس تفوقت ولا ما حلاه من مزان
لا ولا استجيز ان اجعل الذل مجازا الى تسني احسان
واذا مطلب كسى حلة العار فبعدا لمن يروم نجان
ومتى اهتز للدناة بكس عاف طبعي طباعه واهتزان
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنان

جفني

ثم دفع

ثم رفع الي طرفه وقال لأمر ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر ناقتي
الشاردة وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الالتفات الى ما فات
والطماح الى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو أنه وادٍ من ذهب ولا تستمل
من مال عن ريحك وأضرم نار تباريحك ولو كان ابن يوحك أو شقيق
روحك ثم قال هل لك في أن تقيل وتحامي القال والقيل فإن الأبدان
أنضاء تعب والهاجرة ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشط الفاتر
كقائلة الهواجر وخصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما اريد
أن أشق عليك فافترش الترب واضطجع وأظهر أن قد هجع وارتفقت
على أن أحرس ولا أنعس فأخذتني السنة لما زمت الألسنة فلم أفق
الا والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجي ولا المسرج فبت
بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر النجوم
أفكر تارة في رحلتي وأخرى في رجعتي الى أن وضح لي عند افترار ثغر
الضوء في وجه الجو راكب يخد في الدو فألمعت اليه بثوبي ورجوت
أن يعرج الى صوبي فلم يعبأ بالماعي ولا أوى للثاغي بل سار على هينته
وأصماني بسهم إهانته فأوفضت اليه لأستردفه وأحتمل تعجرفه
فلما أدركته بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيته
وضالتي لقطته فما كذبت أن أدرنته عن سنامها وجاذبته طرف زمامها

وقلتُ أنا صاحبها ومضلّها ولي رِسْلها ونسلها ولا تكن كأشعب فتَتعب
وتُتعب فأخذ يلدغ ويصي ويشج ولا يستحيي ويسمّا هو ينز ويلين
ويستأسد ويستكين غشينا ابو زيد لابساً جلد النمر وهاجماً هجوم
السيل المنهمر فخفت والله ان يكون يومه كأمسه وبدنه مثل شمسه
فالحق بالقارظين وأصير أثراً بعد عين فلم أرَ الآن اذ ذكرته العهود
المنسية والغفلة الأمسية وناشدته الله أواني اليوم للتي لا في ام لما
فيه إبلائي فقال معاذ الله ان اجهز على مكلومي أو أصل حروري بسمومي
بل وافيتك لأخبر كنه حالك وأكون يميناً لشمالك فسكن عند ذلك
جأشي وانجاب استيحاشي واطلعته طلع اللجة وتبرّع صاحبي بالحجة
فنظر اليه نظر ليث العريسة الى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح
واقسم بمن انار الصبح لئن لم ينج منجى الذباب ويرض من الغنيمة بالاياب
ليوردنّ سنانه وريده وليفجعنّ به وليده ووديده فنبذ زمام
الناقة وحاص وأفلت وله حصاص فقال لي ابو زيد تسلّمها وتسنّمها
فانها احدى الحسنيين وبل أهون من ويلين قال الحرث بن همام
فحرت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضرّه وكأنه نوجي بذات
صدري أو تكهّن ما خامر سرّي فقابلني بوجه طليق وانشد
بلسان ذليق

يا اخي

75

ظلي

...ن ويركض طرفه أيما

...إلى حلقي بعد اللتيا

...م الألفاظ

بلغت مقابلة وتصحيحا

وأيتي

قوله رحمه الله ولا تكن كأشعب

هو أشعب الطامع واسمه شعيب بن جبير وكنيته أبو العلاء مولى عثمن بن عفان
رضي الله عنه وفي ولايه اختلاف وهو خال محمد بن عمر الواقدي وكان اشعب
من اهل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ادرك خلافة عثمان وله نوادر ماثورة واخبار
مشهورة فمنها ما رواه عبد الله بن سليمن عن الاصمعي قال مر اشعب الطامع فجعل
الصبيان يلعبون به حتى آذوه فقال لهم ويحكم سالم بن عبد الله يقسم تمرا
من صدقة عمر قال فمر الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا اشعب معهم وقال
ما يدريني والله لعله حق وقد روي عن ابي عبد الله المقري قال قال
اشعب ما خرجت من جنازة قط فرأيت اثنين يتساران الا ظننت
ان الميت اوصى لي بشيء وحدث محمد بن الحسين عن بعض من سمع

قوله ريو رمالي يعني اوله وقد تشدد اليا فيقال ريق وقوله اخذ اخذ نعوسهم
يعني اعتدي يقال منه اخذ اخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الابل
والثلة القطيع من الغنم والراغية الابل والثاغية الغنم ومنه قولهم ما له راغية ولا
ثاغية اي لا ناقة ولا شاة وقوله ارداف قيال اي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله
ابنا اقوال اي فصحا يقال للمنطيق انه ابن اقوال وقوله فقد ثرت فرسا محضارا
الدثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار الشديد العدو ماخوذ من
الحضر وقوله اقري كل شجرا ومردا اتتبع الارض ذات الشجر والمرد الخالية
من النبات ومنه اشتقاق الامرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي الى
صلاته يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة

والأمرد

فلا لبنه

وقلت أنا صا...

وتبعـ فأخ...

ويستأسد و...

السيل المنهمـ...

فالحق بالقا...

المنسية والـ...

فيه إلا في...

بل وافيتك لـ...

منه قال قال اشعب جاءتني جاريتي بدينار فأودعتنيه فجعلته تحت
مصلاي بين يدي ثم جاءتني بعد ايام فقالت هات الدينار فقلت ارفعي المصلى
فان كان ولد فخذي ولده ودعيه وقد كنت جعلت معه درهما فرفعت
المصلى واخذت الدرهم فقلت لها ان تركتيه فكذلك كل جمعة درهما
فتركته وعادت في الجمعة الثانية وقد كنت اخذته فلم تر فبكت
وصاحت فقلت لها ما يبكيك قالت الدينار سرقته فقلت لها مات دينارك
في النفاس فبكت فقلت لها يا رعنا تصدقين بالولادة ولا تصدقين بالموت النفا
قال ابو بكر الخطيب توفي اشعب في سنة اربع وخمسين ومائة

جاشي وانجاب استحيائي واطلعته طلع اللجة وتبرع صاحبي بنجده
فنظر اليه نظر ليث العريسة الى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح
واقسم بمن انار الصبح لئن لم ينح منحى الذباب ويرض من الغنيمة بالإياب
ليوردن سنانه وريده وليفجعن به وليده ووديده فنبذ زمام
الناقة وحاص وأفلت وله حصاص فقال لي أبو زيد تسلمها وتسنمها
فإنها إحدى الحسنيين ونيل أهون من نيلين قال الحارث بن همام
فحرت بين لوم أبي زيد وشكره وزنة نفعه بضره وكأنه نوجي بذات
صدري أو تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق وأنشد
بلسان ذليق

يا اخي

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي

إن يكن ساءك أمسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

ثم قال أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق وأنى يفري أديم الأرض وركض طرفه أيما ركض فما عدوت أن اقتعدت مطيتي وعدت لطيتي حتى وصلت الحلي بعد اللتيا

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

بلغت مقابلة وتصحيحا

قوله ريق زماني يعني أوله وقد تشدد اليا فيقال ريّق وقوله اخذ اخذ نعوسهم يعني اقتدي يقال منه اخذ اخذه بكسر الهمزة وفتحها والهجمة نحو المائة من الإبل والثلة القطيع من الغنم والراغية الإبل والثاغية الغنم ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة وقوله أرداف المقاول أي يخلفون الملوك إذا غابوا وقوله أبنا أقوال أي فصحا يقال للمنطيق إنه ابن أقوال وقوله قد ثرت فرسا محضيا والثر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار والمحضير الشديد العدو ومأخوذ من الحضر وقوله اقري كل شجرا ومردا أتتبع الأرض ذات الشجر والمردا الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمرد لخلو وجهه من الشعر وقوله حيعل الداعي إلى صلاته يعني به قول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة

ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة
والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا إله إلا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة
حكاية قول لا حول ولا قوة إلا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله والحسبلة حكاية قول
حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك
وقوله فنزلت عن متن الركوبة يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب
وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم والصهوة مقعد الفارس والشحو الخطو والجزع
قطع الوادي عرضا وقوله صكة عمي يعني قايم الظهيرة وقد اختلف في
اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا فغزا قوما عند قايم الظهيرة وصكهم صكة
شديدة فصار مثلا لكل من جا ذلك الوقت وقيل المراد به الظبي لانه يسدر
في الهواجر فيصطك كاصطكاك الاعمى ثم صغر تصغير الترخيم فقيل عمي كما بما يستقبله
صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله كان يوما اطول من ظل
القناة يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بابهام القطاة
والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقوله احر من دمع المقلاة المقلاة التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا حار لحزنها
لانه يقال ان دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له اقر
الله عينه ماخوذ من القر وهو البرد وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه ماخوذ

من السخنة

بن السخنه وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار وكان دعاله ان
يرزق ما تقر به عينه حتى لا تطمح الى ما لغيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلاة
اذا وطيت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن خازم في قوله

تظل مقاليت النسا يطانه يقلن الا يلقى على المرء ميزر

وقوله علقت بي شعوب يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم اداة التعريف مثل دجله وعرفه
وقوله اغور بحتها الى المغيربان التغوير النزول للقايلة كما ان التعريس النزول
آخر الليل للتهويم والاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان تصغيره المغيرب الا
ان العرب الحقت آخره الفا ونونا على طريق الشذوذ وقوله مضطغنا اهبة
تجوابه الاضطغان ان يحمل تحت ضبنه فاول مراتب الحمل الابط ثم يليه
الضبن وهو اسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجميع
المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء لا غير وقيل
تنضال وقوله عجري وبجري يريد به جميع امري الظاهر والباطن والعجر
اصله العقد الناتية في العصب والبجر العقد الناتيه في البطن وقوله ولم يقلد
الهاي اي لم يامرني بالكفا[…] المستزاد ابه وللمستكف الها وقوله لامر ما جدع
قصير انفه قصير هذا مولى جذيمه الابرش وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبا
مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي ابن اخت جذيمه هو الذي جدع انفه
اتهاما له بانه الذي غش خاله جذيمه اذ اشار عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها

قبايح

التحوّجه
والاضطغان ان يحمله

حتى جهزته مرارا الى العراق وكان يأتيها بالطرف منه الى أن استصحب في آخر
نوبة الرجال في الصناديق وتوصل الى قتلها والاخذ بثار مولاه وقصته مشهورة
وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب اشار الى انه ولد في باحة
الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسما الذكر وقوله
في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر ابو بكر بن دريد
هذا القول وقال هما طلوع نجمين وقوله بت بليلة نابغية اومى به الى
قول النابغة فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع
وقوله ألمعت اليه بثوبي يعني أشرت يقال منه ألمع ولمع بمعنى وقوله
يلدغ ويصي هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صأت العقرب تصي صئيا
بفتح الصاد وكسرها اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في المعنى
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان
وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال ان أصله
الجدي ينزو وهو صغير فاذا كبر لان وقوله لابسا جلد النمر هذا المثل
يضرب للمتنمر الجري لان النمر اجرا سبع واقله احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق
قولهم تنمر اي صار مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين الاصل في القارظ
انه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما
من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف

لما خرجا

لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غايب لا يرجا ايابه واليهما اشار ابو ذويب في قوله

وحتى يووب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوايل

وقوله حروري بسمومي الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الهابة نهارا الحارة

وقد تقام احداهما مقام الاخرى مجازا وقول بعضهم الحرور تكون ليلا ونهارا والسموم

تختص بالنهار وقوله ليث العريسة يعني ماوى السبع يقال فيه عريس

وعريسة باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة

فاما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الها وقوله افلت وله حصاص هذا

المثل يضرب لمن نجا من مهلكة اشفى عليها بعد ما كاد يهوي فيها والحصاص

العدو وقيل انه الضراط وقوله وبل اهون من وبلين هذا المثل يضرب

تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الشاعر

ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض

وقوله انا تئق وانت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق

فان التئق هو الممتلي غيظا ماخوذ من قولهم اتأقت الانا اذا ملاته والمئق

هو الباكي وكان التئق ينزع الى الشر والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله

قول الاخر انا كلف وانت صلف فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي

ووجهي وقد يقال طية بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير

التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لان القياس ان يضم اول الاسم اذا صغر

وقد أقر هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره لأن العرب عوضته عن
ضم أوله أن زادته ألفا في آخره واجرت اسماء الاشارة عند تصغيرها على حكمه
وقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا فعيل هما من اسماء الداهيه وقيل
المراد بهما صغير المكروه وكبيره

بلغ مقابلة وتصحيحا

بلغ شرف الله خلاله ووصل جلاله وبلغه آماله

المقامة الثامنة والعشرون

أخبر الحرث بن همام قال استبضعت في بعض أسفاري القند وقصدت به
سمرقند وكنت يومئذ قويم الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس
المراح الى غرض الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملامح السراب
فوافيتها بكرة عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت الى
أن حصلت البيت فلما بلغت اليه قيدي وملكت قول عندي عجلت الى الحمام
على الأثر فأمطت عني وعثاء السفر وأخذت في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت
في هيئة الخاشع الى مسجدها الجامع لألحق بمن يقرب من الامام ويقرب أفضل
الأنعام فحظيت بأن جليت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة
ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى اذا اكتظ
الجامع بحفله واظل تساوي الشخص وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم الغسل يوم الجمعة واجب وعنه أيضا انه قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر

عُصبته فارتقى في منبر الدعوة الى أن مثل بالذروة فسلّم مشيرا باليمين
ثم قعد حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال ــــــــــــ
الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو
لحسم اللأواء مالك الامم ومصوّر الرمم واهل السماح والكرم ومهلك عاد
وارم ادرك كل سر علمه ووسع كل مصرّ حلمه وعمّ كل عالم طوله
وهدّ كل مارد حوله احمده حمد موحّد مسلم وادعوه دعاء مؤمّل مسلّم
وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد ولا
ردء معه ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام ممهدا وللملة موطدا
ولأدلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا وصل الارحام
وعلّم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الإحلال
والإحرام كرّم الله محله وكمّل الصلوة والسلام له ورحم آله الكرماء
واهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام وسرح سوام وسطا حسام
اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء
واردعوا اهواءكم ردع الاعداء واعدوا للرحلة اعداد السعداء وادّرعوا
حلل الورع وداووا علل الطمع وسوّوا اود العمل وعاصوا وساوس
الامل وصوّروا لأوهامكم حؤول الاحوال وحلول الاهوال ومساورة
الاعلال ومصارمة المال والآل وادّكروا الحمام وسكنى مصرعه

والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله
ومطلعه والمح الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما
وأمر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سك المسامع
وإرداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع
والمحسود والحساد والأساود والآساد ما مول الآمال وعكس
الآمال ولا وصل الأوصال وكلم الأوصال ولا سر الأوساء ولؤم
وأساء ولا أصح الأولاد الداء وروع الأوداء الله الله علمكم الله الإله
مداومة اللهو ومواصلة السهو وطول الإصرار وحمل الآصار
واطراح كلام الحكماء ومعاصاة إله السماء أما الهرم حصادكم
والمدر مهادكم أما الحمام مدرككم والصراط مسلككم
أما الساعة موعدكم والساهرة موردكم أما أهوال الطامة لكم
مرصدة أما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك وورادهم
حالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لا مال أسعدهم ولا ولد ولا عدد
حماهم ولا عدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه
وأحكم طاعة مولاه وكد لروح مأواه وعمل ما دام العمر مطاوعا (وكدح)
والدهر موادعا والصحة كاملة والسلامة حاصلة وإلا دهمه
عدم المرام وحصر الكلام وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدو الحواس

ومرابض الانعام آهالها حسن المأكول وامدها سرمد ومماره
مكمد ما لوهله حاسم ولا لسدمه راحم ولا له مما عراه عاصم
ألهمكم الله أحمد الإلهام وردّاكم رداء الإكرام وأحلّكم دار السلام
وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام وهو أسمح الكرام والمسلّم والسلام
قال الحرث بن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا
بغير نقط دعاني الإعجاب بنمطها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب
فأخذت أتوسمه جدا وأقلب الطرف فيه مجدا إلى أن وضح لي بصدق
العلامات أنه أبو زيد ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت في ذلك
الوقت فأمسكت حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار في الأرض
ثم واجهت تلقاه وابتدرت لقاه فلما حظي خف في القيام وأحفى في
الإكرام ثم استصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره وحين
انتشر جناح الظلام وحان ميقات الإنام أحضر أباريق المدام
مختومة بالفدام فقلت أتحسوها أمام النوم وأنت إمام القوم
فقال مه أنا بالنهار خطيب وفي الليل أطيب فقلت والله ما أدري
أعجب من تسليك عن اناسك ومسقط رأسك ومدار كاسك أم من خطابتك
مع ادناسك ومدار كاسك فأشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني
لا تبك إلفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيف ما دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا ومثّل الأرض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشر وداري فاللبيب من دارى
ولا تضع فرصة السرور فما تدري أيوما تعيش أم دارا
واعلم بأن المنون جائلة وقد أدارت على الورى دارا
وأقسمت لا تزال قابضة ما كرّ عصر المحيا ومادارا
وكيف ترجا النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرّعني اليمين الغموس على أن أحفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه ورعيت ذمامه ونزّلته بين الملا منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي إلى أن هيأ إيابي فودعته وهو مصرّ على التدليس ومستحسن للخندريس





المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ

الناقص والجد الناكص الى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق
وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في ايطانه
وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم أنافس في أجرة فما كان
الا كلمح البصر أو كنبض حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول لنزيله
في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه
البدري واللون الدري والأصل النقي والجسم الشقي الذي قبض ونشر
وسجن وشهر وسقي وفطم وأدخل النار بعدما لطم ثم اركض الى
السوق ركض المشوق فقايض به اللاحج الملح المفسد المصلح
المكمد المفرح المغني المروح ذا الزفير المحرق والحنين المشوق
واللفظ المقنع والنيل الممتع الذي اذا طرق رعد وبرق وباح بالحرق
ونفث في الحرق فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق الا صدر الصادر
برز فتى يميس وما معه أنيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول وتغري
بالدخول في الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأخبر فحوى الكلام
فلم يزل يسعى سعي العفاريت ويتفقد نضائد الحوانيت حتى انتهى عند
الرواح الى حانوت القداح فناول بايعها رغيفا وتناول منه قدحا
لطيفا فعجبت من فطانة المرسل والمرسل وعلمت انها سر وجيه
وان لم أسأل وما كذبت ان بادرت الخان مطلق العنان لأنظر

إلام

التكهن

تقارضا اثنى كل واحد على صاحبه

كنه فهمي وهل قرطس في التكهن سهمي فاذا انا في الغرابة فارس وابو
زيد بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى اللقاء وتقارضنا تحية
الاصدقاء ثم قال ما الذي نابك حتى زايلت جنابك قلت دهر هاض
وجور فاض فقال والذي انزل المطر من الغمام واخرج الثمر من الاكمام
لقد فسد الزمان وعم العدوان وعدم المعوان والله المستعان
فكيف افلت وعلى اي وصفيك اجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا
وادلجت فيه خميصا فاطرق ينكت في الارض ويفكر في ارتياد القرض
والفرض ثم اهتز هزة من اكتسب قنص او بدت له فرص وقال قد
علق بقلبي ان تصاهر من يأسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف
اجمع بين غل وقل ومن الذي يرغب في ضل بن ضل فقال انا المشير لك
واليك والوكيل لك وعليك مع ان دين القوم جبر الكسير وفك الاسير
واحترام العشير الا انهم لو خطب اليهم ابرهيم بن ادهم او جبلة بن
الايهم لما زوجوه الا على خمس مائة درهم اقتدا بما مهر الرسول
زوجاته وعقد عليه انكحة بناته على انك لن تطالب بصداق ولا تلجأ
الى طلاق ثم اني ساخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة
لم تفتق رتق سمع ولا خطب مثلها في جمع قال الحرث بن همام
فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة حتى قلت له

استصلاح المشير

قد وكلتُ إليك هذا الخطب فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ فنهض
مُهَرْوِلًا ثم عاد متهلّلًا وقال أبشر بإعتاب الدهر واحتلاب الدرّ
فقد وُلّيتُ العقد وأُكفلتُ النقد وكأنْ قدْ ثم أخذ في مواعدة أهل
الخان وإعداد حلواء الخوان فلما مدّ الليل أطنابه وأغلق كل ذي
باب بابه أذّن في الجماعة ألا احضروا في هذه الساعة فلم يبق فيهم
إلا من لبّى صوته وحضر بيته فلما اصطفّوا لديه واجتمع الشاهد
والمشهود عليه جعل يرفع الأصطرلاب ويضعه ويلحظ التقويم
ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي النوم فقلت يا هذا أضع الغابر
في الرأس وخلّص الناعس فنظر نظرةً في النجوم ثم انتشط من عقله الوجوم
وأقسم بالطور والكتاب المسطور لينكشفنّ سرّ هذا الأمر المستور
ولينشرنّ ذكره إلى يوم النشور ثم إنه جثا على ركبته واسترعى
الأسماع لخطبته وقال الحمد لله المحمود
المالك الودود مصوّر كل مولود ومآل كل مطرود ساطح
المهاد وموطّد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهّل الأوطار
عالم الأسرار ومدركها ومدمّر الأملاك ومهلكها
ومكوّر الدهور ومكرّرها ومورد الأمور ومصدرها عمّ
سماحه وكمل وهطل ركامه وهمل وطاوع السؤل والأمل

وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمداً ممدوداً مداه وأوحّده كما وحّده
الأوّاه وهو الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدّله وسوّاه أرسل
محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام ومسدداً للرعاع ومعطلاً
أحكام ودّ وسواع أعلم وعلّم وحكم وأحكم وأصّل الأصول ومهّد
وأكّد الوعود وأوعد واصل الله له الإكرام وأودع روحه السلام
ورحم آله وأهله الكرام ما لمع آل وملع رأل وطلع هلال وسمع
إهلال اعملوا رحمكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال
واطّرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه وصلوا الأرحام
وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا أهل الصلاح والورع
وصارموا رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار
مولداً وأسراهم سؤدداً وأحلاهم مورداً وأصحّهم موعداً وها
هو أمّكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرّمة وماهراً لها
كما مهر الرسول أم سلمة وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملّك ما أراد
وما سها مملّكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم أسأل الله لكم
إحماد وصاله ودوام إسعاده وألهم كلاً إصلاح حاله والإعداد
لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله محمد قال
فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد العقد

التي يبقى ذكرها على الأبد

أي بالموافقة والالتيام والاجتماع مع الأهل وكان ذلك في الجاهلية فأبطله الإسلام

على الخمس المبين وقال لي بالرفاء والبنين ثم أحضر الحلوا التي كان أعدها
وأبدى الآبدة عندها فأقبلت إقبال الجماعة عليها وكدت أهوي بيدي
إليها فزجرني عن المواكلة وأنهضني للمناولة فوالله ما كان بأسرع من
تصافح الأجفان حتى خر القوم للأذقان فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية
أو صرعى بنت خابية علمت أنها إحدى الكبر وأم العبر فقلت له
يا عدي نفسه وعبد فلسه أأعددت للقوم حلوا أم بلوى فقال لم
أعد خبيص البنج في صحاف الخلنج فقلت أقسم بمن أطلع الزهرا
وهدى بها السائرين طرا لقد جئت شيئا نكرا وأبقيت لك في
المخزيات ذكرا ثم جرت فكرة في صدور أمري وخيفة من عدوى عري
حتى طارت نفسي شعاعا وأرعدت فرائصي ارتياعا فلما رأى استطارة
فرقي واستشاطة قلقي قال ما هذا الفكر المرمض والروع الموفض
فإن يكن فكرك في أجلي من أجلي فأنا الآن أربع وأطفر وأطوي هذه
البقعة مني وأقفر وكم مثلها فارقتها وهي تصفر وإن يكن نظرا
لنفسك وحذرا من حبسك فتناول فضالة الخبيص وطب نفسا عن القميص
حتى تأمن المستعدي والمعدي ويتمهد لك المقام بعدي وإلا فالمفر
المفر قبل أن تسحب وتجر ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من الأكياس
والتخوت وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة كل مذروع وموزون

حتى غادر ما ألفاه نحله كعظم استخرج مخه فلما همّ مما اصطفاه
ورزم وشمّر عن ذراعيه وتحزّم أقبل عليّ من لبس الصفاقة وخلع
الصداقة وقال هل لك في المصاحبة الى البطيحة لأصلات بأخرى مليحة
فأقسمت له بالذي جعله مباركا أينما كان ولم يجعله ممن خان
إنه لا قبل لي بنكاح حرّتين ومعاشرة ضرّتين ثم قلت له قول المطبوع
بطباعه الكايل له بصاعه قد كفتني الأولى نحرا فاطلب آخر للأخرى
فتبسم من كلامي ودلف لا لتراسي فلويت عنه عذاري وأبديت له
ازوراري فلما بصر بانقباضي وتجلى له إعراضي أنشد

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما أتيت فإنني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم إلا مخيف إن تمكن أو مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الذيب الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كأنهم سقوا كأس الحتوف

فحكمت

وتحكّمتْ فيما اقتنوْه يدي وهم رَغْمُ الأنوفْ
ولطالما خلّفتُ مكلومَ الحشا خلفي يطوفْ
ووترتُ أربابَ الأرائكِ والدرانكِ والسُّجوفْ
ولكم بلغتُ بحيلتي ما ليس يُبلَغ بالسيوفْ
ووقفتُ في هولٍ تُراعُ الأُسْدُ فيه من الوقوفْ
ولكم سفكتُ وكم فتكتُ وكم هتكتُ حِمى أنوفْ
وكم ارتكاضٍ مُوبقٍ لي في الذنوبِ وكم خفوفْ
لكنّني أعددتُ حسنَ الظنِّ بالمولى الرؤوفْ

قال فلمّا انتهى إلى هذا البيتِ لجّ في الاستعبار وألظَّ بالاستغفار حتّى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوتُ له ما يُرجى للمقترف المعترف ثمّ إنّه غيّض دمعه المنهلّ وتأبّط جرابه وانسلّ وقال لابنه احمل الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلمّا رأيتُ انسياب الحيّة والحيية وأنّها الداء إلى الكيّة علمتُ أنّ تربّثي بالخان مجلبة للهوان فضممتُ رحلي وجمعتُ للرحلة ذيلي وبتُّ ليلتي أسري إلى الطيب وأحتسب الله على الخطيب

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة الثلاثون

بلغت قراءة

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلد صور
فلما حصلت بها ذا رفعة وخفض وما لك رفع وخفض تقت الى مصر توقان
السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة
ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر ابن النعامة واجفلت نحوها
اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين
كلفت بها كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينما انا
يوما بها اطوف وتحتي فرس قطوف اذ رأيت على جرد من الخيل عصبة
كمصابيح الليل فسألت لابتغاء النزهة عن العصبة والوجهة فقيل
اما القوم فشهود واما المقصد فاملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط
على ان سرت مع الفراط لافوز بحلاوة اللقاط واحوز حلوا السماط
فافضينا بعد مكابدة العناء الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء
تشهد لبانيها بالثراء والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدمنا
الاقدام للدخول رأيت دهليزها مجللا باطمار مخرقة ومكللا بمخارف
معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق دكة لطيفة فرابني عنوان الصحيفة
ومرأى هذه الطريفة ودعاني التطير بتلك المناحس الى ان عمدت
لذلك الجالس فعزمت عليه بمصرف الاقدار ليعرفني من رب هذه الدار
قال ما لها مالك معين ولا صاحب مبين انما هي مصطبة المقيمين والمدروزين

وطنافس مفروشة صح

وَوَلِيجَةُ المستفتين والمجلوزين فقلتُ في نفسي انا لله على ضلّة المسعى وانحال
المدّعي وهممتُ في الحال بالرجعى لكنني استهجنتُ العود من فوري والقهقرة
دون غيري فولجتُ الدار متجرّعًا الغصص كما يلج العصفور القفص فاذا
فيها ارايكُ منفوشة ونمارق مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل المملّك
يميس في بردته ويتبهنس بين حفدته فحين جلس كانّه ابن ماء السماء نادى
منادٍ من قبل الأحماء وحرمة ساسان استاذ الأستاذين وقدوة
الشحّاذين لا عقد هذا العقد المبجّل في ذا اليوم الأغرّ المحجّل الّا
الذي جال وجاب وشبّ في الكدية وشاب فأعجب رهط الصهر ما أشار
اليه وأذنوا في احضار المنصوص عليه فبرز حينئذ شيخ قد أمال الملوان
قامته ونوّر الفتيان ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى
استقباله فلمّا جلس على زربيّته وسكت الضوضا لهيبته ازدلف الى مسنده
ومسح سبلته بيده ثم قال الحمد لله المبتدئ بالافضال المبتدع
للنوال المتقرّب اليه بالسؤال المؤمّل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكوة
في الأموال وزجر عن نهر السؤال وندب الى مواساة المضطرّ وأمر
باطعام القانع والمعترّ ووصف المقرّبين فقال وهو أصدق القائلين
والذين في أموالهم حقّ معلوم للسائل والمحروم أحمده على ما رزق من طعمة
هنيّة وأعوذ به من استماع دعوى بلا بيّنة وأشهد أن لا اله الّا الله وحده

لا شريك

شريك له يجزي المتصدقين والمتصدقات ويمحق الربا ويربي الصدقات
وأشهد ان محمدا عبده الرحيم ورسوله الكريم ابتعثه لينسخ الظلمة
بالضياء وينتصف للفقراء من الأغنياء فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين
وخفض جناحه للمستكين وفرض الحقوق في أموال المثرين وبين ما
يجب للمقلين على المكثرين صلى الله عليه صلاة تحظيه بالزلفة وعلى
اصفيايه أهل الصفة أما بعد فان الله تعالى شرع النكاح ليتعففوا
وسن التناسل لكي تتضاعفوا فقال سبحانه ليتعرفوا انا خلقناكم من
ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا وهذا أبو الدراج ولاج
ابن خراج ذو الوجه الوقاح والإفك الصراح والهرير والصياح
والإبرام والإلحاح يخطب سليطة أهله وشريطة بعلها قنبس
بنت أبي العنبس لما بلغه من التحافها بالحافها واسرافها في أسفافها
وانكماشها على معاشها وانتعاشها عند هراشها وقد بذل لها من الصداق
شلاقا وعكازا وصفاعا وكرازا فانكحوه انكاح مثله وصلوا حبلكم
بحبله وان خفتم عيلة فسيغنيكم الله من فضله اقول قولي هذا واستغفر
الله العظيم لي ولكم واسأله ان يكثر في المصاطب نسلكم ويحرس من المعاطب
شملكم فلما فرغ الشيخ من خطبته وابرم للختن عقد خطبته
تساقط عليه من النثار ما استغرق حد الإكثار واغرى الشيخ

الصفاع رد المكدي

فسوف يغنيكم

الزبد (؟) العبرانيا
تنفضله
قبايل
صوت الكلب
صلب
الكذب الخالص
خدم نظر
الحفت الخيل الذاتي
شرعه مضاربه
ارتفاعها
خصامها
برقعا
كوزا
شبه المخلاة
احكامكم
اي اغراه ان ينثر حوابضها
بالإيثار

الاذلال اسفل القميص مما يلي الارض

بالايثار ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله ويقدم اراذله قال

الحرث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم واجتلي بهجة اليوم فعاج

بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن جهاته فحين ربع كل

شخص في ربضته وطفق يرتع في روضته انسللت من الصف وفررت من

الزحف فحانت من الشيخ لفتة الي ونظرة هجم بها طرفه علي فقال

الى اين يا برم هلا عاشرت من فيه كرم فقلت والذي خلقها

طباقا وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا لست رقاقا او تخبرني

اين مدب صباك ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء مرارا وارسل

البكا مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال اسمع

مسقط الرأس سروج وبها كنت أموج

بلدة يوجد فيها كل شيء ويروج

وردها من سلسبيل وصحاريها مروج

وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج

حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج

وأزاهير رباها حين تنجاب الثلوج

من رآها قال مرسى جنة الدنيا سروج

ولمن ينزاح عنها زفرات ونشيج

انفاس المحزونين — الغصص بالبكاء

مثل ما لاقيت مذ زحزحني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو كلما قر يهيج
وهموم كل يوم خطبها خطب مريج
ومساع في التراخي فاترات الخطو عوج
ليت يومي حم لما حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده ووعيت ما أنشده ايقنت أنه علامتنا أبو زيد وان كان الهرم قد أوثقه بقيد فبادرت الى مصافحته واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر أعشو الى شواظه واحشو صدفتي من درر ألفاظه الى أن نعب بيننا غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حدث الحرث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمي أن السفر ينفج السفر وينتج الظفر ومعاقرة الوطن تعقر الفطن وتخفر من قطن فأجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة ثم استجشت

جاشا أثبت من الحجارة وأصعدت الى ساحل الشام للتجارة فلما خيّمت
بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركابا تُعدّ للسُّرى ورحالا
تُشدّ الى أمّ القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق الى البيت
الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقتي وعلاقتي
وقلت للائمي أقصر فإنّي سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل والى الخير
جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإيجاف وتقريب الى أن
حبتنا أيدي المطايا بالجحفة في ايصالنا الى الجحفة فحللناها متأهبين
للإحرام مستبشرين بإدراك المرام فلم يك الا أن أنخنا الركائب
وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص ضاحي الإهاب
وهو ينادي يا أهل ذا النادي هلمّ الى ما ينجي يوم التنادي فانخرط
اليه الحجيج وانصلتوا واحتفّوا به وأنصتوا فلما رأى تألّبهم حوله
واستطعامهم قوله تسنّم احدى الإكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام
وقال يا معشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون
والى من تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلى م تُقدمون
أتخالون أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل

تألّبوا أي صاروا حوله كالأثفية

وإيقار الرواحل ام تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء الأبدان
ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو اجتناب الخطيئة
قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية في قصد تلك البنية وإمحاض الطاعة
عند وجدان الاستطاعة وإصلاح المعاملات أمام إعمال اليعملات
فوالذي شرع المناسك للناسك وأرشد السالك في الليل الحالك ما ينفع الاغتسال
بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا تعدل تعرية الأجسام بتعبئة الأجرام
ولا تغني لبسة الإحرام عن المتلبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالإزار
مع الاضطلاع بالأوزار ولا يجدي التقرب بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق بالحلق
ولا يرحض التنسك بالتقصير درن التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة
غير أهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام
إلا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ
صفا قبل مسعاه إلى الصفا وورد شريعة الرضى قبل شروعه علي الأضا
ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة من تعريفه
ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم وقال وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تقضي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا

وان نوالي

وأن تواسي مما أوتيت مقدرة من مد كفاً إلى جدواك محتاجا

فهذه إن حويتها حجة كملت وإن خلا الحج منها كان إخداجا

حسب المرائين غبناً أنهم غرسوا وما جنوا ولقوا كداً وإزعاجا

وأنهم حرموا أجراً ومحمدةً وألحموا عرضهم من عاب أو هاجى

أخي فبع بما تبديه من قرب وجه المهيمن ولاجاً وخراجا

فليس يخفى على الرحمن خافية إن أخلص العبد في الطاعات أو داجى

وبادر الموت بالحسنى تقدمها فما ينهنه داعي الموت إن فاجا

واقن التواضع خلقاً لا تزايله عنك الليالي ولو ألبسنك التاجا

ولا تشم كل برق لاح عارضه ولو ترأى هتون السكب ثجاجا

ما كل داع بأهل أن يصاخ له كم قد أصاخ بغي بعض من ناجى

وما اللبيب سوى من بات ممتنعاً بلغة يدرج الأيام إدراجا

وكل كثر إلى قل مغبته وكل نار إلى لين وإن هاجا

قال الراوي فلما ألجم عقم الأفهام بسحر الكلام استروحت ريح أبي زيد وما في الارتياح البداءي ميد فمكثت حتى استوعبت نفث حكمته وانحدر من أكمته ثم دلفت إليه لأتصفح محياه وأستشف جوهر حلاه فإذا هو الضالة التي أنشدها وناظم القلائد اللاتي أنشدها فعانقته عناق اللام للألف ونزلته منزلة البرء عند الدنف وسألته أن يلازمني فأبى

صفحات

أو يزاملني فنبا وآليتُ في حجتي هذه أن لا أحتقب ولا أعتقب ولا أكتسب
ولا أنتسب ولا أرتفق ولا أرافق ولا أوافق من ينافق ثم ذهب يهرول وغادرني
أولول فلم أزل أقرنه نظري وأودّ لو مشى على ناظري حتى توقّل أحد الأطواد
ووقف للحجيج بالمرصاد فحين شاهدهم أيضاع الركبان في الكثبان وقع
بالبنان على البنان واندفع ينشد

ليس من زار راكبا مثل ساعٍ على القدم
لا ولا خادم أطاع كعاصٍ من الخدم
كيف يا قوم يستوي سعي بانٍ ومن هدم
سيقيم المفرّطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تقرّب طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدّمي صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحيوة فوجدانه عدم
واذكري مصرع الحمام إذا خطبه صدم
واندبي فعلك القبيح وسحّي له بدم
وادرئيه بتوبة قبل أن تحلم الادم
فعسى الله أن يقيك السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم انه

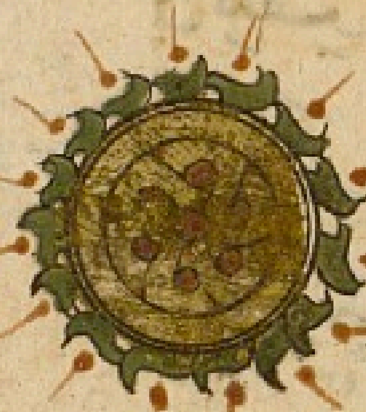
حلفت — يماشيني — يعادلني على البعير — أحتقب أحمل من خلفه — أعتقب أي أعقب غيري — صعود — أسرع — الجبال — الطريق — تلال الرمل — صفق — المقصرون — تجتمع — احتقري — وجوده — الممات — أصاب — وابكي — يشتد — التهب — سقطه نفعا — الكرم

ثم إنه أغمد عضب لسانه وانطلق لشانه فما زلت في كل مورد نرده ومعرّس
نتوسّده أتفقده فأفتقده وأستنجد من ينشده فلا يجده حتى خلت أن
الجن اختطفته أو الأرض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة
ولا منيت في سفرة بمثلها من زفرة

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة الثانية والثلاثون



حكى الحرث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف
العج والثج أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر المصطفى
وأخرج من قبيل من حج وجفا فأرجف بأن المسالك شاغرة وعرب الحرمين
متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبطني وأشواق تنشطني إلى أن ألقي في
روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فأعتمت القعدة
وأعددت العدة وسرت والرفقة لا نلوي على عرجة ولا نني في تأويب ولا
دلجة حتى وافينا بني حرب وقد آبوا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل
اليوم في حلة القوم وبينما نحن نتخير المناخ ونرود الورد النفاخ
إذ رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرابنا انثيالهم وسألنا
ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فاهراعهم لهذا السبب

فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد من الغي فقالوا لقد أسمعت
إذ دعوت ونصحت وما ألوت ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا
أطللنا عليه واستشرفنا المنهود إليه ألفينا أبا زيد ذا الشقر والبقر والعواقر
والعفر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء وأعيان الحي
به محتفون وأخلاطهم عليه ملتفون وهو يقول سلوني عن المعضلات
واستوضحوا مني المشكلات فوالذي فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه
العرب العرباء وأعلم من تحت الجرباء فصمد له فتى فتيق اللسان جريء
الجنان وقال إني حاضرت فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا
فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير ويرغب منا في مير فاستمع وأجب
لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين المخبر وينكشف المضمر فاصدع
بما تؤمر

الفقيه

قال ما تقول في من توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوءه بفعله

النعل الزوجة

في الوضوء

قال فإن توضأ ثم أكاه البرد قال يجدد الوضوء من بعد

البرد النوم

قال أيجوز الوضوء بما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان

الثعبان جمع ثعب وهو مسيل الوادي

قَالَ أَيَمْسَحُ ٱلْمُتَوَضِّئُ أُنْثَيَيْهِ قَالَ قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوجَبْ عَلَيْهِ

ٱلْأُنْثَيَانِ ٱلْأُذُنَانِ

قَالَ أَيُسْتَبَاحُ مَآءُ ٱلضَّرِيرِ قَالَ نَعَمْ وَيُجْتَنَبُ مَآءُ ٱلْبَصِيرِ

ٱلضَّرِيرُ حَرْفُ ٱلْوَادِي وَٱلْبَصِيرُ ٱلْكَلْبُ

قَالَ أَيَحِلُّ ٱلطَّوَافُ فِي ٱلرَّبِيعِ قَالَ يُكْرَهُ لِلْحَدَثِ ٱلشَّنِيعِ

ٱلطَّوَافُ ٱلتَّغَوُّطُ وَٱلرَّبِيعُ ٱلنَّهْرُ ٱلصَّغِيرُ

قَالَ أَيَجِبُ ٱلْغُسْلُ عَلَى مَنْ أَمْنَى قَالَ لَا وَلَوْ ثَنَّى

أَمْنَى نَزَلَ مِنًى يُقَالُ مِنْهُ مَنَى وَأَمْنَى وَٱمْتَنَى

قَالَ فَهَلْ يَجِبُ عَلَى ٱلْجُنُبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ قَالَ أَجَلْ وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ

ٱلْفَرْوَةُ جِلْدَةُ ٱلرَّأْسِ وَٱلْإِبْرَةُ عَظْمُ ٱلْمِرْفَقِ

قَالَ فَإِنْ أَخَلَّ بِغَسْلِ فَأْسِهِ قَالَ هُوَ كَمَا لَوْ أَغْفَلَ غَسْلَ رَأْسِهِ

ٱلْفَأْسُ ٱلْعَظْمُ ٱلْمُشْرِفُ عَلَى نُقْرَةِ ٱلْقَفَا

قَالَ مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَيَمَّمَ ثُمَّ رَأَى رَوْضًا قَالَ بَطَلَ تَيَمُّمُهُ فَلْيَتَوَضَّا

ٱلرَّوْضُ هَاهُنَا جَمْعُ رَوْضَةٍ وَهِيَ ٱلصُّبَابَةُ تَبْقَى فِي ٱلْحَوْضِ

قَالَ أَيَجُوزُ أَنْ يَسْجُدَ ٱلرَّجُلُ فِي ٱلْعَذِرَةِ قَالَ نَعَمْ وَلْيُجَانِبِ ٱلْقَذِرَةَ

ٱلْعَذِرَةُ فِنَآءُ ٱلدَّارِ

قَالَ فَهَلْ لَهُ ٱلسُّجُودُ عَلَى ٱلْجُمْرُفِ قَالَ لَا وَلَا عَلَى أَحَدِ ٱلْأَطْرَافِ

قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله

الشمال جمع شملة

قال فهل يجوز السجود على الكراع قال نعم دون الذراع

الكراع ما استطال من الحرة

فصل في الصلوة

قال أيصلي على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب

رأس الكلب ثنية معروفة

قال فإن توضا وعانته بارزة قال صلوته جائزة

العانة الجماعة من حمر الوحش

قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم

الصوم ذرق النعام

قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باقلى

الجرو الصغار من القثا والرمان

قال أتصح صلوة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة

القروة ميلغة الكلب

قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلوته ولا غرو

النجو السحاب الذي هراق ماءه

فصل في الإمامة

قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع قال نعم ويؤمهم مدرع

لابس مغفر — لابس درع

قال فإنْ أمَّهم وفي يده وقفٌ قال يعيدون ولو أنهم ألفٌ

الوقف السوار من العاج أو الذبل وأراد أنه لا يجوز للرجال الائتمام بالنساء

قال فإنْ أمَّهم من فخذه بادية قال صلوته وصلوتهم ماضية

الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو واختار بعضهم تسكين الخاء للفرق

اختار بعضهم سكون الخاء في فخذ

قال فإنْ أمَّهم الثور الأجمّ قال صلِّ وخلاك ذمّ

الثور السيد والأجمّ الذي لا رمح معه

قال أيدخل القصر في صلوة الشاهد قال لا والغائب الشاهد

صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لأنها عند طلوع النجم ويسمى الشاهد

الجزء

قال فهل للمعذور أن يفطر في رمضان قال ما رخص فيه إلا للصبيان

المعذور المختون وهو أيضا المعذر

قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه

المعرس الذي ينزل آخر الليل المسافر

قال فإن أفطر فيه العراة قال لا تنكر عليهم الولاة

العراة الذين يأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة

قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح

أصبح أي استصبح بالمصباح

قال فإن عمد لأن أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا

الليل فرخ الحبارى وقيل هو ذكر الكروان

قال فإن أكل قبل أن توارى البيضا   قال يلزمه وأبيه القضا

البيضا من أسماء الشمس

قال أله أن يفطر بالحاج الطابخ   قال نعم لا بطاهي المطابخ

الطابخ الحمى الصالب

قال فإن ضحكت المرأة في صومها   قال بطل صوم يومها

ضحكت حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحق

قال فإن ظهر الجدري على ضرتها   قال تفطر إن أذن بمضرتها

الضرة أصل الإبهام واصل الثدي أيضا

قال ما يجب في مائة مصباح   قال حقتان يا صاح

المصباح الناقة التي تصبح في المبرك

قال فإن ملك عشر خناجر   قال يخرج شاتين ولا يشاجر

الخناجر النوق الغزار واحدها خنجر وخنجور

قال فإن سمح للساعي بحميمته   قال يا بشرى له يوم قيامته

الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال

قال أيستحق حامل الأوزار من الزكوة جزا   قال نعم إذا كانوا غزا

الأوزار السلاح وغزا جمع غاز

قال أيجوز للحاج أن يعتمر   قال لا ولا أن يختمر

الاعتمار لبس العمارة بفتح العين وهي العمامة والاختمار لبس الخمار

جزا

حملة

قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع

الشجاع الحية

قال فان قتل زمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم

الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار

قال فان رمى ساق حر فجدله قال يخرج شاة بدله

ساق حر ذكر القماري

قال فان قتل ام عوف بعد الإحرام قال يتصدق بقبضة من طعام

ام عوف الجرادة

قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم الى المشارب

القارب طالب الماء بالليل

قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال قد حل في ذلك الوقت

الحرام المحرم والسبت الحلق وحل من تحليل الحج

قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت

الكميت الخمر

قال ايجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل

الخل ابن المخاض ولا يجوز بيع اللحم بالحيوان سوا كان من جنسه ام من غيره

قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية

الهدية بالتشديد ما يهدى الى الكعبة ويروى فيها التخفيف والسبية الخمر

قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على الحقيقة

العقيقة ما يذبح على المولود في اليوم السابع من ولادته

قال أيجوز بيع الداعي على الداعي قال لا ولا على الساعي

الداعي بقية اللبن في الضرع

قال أيباع الصقر بالتمر قال لا ومالك الخلق والأمر

الصقر الدبس

قال أيشتري المسلم سلب المسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات

السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص الثمام

قال أيباع الإبريق على بني الأصفر قال يكره كبيع المغفر

الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر الروم

قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيّه قال لا ولكن ليبع صيفيّه

الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر

قال فإن اشترى أمة فبان بأمه جراح قال ما في رده جناح

الأم مجمع الدماغ

قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء

الصحراء الأتان التي مازج بياضها غبرة والعفراء

قال أيحل أن يحمى ماء البئر والخلا قال إن كان في الفلاة فلا

يحمى يمنع والخلا الكلأ

كلا

قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر

الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه

قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويقري منه الطارق

الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت

ملعب متابله وصحبا

قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجدر بالقبول

الحول جمع حائل

قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاته لحم بلا محالة

الغزالة من أسماء الشمس

قال أيحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق

الطرق الضرب بالحصاء

قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور فيما بين الأباعد

القاعد التي قعدت عن الأزواج والحيض

قال أينام العاقل تحت الرقيع قال أحبب به في البقيع

الرقيع السماء والبقيع بقيع المدينة

قال أيمنع الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز

العجوز الخمر وقتلها مزجها

قال ما تقول في التهويد قال هو مفتاح التزهيد

التهويد التوبة

قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما يجوز لحامل ولا نبيه

العمارة القبيلة

قال أيجوز ذبح الشافع قال ما يجوز من دافع

الشافع الشاة التي معها سخلها

قال أيحل ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير

السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضا الذي يعرف اللاقح من غيرها

قال أيجوز أن يعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه

التعزير التعظيم والنصرة

قال ما تقول في من أفقر أخاه قال حبذا ما توخاه

أفقره أعاره ناقة يركب فقارها

قال فإن أعرى ولده قال يا حسن ما اعتمده

أعراه أعطاه ثمرة نخلة عاما

قال فإن أصلى مملوكه النار قال لا إثم ولا عار

المملوك العجين الذي أجيد عجنه حتى قوي

قال أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها

البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض

قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال أجل

الخجل سوء احتمال الغنى

قال ما تقول فيمن

قال ما تقول فيمن نحت أثلة أخيه قال أثم ولو أذن له فيه

نحت أثلته إذا اغتابه وقدح فيه

قال ما تقول في صبة البلية قال أعظم به من خطيئة

الصبة الجبن والبلية الناقة

قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور

الثور الجنون

قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم إلى أن يستقيم

ضرب على يده إذا حجر عليه

قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا

الربض الزوجة

قال فمتى يبيع بدن السفيه قال حين يرى له الحظ فيه

البدن الدرع القصير

قال فهل يجوز أن يباع له حشا قال نعم إذا (لم يكن) كان مغشا

الحش النخل المجتمع

قال يجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما

الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب

قال أيستقضى من ليست له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة

البصيرة الترس

قال فإن تعرّى من العقل قال ذاك عنوان الفضل

العقل ضرب من الوشي

قال فإن كان له زهو جبّار قال لا إنكار ولا إكبار

الزهو البسر المتلوّن والجبّار النخل الذي [illegible] اليد [illegible]

قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أريبا

المريب الذي كثر عنده اللبن الرايب

قال فإن بان أنه لاط قال هو كالوخاط

لاط الحوض إذا طيّنه

قال فإن عُثر على أنه غربل قال تُردّ شهادته ولا تُقبل

غربل إذا قتل

قال فإن وضح بأنه ماين قال هو وصف له زاين

الماين الذي يعول ويكفي من مان يمون

قال ما يجب على عابد الحقّ قال يحلف بالله الخالق

العابد الجاحد والحقّ الدين

قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تُفقأ عينه قولا واحدا

البلبل الرجل الخفيف

قال فإن جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس إذا فاتت

القطاة ما بين الوركين

قال فإن بان القتيل

قال فإن لقبَ الحاملَ حشيشًا من ضربه قال ليكفّر بالإعتاق عن ذنبه

الحشيش الجنين المُلقى ميتًا

قال ما يجب على المختفي في الشرع قال القطعُ لإقامة الردع

المختفي نبّاش القبور

قال فإن سرق ثمينًا من ذهبٍ قال لا قطع كما لو غصب

الثمين الثمن

كما يقال في النصف نصيف

قال فإن بان على المرأة اليرقُ قال لا حرج عليها ولا فرقُ

اليرق الحرير الأبيض

قال أينعقد نكاحٌ ما لم تشهده القواري قال لا والخالق الباري

القواري الشهود لأنهم يقرون الأشيا أي يتتبعونها

قال ما تقول في عروسٍ باتت بليلة حُرّةٍ ثم رُدّت في حافرتها بسحرةٍ
قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدّة الطلاق

يقال باتت العروس بليلة حرّة إذا امتنعت على زوجها ومنه قول النابغة

شمس موانع كل ليلة حرّة يخلفن ظن الفاحش المغيار

فإن افتضها في أول الليلة يقال باتت بليلة شيباء ومنه قول الشاعر

طيّبوها ولم تطب بطيب رب منع الزمنة عطا

بتُّ في درعها وباتت ضجيعي في بصير وليلة شيبا

قال ما يصنع بمن سرق أساود الدار قال يُقطع إن ساوت ربع دينار

الأساود الآلات المستعملة كالإجانة والقدر والجفنة

هذه المسألة في بعض النسخ زايدة على الأصل

البصر ههنا جمع بصيرة وهي القطعة من الدم [illegible]
في الطريق الأول وكنى بها عن طلب [illegible]

فقال له السائل لله درك من بحر لا ينضضه الماتح ولا يبلغ مدحه المادح ثم أطرق إطراق الحيي وأرم إرمام العيي فقال له أبو زيد إيه يا فتى فإلى متى وإلى متى فقال إنه لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد إشراق صبحك مماراة فبالله أي ابن أرض أنت فما أحسن ما أبنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله
غير أني كل يوم بين تعريس ورحله
والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وهدي فاجعلنا ممن هدي وهدى فساق القوم إليه ذودا مع قينة وسألوه أن يزورهم الغبة بعد الغبة فنهض يمنيهم العود ويزجي الأمة والذود قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت له عهدي بك سفيها فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يجول ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا
وعاشرت كل جليس بما يلائمه لأروق الجليسا
فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا

وخبرهم

وطورا

وطورًا بوعظي أُسيل الدموع وطورًا بلهوي أسرّ النفوسا

وأقري المسامع إمّا نطقت بيانًا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعف كفّي اليراع فساقط درًّا يحلّي الطروسا

وكم مشكلاتٍ حكين السّها خفاً فصرن بكفّي شموسا

وكم ملحٍ لي خلبن العقول وأثارن في كل قلبٍ رسيسا

وعذرًا افرعتها فأثنى عليها الثنا طليقًا حبيسا

على أنني من زماني خصصت بكيدٍ ولا كيد فرعون موسى

يسعّر لي كل يوم وغى أطا من لظاه وطيسًا وطيسا

ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوى ويشبن الرؤوسا

ويدني إليّ البعيد البغيض ويبعد عنّي القريب الأنيسا

ولولا خساسة أخلاقه لما كان حظّي منه خسيسا

فقلت له خفّض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب ابليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن نرحض بالمزار درن الأوزار فقلت هيهات أن أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذممًا وطلبت أممًا فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس قال فلمّا أوضح المعمّى وكشف عنّي الغمّى شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل من مسامرته مدّة مسايرته

بلغ مقابلة وتصحيحا

فيما أنسانيه طعم المشقة ووددت معه بعد الشقة حتى إذا دخلنا
مدينة الرسول وفزنا من الزمان بالسول أشأم وأعرق وغرّب وشرّق

المقامة الثالثة والثلاثون

التفليسية

أخبر الحرث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ نيّفت ألّا أؤخّر
الصلوة ما استطعت فكنت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات
الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا اتفقت لي رحلة أو حللت بحلّة
مزجت بصوت الداعي إليها واقتديت بمن يحافظ عليها فاتفق حين دخلت
تفليس أن صلّيت مع زمرة من مفاليس فلما قضينا الصلاة وأزمعنا الانفتال
برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة
الحرية وتفوّق درّ العصبية إلا ما تكلّف لي لبثة واستمع مني نفثة
ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والردّ فعقد له القوم الحبا ورسوا أمثال
الربا فلما آنس حسن إنصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار
الرامقة والبصائر الرائقة أما يغني عن الخبر العيان وينبئ عن النار
الدخان شيب لائح وضعف بالح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت
والله ممن ملك ومال وولي وآل ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح

عصبة صح

فادح صح

الشدائد التي تجتاح المال

استطال

الإيالة السياسة

تجتاح

تُسْحِتُ والنوائبُ تنحتُ حتّى الوكرُ قفرٌ والكفُّ صفرٌ والشِّعارُ ضُرٌّ
والعيشُ مُرٌّ والصِّبيةُ يتضاغونَ من الطَّوى ويتمنَّونَ مُصاصةَ النَّوى
ولم أقمْ هذا المقامَ الشَّائنَ وأكشفْ لكمُ الدَّفائنَ إلّا بعدَما شقيتُ ولقيتُ
وشِبْتُ ممَّا لقيتُ فليتني لم أكُنْ بقيتُ ثُمّ تأوَّهَ تأوُّهَ الأسيفِ وأنشدَ بصوتٍ

أشكو إلى الرَّحمنِ سُبحانَهُ تقلُّبَ الدَّهرِ وعُدوانَهُ
وحادثاتٍ قرعتْ مروتي وقوَّضتْ مجدي وبُنيانَهُ
واهتصرتْ عودي ويا ويحَ مَنْ تهتصرُ الأحداثُ أغصانَهُ
وأمحلتْ ربعي حتّى خلتْ من ربعيَ المُمْحِلِ جُرذانُهُ
وغادرتني حائرًا بائرًا آلفَ بالفقرِ وأشجانَهُ
من بعدِ ما كنتُ أخا ثروةٍ يسحبُ في النِّعمةِ أردانَهُ
يخبطُ العافونَ أوراقَهُ ويحمدُ السَّارونَ نيرانَهُ
فأصبحَ اليومَ كأنْ لم يكنْ أعانَهُ الدَّهرُ الَّذي عانَهُ
وازورَّ مَنْ كانَ لهُ زائرًا وعافَ عافي العُرفِ عِرفانَهُ
فهلْ فتًى يحزنُهُ ما يرى من ضُرِّ شيخٍ دهرُهُ خانَهُ
فيفرجَ الهمَّ الَّذي همَّهُ ويُصلحَ الشَّأنَ الَّذي شانَهُ

قالَ الرَّاوي فصبتِ الجماعةُ إلى أنْ تبثَّهُ لتستنجثَ خبأتَهُ
وتستنفضَ حقيبتَهُ فقالتْ لهُ قدْ عرفنا قدرَ زنتِكَ ورأينا درَّ مزنتِكَ

نعرفنا دوحة شعبتك وأحسر اللثام عن نسبتك فأعرض إعراض من مُني بالإعنات أو بُشّر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف من تغيّض المروّات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدلّ جناه اللذيذ على أصله
وكُلْ ما حلا حين تُؤتى به ولا تسأل الشهد عن نحله
وميّز إذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خلّه
لتغلي وترخص عن خبرة وتشري كلا شري مثله
فعارٌ على الفطن اللوذعيّ دخول الغمين في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه واختلبهم بحسن أدائه مع دائه حتى جمعوا له خبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له يا هذا إنك حمت على ركيّة بكيّة وتعرّضت لخليّة خليّة فخذ هذه الصبابة وهي لا خطأ ولا إصابة فتنزّل قلّهم منزلة الكثر ووصل قبوله بالشكر ثم تولّى يجرّ شقّه وينهب بالخبط طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصوّر لي أنه محيل حليته متصنّع في مشيته فنهضت أنهج مناهجه وأقفو أدراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى إذا خلا له الطريق وأمكن التحقيق نظر إليّ نظر من هشّ وبشّ وما حضّ بعدما غشّ وقال إني لأخالك أخا غربة ورائد صحبة فهل لك في رفيق

يرفق

يرفق بك ويرفق وينفق عليك وينفق فقلت له لو أتاني هذا الرفيق
لوافاني التوفيق فقال لي قد وجدته فاغتبط واستكرمته فارتبط
ثم ضحك مليًّا وتمثّل لي بشرًا سويًّا فإذا هو شيخنا السروجي لا قلبة
بجسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكربت لعوته وهممت بملامته
على سوء مقامته فتجافاه وأنشد قبل أن أحاجه

ظهرت برثٍّ لكيما يقال فقير يرجّي الزمان المرجّى
وأظهرت للناس أن قد فلجت فكم نال قلبي به ما ترجّى
ولولا الرثاثة لم يرث لي ولولا التفالج لم ألق فلجا

ثم قال إنه لم يبق بهذه الأرض مرتع ولا في أهلها مطمع فإن كنت
الرفيق فالطريق الطريق فسرنا منها متجردين ورافقته عامين
أجردين وكنت على أن أصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتّت

المقامة الرابعة والثلاثون

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد إلى زبيد صحبني غلام كنت
ربيته إلى أن بلغ أشده وثقفته حتى أكمل رشده وكان أنس أخلاقي
وحبر بجالب وفاقي فلم يكن يتخطى مرامي ولا يخطي لي المرامي لاجرم

ان قُربة الناطح بصفري وأخلصته لحضري وسفري فألوى به الدهر المبيد حين ضمّنا زبيد فلما شالت نعامته وسكتت نامّته بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا ارتبع غلاما حتى الجأتني شوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى ان أعتاض عن الدرّ الخرز وأرتاد من هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد بسوق زبيد وقلت اريد غلاما يُعجب اذا قُلّب ويُحمد اذا جُرّب وليكن ممن خرّجه الأكياس وأخرجه الى السوق الإفلاس فاهتز كلٌّ منهم لمطلبي ووثب وبذل تحصيله عن كثب ثم دارت الأهلّة دورها وتقلّبت كورها وحورها وما نجز من وعودهم وعد ولا سحّ لها عهد فلما رأيت النخّاسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس من خلق يغيري وأن لن يحكّ جلدي مثل ظفري فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فإني لأستعرض الغلمان وأستعرف الأثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال

أتشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخُلقه قد برعا
بل ما نطقت به مضطلعا ... يشفيك ان قال وان قلت وعى
وان تصبك عثرة يقل لعا ... وان تسمه السعي في النار سعى
وان تصاحبه ولو يوما رعى ... وان تقنّعه بلطف قنعا

بظلف صح

وهو علي

وَهُوَ عَلَى الكَيْسِ الَّذِي جَمَعَا ... مَا فَاهَ قَطُّ كَاذِبًا وَلَا ادَّعَى
وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دُعِي ... وَلَا ٱسْتَجَازَ نَثَّ سِرٍّ أَوْ دَعَا
وَطَالَمَا أَبْدَعَ فِيمَا صَنَعَا ... وَفَاقَ فِي ٱلنَّظْمِ وَفِي ٱلنَّثْرِ مَعَا
وَٱللهِ لَوْلَا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعَا ... وَصِبْيَةٌ أَضْحَوْا عُرَاةً جُوَّعَا
مَا بِعْتُهُ بِمُلْكِ كِسْرَى أَجْمَعَا

قال فلمّا تأمّلتُ خَلْقَهُ القويمَ وحُسْنَهُ الصَّميمَ خِلْتُهُ من وِلْدانِ جنّةِ النَّعيمِ وقلتُ ما هذا بشرًا إنْ هذا إلّا مَلَكٌ كريمٌ ثمّ ٱستنطقتُهُ عن ٱسمِهِ لا لرغبةٍ في علمِهِ بل لأنظُرَ أين فصاحتُهُ من صباحتِهِ وكيف لهجتُهُ من بهجتِهِ فلم ينطِقْ بحُلْوةٍ ولا مُرّةٍ ولا فاهَ فَوْهَةَ ٱبنِ أمةٍ ولا حُرّةٍ فضربتُ عنهُ صفحًا وقلتُ تبًّا لعِيِّكَ وشَحًّا فغارَ في الضحكِ وأنجدمَ ثمّ أنغضَ رأسَهُ إليَّ وأنشدَ

يا مَنْ تلهّبَ غيظُهُ إذْ لم أبُحْ ... بٱسمي لهُ ما هكذا مَنْ يُنصِفُ
إنْ كان لا يُرضيكَ إلّا كشفُهُ ... أنا يوسفٌ أنا يوسفُ
ولقد كشفتُ لكَ الغِطا فإن تكنْ ... فطِنًا عرفتَ وما إخالُكَ تعرِفُ

قال فسرّى عنّي بشعرِهِ وٱستبى لُبّي بسحرِهِ حتّى شُدِهْتُ عن التحقيقِ وأُنسيتُ قصّةَ يوسفَ الصِّدّيقِ ولم يكن لي همٌّ إلّا مساومةُ مولاهُ فيهِ وٱستطلاعُ طَلْعِ الثَّمَنِ لأُوَفِّيَهُ وكنتُ أحسبُ أنّهُ سيشتطُّ

شَزْرًا إليَّ ويُغلي السِّيمةَ عليَّ فما حلَّق إلى حيث حلَّقتُ ولا أعلق بما به
أعلقتُ بل قال إنَّ العبدَ إذا نزرَ ثمنُه وخفَّت مؤونتُه تبرَّك به مولاه
ولم يتحفْ عليه هواه وإنّي لأوثرُ تحبيبَ هذا الغلامِ إليك بأن أخفِّفَ ثمنَه
عليك فزِنْ مائتي درهمٍ إن شئتَ واشكرْ لي ما حييتَ فنقدتُه المبلغَ
في الحال كما ينقدُ في الرخيصِ الحلالِ ولم يخطرْ لي ببالٍ أنَّ كلَّ مُرخِصٍ غالٍ
فلمّا تحقّقتِ الصفقةُ وحقّتِ الفرقةُ هملتْ عينا الغلامِ واهُمولَ دمعِ
الغمامِ ثمَّ أقبلَ على صاحبِه وقال

لحاكَ اللهُ هل مثلي يُباعُ ... لكيما تشبعَ الكرشُ الجياعُ
وهل في شِرعةِ الإنصافِ أنّي ... أُكلَّفُ خطّةً لا تُستطاعُ
وأنْ أُبلى بروعٍ بعد روعٍ ... ومثلي حين يُبلى لا يُراعُ
أما جرّبتني فخبرتَ منّي ... نصائحَ لا يمازجُها خداعُ
وكم أرصدتني شَرَكًا لصيدٍ ... فعدتُ وفي حبالي السباعُ
ونُطتَ بي المصاعبَ فاستقادتْ ... مطاوعةً وكان بها امتناعُ
وأيُّ كريهةٍ لم أُبلِ فيها ... وغُنمٍ لم يكنْ لي فيه باعُ
وما أبدتْ لي الأيّامُ جُرمًا ... فيُكشفَ في مصارمتي القناعُ
ولم تعثرْ بحمدِ اللهِ منّي ... على شينٍ يُكتَّمُ أو يُذاعُ
فأنّى ساغَ عندك نبذُ عهدي ... كما نبذتْ براتيها الصَّناعُ

مُرخِص

عيب

ولم سمحت قرونتك بامتهاني وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلّا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا اشكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء
وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال لي أي خل هذا الغلام محل ولدي و
أمين عن أفلاذ كبدي ولولا خلو مراحي وخبو مصباحي لما درج
عن عشي إلى أن يشيع نعشي وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين
والمؤمن هين لين فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن
تعاهدني على الإقالة فيه متى استقلت وأن لا تستثقلني إذا ثقلت
ففي الآثار المنتقاة المدونة عن الثقاة من أقال نادما بيعته
أقاله الله عثرته قال الحرث بن همام فوعدته وعدا أبرزه
الحيا وفي القلب أشيا فاستدنى حينئذ الغلام إليه وقبل ما بين
عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والاشتياق
فما تطول مدة الفراق ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال أستودعك من هو نعم المولى وشمّر ذيله وولّى فلبث الغلام
في زفير وعويل ريثما يقطع مدى ميل فلما استفاق وكفكف دمعه
المهراق قال أتدري لم أعولت وعلام عوّلت قلت أظن
فراق مولاك هو الذي أبكاك فقال إنك لفي وادٍ وأنا في وادٍ
وكم بين مريد ومراد ثم أنشد

لم أبكِ والله على إلفٍ نزح ولا على فوت نعيم وفرح
وإنما مدمع أجفاني سفح على غبي لحظه حين طمح
ورّطه حتى تعنّى وافتضح وضيّع المنقوشة البيض الوضح
ويك أما ناجتك هاتيك الملح بأنني حرّ وبيعي لم يبح
إذ كان لي يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقاله في مرآة المداعب ومعرض الملاعب فتصلّب
تصلّب المحق وتبرأ من طينة الرق فجلنا في مخاصمة اتصلت
بملاكمة وأفضت إلى محاكمة فلما أوضحنا للقاضي الصورة وتلونا
عليه السورة قال ألا إن من أنذر فقد أعذر ومن حذّر كمن بشّر
ومن بصّر فما قصّر وإن فيما شرحتماه لدليلا على أن هذا الغلام
قد نبهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاستر دأبك واكتم

دفع الصوت بالبكاء — كف — المراق — أبكيت — صحت مع البكاء — بعد — هراق — قليل الفطنة — نظر — أوقعه في مهلكة — الدراهم — النقية — المازح — انتقلت — غفلتك — انكففت

ولم نعنّفك ولا نلمه وحذار من اعتلاقه والطمع في استرقاقه فانه
حرّ الأديم غير معرّض للتقويم وقد كان أبو احضنه أمس قبيل أفول
الشمس فاعترف بأنه فرعه الذي أنشاه وأن لا وارث له سواه
فقلت للقاضي أوتعرف أباه أخزاه الله فقال وهل يجهل أبو زيد
الذي جرحه جبار وعند كل قاض له أخبار وإخبار قال فتحرّقت
حينئذ وحوقلت وأفقت ولكن حين فات الوقت وأيقنت أن لثامه
كان شرك مكيدته وبيت قصيدته فنكس طرفي ما لقيت وآليت أن لا
أعامل ملثّما ما بقيت ولم أزل أتأوّه لخسر صفقتي والافتضاح
بين رفقتي فقال لي القاضي حين رأى امتعاضي وحرّ ارتماضي
يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك ولا أجرم إليك من أيقظك فاتّعظ
بما نابك وكاتم أصحابك ما أصابك وتذكّر أبدا ما دهمك لتتقي الذكرى
دراهمك وتخلّق بخلق من ابتلي فصبر وتجلّت له العبر فاعتبر
فودّعته لابسا ثوب الخجل ساحبا ذيلي الغبن والغبن ونويت مكاشفة
أبي زيد بالهجر ومصارمته يد الدهر فجعلت أتنكّب عن ذراه وأتجنّب
أن أراه إلى أن عشيني في طريق ضيق فحيّاني تحية شيّق فما زدت على
أن عبست وما بسست فقال ما بالك سمحت بأنفك على ألفك فقلت
أنسيت أنك احتلت وختلت وفعلت فعلتك التي فعلت فأضرطني

متهاريا ثم أنشد متلافيا

يا من بدى منه صدود موحش وتجهم
وغدا يرش ملاما من دونهن الأسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الأدهم
أقصر فما أنا فيه بدعا مثلما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم
هذا وأقسم بالتي يسري إليها المتهم
والطايفين بها وهم شعث النواصي سهم
ما قمت هذا الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد لاحت وان كان أقشعرارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على عبد نفقتك فلست ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وان كنت طويت كشحك وأطعت شحك ليستنقذ ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي قال الحرث بن همام فاضطرني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له صفيا وبه حفيا ونبذت فعلته ظهريا وإن كانت شيئا فريا

ذاك

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الخامسة والثلاثون

روى الحرث بن همام قال مررت في تطوافي بشيراز على ناد يستوقف المجتاز
ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعديه ولا خطت قدمي في تخطيه فعجت إليه
لأسبر جوهره وأنظر كيف ثمره من زهره فإذا أهله أفراد والعاج
إليهم مفاد وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد وأطيب من جلب
العناقيد إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين فحيا بلسان
طليق وأبان إبانة منطيق ثم احتبى حبوة المنتدين وقال اجعلنا اللهم
من المهتدين فازدراه القوم لطمريه ونسوا أن المرء بأصغريه وأخذوا
يتداعون فصل الخطاب ويعتدون عودة من الأحطاب وهو لا ينبض
بكلمة ولا يبين عن سمة إلى أن سبر قرائحهم وخبر شائلهم وراجحهم
فحين استخرج دفائنهم واستنثل كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أن وراء
الفدام هو المدام لما احتقرتم ذا أخلاق وقلتم ما له من خلاق ثم فجر من
ينابيع الأدب والنكت النخب ما جلب بدائع العجب واستوجب أن يكتب
بذوب الذهب فلما خلب كل خلب وقلب إليه كل قلب تحلحل ليرحل وتأهب
ليذهب فعلقت الجماعة بذيله وعاقت سرب سيله وقالت له قد
أريتنا وسم قدحك فخبرنا عن قيضك وقحك فصمت صموت من أفحم ثم أعول

بالصاد والضاد معا

صفو ح

معناه عن أصلك ونسبك وخالصه

حتى رحم قال الراوي فلما رأيت شوب أبي زيد وروبه وأسلوبه
المألوف وصوبه تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فإذا هو
إياه فكتمت سره كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره وإن لم يكن بخيل
حتى إذا نزع عن إغواله وقد عرف عثوري على أحواله رمقني بعين مضحاك
ثم طفق ينشد بلسان متباك

استغفر الله وأعنو له من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استذنبت في قتلها أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها وقبلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا اليوم على ما ترى مني ومن حرفتي المكديه
أرب بكر طال تعنيسها وحجبها حتى عن الأهويه
وهي على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها على الرضى بالدون لا ميه
والبد لا توكي على درهم والأرض قفر والسماء مصحيه

كنايات عن الفقر والإفلاس

فهل معينٌ لي على نقلها مصحوبةً بالقينةِ الملهيه

فيغسلَ الهمَّ بصابونه والقلبَ من أوكاره المضنيه

ويقتني منّي الثنا الذي يضوع ريّاه مع الأدعيه

قال فلم يبقَ في الجماعةِ الا من ندبت له كفّه وانباع اليه عرفه فلما نجحت بغيته وكملت مئيته أخذ يثني عليهم بصالحٍ ويشمّر عن ساقِ سارحٍ فتبعته لأستعرف ربّه جدّه ومن قبل في حدثان أمره فكان وشك تباني مثل له مرامي فازدلف مني وقال افقه عني

قتلُ مثلي يا صاحِ مزجُ المدام ليس قتلي بلهذمٍ أو حسام

والتي عنّست هي البكر بنت الكرم لا البكر من بناتِ الكرام

وبتجهيزها الى الكاس قيامي الذي ترى ومقامي

فتفهّم ما قلته وتحكّم في التغاضي ان شئت أو في الملام

ثم قال انا عربيدٌ وانت رعديدٌ وبيننا بونٌ بعيدٌ ثم ودّعني وانطلق وزوّدني نظرةً من ذي علقٍ

المقامة السادسة والثلاثون

أخبر الحرث بن همام قال أنخت بملطية مطيّة البين وحقيبتي ملءُ

بن العين فجعلت هجيراي مذ ألقيت بها عصاي أن أتورّد موارد المرح
وأتصيّد شوارد الملح فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب ولا
مرتع حتى إذا لم يبق لي فيها مأرب ولا في الثواء بها مرغب عمدت لإنفاق
الذهب في ابتياع الأهب فلما أكملت الأعداد وتهيأ الظعن منها أو كاد
رأيت تسعة رهط قد سبأوا قهوة وأرتبوا أربوة ودماثتهم تبذ
الحياظ وفكاهتهم حلوة الألفاظ فنحوتهم طلبا لمنادمتهم لا لمدامتهم
وشغفا بممازجتهم لا بمزاجهم فلما انتظمت عاشرهم وأضحيت
معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقذائف فلوات إلا أن لحمة الأدب
قد ألفت شملهم ألفة النسب وساوت بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب
الجوزاء وكالجملة المتناسبة الأجزاء فابتهجت بالاهتداء إليهم وأحمدت
الطالع الذي أطلعني عليهم وطفقت أفيض بقدحي مع قداحهم وأستشفي
برباحهم لا براحهم حتى أدّتنا شجون المفاوضة إلى التحاجي بالمقايضة
كقولك إذا عنيت به الكرامات ما مثل النوم فات فأنشأنا نجلو السها
والقمر ونجني الشوك والثمر وبينما نحن ننشر العشب والرث
وننثل السمين والغث طلع علينا شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي
حبره وسبره فمثل مثول من يسمع وينظر ويلتقط ما ننثر
إلى أن نفض الياس وحصحص الياس فلما رأى إجبال القرائح وإكداء الماتح

والمائح جمع أذياله وولّى ناقذاله وقال ما كل سوداء تمرة ولا كل صهباء خمرة
فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالأعواد وضربنا دون وجهه بالأسداد
وقلنا له إن دواء الشق أن يحاص وإلا فالقصاص القصاص ولا تطمع في
أن تجرح وتنهر الفتق وتسرح فلوى عنانه راجعا جثم بمكانه راضعا
وقال أما إذ استشرتموني بالبحث فسأحكم حكم سليمن في الحرث
اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحجية
لامتحان الألمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات
مماثلة حقيقية وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا
النمط ضاهت السقط ولم تدخل السفط ولم أركم حافظتم على هذه
الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود فقلنا له صدقت وكل لنا من لبابك
وأفض علينا من عبابك فقال أفعل لئلا يرتاب المبطلون وتظنوا
في الظنون ثم قال لناظورة القوم وأنشد

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع أمد بزاد

ثم ضحك إلى الثاني وقال

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر أصابته عين

ثم لحظ الثالث وقال وأنشا يقول

يا من نتايج فكره مثل النقود الجايزه
ما مثل قولي للذي حاجيت صادف جايزه

ثم التمع الى الرابع وقال وانشا يقول

أيا مستنبط الغامض من لغز واضمار
ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار

ثم رمى الخامس ببصره وقال

يا أيهذا الألمعي أخو الذكاء المنجلي
ما مثل أهمل حلية بين هديت وعجل

ثم التفت لفت السادس وقال

يا من تقصر عن مداه خطا مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف اكفف

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ورتبة في الذكاء جلت
بين فما زلت ذا بيان ما مثل قولي الشقيق أفلت

ثم استنصت الثامن وقال

يا من حدايق فضله مطلولة الأزهار غضه

ما مثل

مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي ذِي الْحِجَى مَا اخْتَارَ فِضَّهْ

ثُمَّ حَدَجَ (جد نظر) التَّاسِعَ بِبَصَرِهِ وَقَالَ

يَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْقَلْبِ الذَّكِيِّ وَفِي الْبَرَاعَةْ (وفور الفضل)

أَوْضِحْ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَاجِي دُونَ جَمَاعَةْ

قَالَ الرَّاوِي وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَاشِرِ هَزَّ مَنْكِبَيْهِ وَقَالَ

يَا مَنْ لَهُ النُّكَتُ الَّتِي يُشْجِي (يغص) الْخُصُومَ بِهَا وَيُبَكِّتُ (يلقيهم على رؤوسهم)

أَنْتَ الْمُبِينُ فَقُلْ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْلِي خَالِي اسْكُتْ

ثُمَّ قَالَ قَدْ أَنْهَلْتُكُمْ وَأَمْهَلْتُكُمْ وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ أُعِلَّكُمْ عَلَلْتُكُمْ قَالَ

فَأَلْجَأَنَا لَهَبُ الْغُلَلِ (العطش) إِلَى اسْتِسْقَاءِ الْعِلَلِ فَقَالَ لَسْتُ كَمَنْ يَسْتَأْثِرُ عَلَى

نَدِيمِهِ وَلَا مِمَّنْ سَمْنُهُ فِي أَدِيمِهِ ثُمَّ كَرَّ عَلَى الْأَوَّلِ وَقَالَ

يَا مَنْ إِذَا أَشْكَلَ الْمُعَمَّى حَلَّتْهُ أَفْكَارُهُ الدَّقِيقَةْ

إِنْ قَالَ يَوْمًا لَكَ الْمُحَاجِي خُذْ بِتِلْكَ مَا مِثْلُهَا حَقِيقَةْ مِثْلُهُ صح

ثُمَّ ثَنَى جِيدَهُ إِلَى الثَّانِي وَقَالَ

يَا مَنْ بَدَا بَيَانُهُ عَنْ فَضْلِهِ مُجَلِّيَا (مُبَيِّنًا) صح

مَاذَا مِثَالُ قَوْلِهِمْ حِمَارُ وَحْشٍ حُلِّيَا (زُيِّنَا) صح

ثُمَّ أَوْحَى (أشار) إِلَى الثَّالِثِ وَقَالَ بلحظه وأشار صح

يَا مَنْ غَدَا فِي فَضْلِهِ وَذَكَائِهِ كَالْأَصْمَعِي

أنهلتكم من النهل وهو الشرب الأول
وعلّه وعلّله إذا سقاه الشرب الثاني
[illegible]

ما مثل قولك للذي جاجاك أنفق تقمع

ثم حملق إلى الرابع وأنشد (نظر بموخر العين)

يا من إذا ما عويص دجا أنار ظلامه (ما يصعب)

ماذا يماثل قولي استنش ريح مدامه (شم)

ثم أومض إلى الخامس وقال وأنشد

يا من تنزه فهمه عن أن يروّي أو يشكّا (يفكر)

ما مثل قولك للذي أضحى يحاجي عط هلكى

ثم أقبل قبل السادس وقال (تلقاء)

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله

سار بالليل مرة أي شيء مثاله

ثم نحا بصره إلى السابع وقال (صرف)

يا من تحلى بفهم أقام في الناس سوقه

لك البيان فبين ما مثل أجبن فروقه (الجبان)

ثم قصد قصد الثامن وأنشد

يا من تبوأ ذروة في الفضل فاقت كل ذروه (نزل) (أعلى السنام)

ما مثل قولك أعط ابرنقا يلوح بغير عروه

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

ثم قبض مجمعه على ردني وقال وأنشأ يقول

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه

ماذا مثال صغير مخفلة بينه تبيانا يتم به

قال الحرث بن همام فلما أطربنا بما سمعناه وطالبنا بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فإن بنت مننت وإن كتمت غممت فظل يشاور نفسه ويقلب قدحه حتى هان بذل الماعون عليه فاقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم أنكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية وروضوا به الأندية ثم أخذ في تفسير صقل به الأذهان واستفرغ معه الأردان حتى أضاء الأفهام أنور من الشمس ولا كأم كأن لم تغن بالأمس ولما همّ بالمفرّ سيل عن المقرّ فتنفس كما يتنفس الثكول ثم أنشا يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب

غير أني بسروج مستهام القلب صب

هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب

كثير العشب كان الريان بالماء يعني فيها

والى روضتها الغنّاء دون الروض أصبو (أميل)

ما حلا لي بعدها حلوٌ ولا أعذوذب عذبُ (عذب)

قال الحرث بن همّام فقلت لأصحابي هذا ابو زيد السروجي الذي
أدلى مُلَحه الأحاجي وأخذت أصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام
لمشيّته ثم التفتّ فاذا به قد طمر وبما تمر فعجبت مما صنع ولم ندر أين
سكع وصقع

بلغت مقابله وتصحيحا

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الأحاجي

اما جوع امد برادٍ فمثله طوامير وأما ظهر أصابته عين فمثله
مطاعين واما صاد وجاين فمثله الفاصله واما تناول الف دينار
فمثله هاديه وأما أهمل حلبة فمثله الغاشيه وأما الكف الفف
فمثله مهمه واما الشقيق أفلت فمثله الأخطار واما ما اختار فضة
فمثله أبارقه لان الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي صلى الله عليه
وسلم فقال في الرقة ربع العشر واما درّ جماعة فمثله طافية واما
خالي اسكت فمثله خالصه لانك اذا أضفت منادى الى نفسك جاز لك فيه
حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف هاهنا حرف النداء
كما حذفه في أصل الأحجية وصه بمعنى اسكت واما خذ لك فمثله

فماله حلم

هاتيك

هَا بَيْتُكَ وأمّا حمارُ وحشٍ طليا فمثله فرا زين لأنّ الفرا حمارُ الوحش ومنه
الخبر كلّ الصيد في جوف الفراء وأمّا أنفق تمع فمثله منتقم لأنّ الأمر من مان
يمون مُن ومضارع تمّ تمّ وأمّا استنشق ريح مدامة فمثله رحراح لأنّ الأمر
من استدعاء الرائحة رح وأمّا غطّ هلكي فمثله صنبور لأنّ البور الهلكي
وفي القرآن وكنتم قوما بورا وأمّا سار بالليل مرّة فمثله سراجين وأمّا
أجب فروقة فمثله مقلاع لأنّ الأمر من وقى ق واللاع الجبان يقال
فلان هاعٌ لاعٌ إذا كان جبانا جزوعا وأمّا أعط إبريقا بلوح بغير عروة فمثله
أسكوب لأنّ الأوس العطا والأمر منه أس والكوب الإبريق بغير عروة وأمّا
الثور ملكي فمثله اللالي لأنّ اللا على وزن القنا ثور الوحش وأمّا صفير محفلة
فمثله مكاشفة لأنّ المكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت
إلّا مكاءً وتصدية والأصل في المكاء المدّ ولكنّه قصر في هذه الأحجية
كما حذف همزة الفرا في أحجيته وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف الهمز من المهموز جائز

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة السابعة والثلثون

حكى الحارث بن همّام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاط يحكي الصعدة
واشتداد يبذّ بنات صعدة فلمّا رأيت نضرتها وريعت خضرتها سألت

مَنْ صح

تخاريرَ الرُّواةِ عمَّنْ يَحْوِيهِ السَّراةُ ومَعادنِ الخَيْراتِ لأتَّخِذَ جَذْوةً في

الظُّلُماتِ ونَجْدةً في الظُّلاماتِ فنُعِتَ لي قاضٍ بها رَحِيبُ الباعِ خَصِيبُ

الرِّباعِ تَميميُّ النَّسَبِ والطِّباعِ فلَمْ أزَلْ أتقرَّبُ إليهِ بالإلمامِ وأتَّفقُ عليهِ

بالإجْمامِ حتّى صِرْتُ صَدا صَوْتِهِ وسَلْمانَ بَيْتِهِ وكُنْتُ مَعَ اسْتِيارِ شُهْدِهِ

وامْتِشاقِ رَنْدِهِ أشْهَدُ مَشاجِرَ الخُصُومِ وأسْفِرُ بَيْنَ المَعْصُومِ مِنْهُمْ والمَوْصُومِ

فبَيْنَما القاضي جالِسٌ للاسْتِحْكامِ في يَوْمِ المَحْفَلِ والاحْتِفالِ إذْ دَخَلَ شَيْخٌ بالي الرِّياشِ

بادي الارْتِعاشِ فتَبَصَّرَ الحَفْلَ تَبَصُّرَ نَقّادٍ ثُمَّ زَعَمَ أنَّ لَهُ خَصْماً غَيْرَ مُنْقادٍ

فلَمْ يَكُنْ إلّا كَضَوْءِ شَرارَةٍ أو وَحْيِ إشارَةٍ حَتّى أحْضَرَ غُلاماً كأنَّهُ ضِرْغامٌ

فقالَ الشَّيْخُ أيَّدَ اللهُ القاضي وعَصَمَهُ مِنَ التَّغاضي إنَّ ابْني هذا كالقَلَمِ

الرَّدِيِّ والسَّيْفِ الصَّدِيِّ يَجْهَلُ أوْصافَ الإنْصافِ ويَرْضَعُ أخْلافَ الخِلافِ

إنْ أقْدَمْتُ أحْجَمَ وإذا أعْرَبْتُ أعْجَمَ وإنْ أذْكَيْتُ أخْمَدَ ومَتى شَوَيْتُ رَمَّدَ

مَعَ أنّي كَفَلْتُهُ مُذْ دَبَّ إلى أنْ شَبَّ وكُنْتُ لَهُ ألْطَفَ مِنْ زَنِيٍّ ورَبٍّ فأكْبَرَ

القاضي ما شَكا إليهِ وأطْرَقَ مَنْ حَوالَيْهِ ثُمَّ قالَ أشْهَدُ أنَّ العُقوقَ أحَدُ

الثُّكْلَيْنِ ولَرُبَّ عُقْمٍ أقَرُّ للعَيْنِ فقالَ الغُلامُ وقَدْ أمْعَضَهُ هذا الكَلامُ

والّذي نَصَبَ القُضاةَ للعَدْلِ ومَلَّكَهُمْ أعِنَّةَ الفَصْلِ والفَضْلِ إنَّهُ ما دَعا

قَطُّ إلّا أمَّنْتُ ولا ادَّعى إلّا آمَنْتُ ولا لَبّى إلّا وأحْرَمْتُ ولا أوْرى إلّا وأضْرَمْتُ

بَيْدَ أنَّهُ كَمَنْ يَبْغي بَيْضَ الأنوقِ ويَطْلُبُ الطَّيَرانَ مِنَ النُّوقِ فقالَ لهُ القاضي

وبم أعنتك وامتحن طاعتك قال إنه مذ صفر من المال ومُني بالإمحال
يسومني أن ألتمظ بالسؤال وأستمطر سحب النوال ليفيض شربه الذي
غاض وينجبر من حاله ما انهاض وقد كان حين أخذني بالدرس وعلّمني أدب
النفس أشرب قلبي أن الحرص متعبة والطمع معيبة والشره متخمة
والمسألة ملأمة ثم أنشدني من فلق فيه ونخب قوافيه

ارض بأدنى العيش واشكر عليه ... شكر من القُلّ كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل ... يحطّ قدر المترقي إليه
وجُمّ عن عرضك واستبقه ... كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما ناب من فاقة ... صبر أولي العزم وأغمض عليه
ولا ترق ماء المحيّا ولو ... خوّلك المسؤول ما في يديه
فالحرّ من إن قذيت عينه ... أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه ... لم ير أن يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ وكوهر واندرأ على ابنه وهرّ وقال له صهٍ يا عقق
يا من هو الشجى والشرق ولك أتعلم أمك البضاع وظئرك الإرضاع
لقد تحككت العقرب بالأفعى واستنت الفصال حتى القرعى ثم إنه
ندم على ما فرط من فيه وحدته المقة على تلافيه فرنا إليه بعين عاطف
وخفض له جناح ملاطف وقال ويك يا بني إن من أمر القناعة

تحككت العقرب بالأفعى يضرب لمن نازع من هو أقوى منه وبارى من هو فوقه واستنت الفصال حتى القرعى
يضرب لمن تعدى طوره وادعى ما ليس له واستن الفرس إذا جرى في عدوه نشيطا [illegible] والفصيل ولد الناقة إذا
فصل عن أمه والقرعى جمع قريع وهو الفصيل الذي خرج به بثر مثل الجدري فإذا أرادوا دواه [illegible]
جلده بالماء وجروه على السبخة

وزجر عن الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكسبة بالصناعة فأما
ذوو الضرورات فقد استثني بهم في المحظورات وهبك جهلت هذا
التأويل ولم يبلغك ما قيل السبت الذي عارض أباه فيما قال وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينيك هل أرض معطلة من النبات كأرض حفها الشجر
فعد عما يشير الأغبياء به فأي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به إلى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فإن بلت يداك به فليهنك الظفر
وإن رددت فما في الرد منقصة عليك قد رد موسى قبل والخضر

قال فلما رأى القاضي تباين قولي الغني وفعله وتحليه بالبر من أهله نظر
إليه بعين غضبى وقال أيمنيا مرة وقيسيا أخرى أف لمن ينقض ما يقول
ويتلون كما يتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للحق وفتاحا
بين الخلق لقد أنسيت مذ أسيت وصدئ ذهني مذ صديت على أنه أين
الباب الفتح والعطا السرح وهل يجي من يتبرع باللهى وإذا استطعم
يقول ها فقال له القاضي مه فمع الخواطي سهم صايب وما كل برق خالب
تميز البروق إذا شمت ولا تشهد إلا بما علمت فلما تبين للشيخ أن القاضي
قد غضب للكرام وأعظم تخيل جميع الأنام علم أنه سينصر كلمته

فصل

ويظهر

ويظهر الكرومة فما كذب أن نصب شبكته وشوى في الحريق سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه وحلمه أرسخ من رضوى
قد ادعى هذا على جهله أن ليس في الدنيا أخو جدوى
وما درى أنك من معشر عطاؤهم كالمن والسلوى
فجد بما يثنيه مستخزيا مما افترى من كذب الدعوى
وأثني جذلان أثني بما أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش له القاضي لقوله وأجزل له من طوله ثم لفت وجهه الى الغلام وقد نصل له أسهم الملام وقال له أرأيت بطل زعمك وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذم ولا تنحت عودا قبل عجم وإياك وتأبيك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عدت تعقه حاق بك مني ما تستحقه فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ ينشد

من ضامه أو ضاره دهره فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى بمن قبله وعدله أتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف أبي زيد وتنكيره الى أن احرورف للمسير فناجيت النفس باتباعه ولو الى رباعه لعلي أظهر على أسراره وأعرف شجرة ناره فنبذت العلق وانطلقت حيث انطلق ولم يزل يخطو وأعتقب ويبعد وأقترب الى أن تراءى الشخصان وحق التعارف على

الشيخ ح

عند ذلك ح

حين ح

الخلصان فأبدى الاهتشاش ورفع الارتعاش وقال من كاذب أخاه فلا عاش
فعرفت حينئذ أنه السروجي بلا محالة ولا حؤول حالة وأسرعت إليه
لأصافحه وأستعرف سانحه وبارحه فقال دونك ابن أخيك البر وتركني ومر
فلم يعد الغنى أن افتر ثم فر كما فر فعدت وقد أسبتت عينهما وكرأينهما



المقامة الثامنة والثلثون

حكى الحرث بن همام قال جبت إلى مذ سعت قدمي ونفث قلمي أن أتخذ
الأدب شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقب عن أخباره وخزنة
أسراره فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت يدي بغرزه
واستنزلت زكوة كنزه على إني لم ألق كالسروجي في غزارة السحب ووضع
الهناء مواضع النقب إلا أنه كان أسير من المثل وأسرع من القمر في النقل
وكنت لهوى ملاقاته واستحسان مقاماته أرغب في الاغتراب وأستعذب
السفر الذي هو قطعة من العذاب فلما تطوحت إلى مرو ولا غرو بشرني
بملقاه زجر الطير والفال الذي هو بريد الخير فلم أزل أنشد في المحافل
وعند تلقي القوافل فلا أجد عنه مخبرا ولا أرى له أثرا ولا عثيرا حتى غلب
اليأس الطمع وانزوى التأميل وانقمع فإني لذات يوم بحضرة والي مرو وكان

ممن جمع الفضل والسرو إذ طلع أبو زيد في خلق مملاق وخلق ملاق
فحيا الوالي تحية المحتاج إذا لقي رب التاج ثم قال له اعلم وقيت الذم
وكفيت الهم أن من عذقت به الأعمال أعلقت به الآمال ومن رفعت
له الدرجات رفعت إليه الحاجات وأن السعيد من إذا قدر وواتاه القدر
أدى زكوة النعم كما يؤدي زكوة النعم والتزم لأهل الحرم ما يلتزم للأهل
والحرم وقد أصبحت بحمد الله عميد مصرك وعماد عصرك تزجى الركاب
إلى حرمك وترتجى الرغائب من كرمك وتنزل المطالب بساحتك
وتستنزل الراحة من راحتك وكان فضل الله عليك عظيما ثم إني شيخ
ترب بعد الإتراب وعدم الإعشاب حين شاب قصدتك من محلة نازحة
وحالة رازحة آمل من بحرك دفعة ومن جاهك رفعة والتأميل أفضل
وسائل السائل ونائل النائل فأوجب لي ما يجب عليك وأحسن كما أحسن الله
إليك وإياك أن تلوي عذارك عمن ازدارك وأم دارك أو تقبض راحك
عمن امتاحك وامتار سماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد
بل اللبيب من إذا وجد جاد وإن بدا بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب
الذهب لم يهب أن يهب ثم أمسك يرقب أكل غرسه ويرصد مطيبة
نفسه وأحب الوالي أن يعلم هل نطفته ثمد أم لقريحته مدد فأطرق
يروي في استيراء زنده واستشفاف رنده والتبس على أبي زيد سر صمتته

وإرجاء صلته فتوغّر غضبًا وأنشد مقتضبا

لا تحقرنّ أبيت اللعن ذا أدبٍ لأن بدا خلق السربال سبروتا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا لبسٍ أم كان سكّيتا
وانفح بعرفك من وافاك مختبطًا وانعش بغوثك من ألفيت منكوتا
فخير مال الفتى مالٌ أشاد له ذكرًا تناقله الركبان أو صيتا
وما على المشتري حمدًا بموهبةٍ غبنٌ ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروّة ضاق العذر عن فطنٍ إذا اشرأبّ إلى ما جاوز القوتا
لكنّه لابتناء المجد جدّ ومن حبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تنشّق نشر الشكر ذو كرمٍ إلّا وأزرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتّى لقد خيل ذا ضبًّا وذا حوتا
والسمح في الناس محبوبٌ خلائقه والجامد الكفّ ما ينفكّ ممقوتا
وللشحيح على أمواله عللٌ يوسعنه أبدًا ذمًّا وتبكيتا
فجد بما جمعت كفّاك من نشبٍ حتّى يرى مجتدي جدواك مبهوتا
وخذ نصيبك منه قبل رائعةٍ من الزمان تريك العود منحوتا
فالدهر أنكد من أن يستمرّ له حالٌ تكرّهت تلك الحال أم شيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأيّ ولد الرجل أنت فنظر إليه عن عرضٍ ثمّ أنشد وهو مغضٍ

لا تسألِ المرءَ من أبوه ورُزْ خلالَه ثمّ صِلْه أو فاصرمِ
فما يشين السُّلافَ حين حلا مذاقُها كونُها ابنةَ الحِصرمْ

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن حتّى أحلّه مقعدَ الخاتن ثمّ فرض له من سَيْبِ نيله ما آذن بطول ذيله وقِصَرِ ليله فنهض عنه بِرُدْنٍ ملآن وقلبٍ جذلان وتبعتُه حاذيًا حذوَه وقافيًا خطوَه حتّى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هُنّيتَ بما أوتيتَ ومُلّيتَ ما أوليتَ فأسفر وجهُه وتلألأ ووالى شكرَ الله تعالى ثمّ خطر اختيالًا وأنشد ارتجالًا

من يكن نال بالحماقة حظًّا أو سما قدرُه لطيب الأصول
فبفضلي انتفعتُ لا بفضولي وبقولي ارتفعتُ لا بقبولي

ثمّ قال تعسًا لمن جدب الأدبَ وطوبى لمن جدّ فيه ودأبَ ثمّ ودّعني وذهبَ وأودعني...

المقامة التاسعة والثلثون

بلغت مقابلة وتصحيحا

حدّث الحرث بن همّام قال لهجتُ مذ اخضرّ إزاري وبقل عِذاري بأن أجوب البراري على ظهور المهاري أنجد طورًا وأسلك تارةً غورًا حتّى فليتُ المعالمَ والمجاهلَ وبلوتُ المنازلَ والمناهلَ وأدميتُ السنابكَ والمناسمَ

وأنضيت السوابق والرواسم فلما مللت الإصحار وقد سنح لي أرب بصحار
ملت إلى اختبار التيار واختيار الفلك السيار فنقلت إليه أساودي واستحجبت
زادي ومزاودي ثم ركبت فيه ركوب نادر عاذل لنفسه وعاذر فلما شرعنا
في القلعة ورفعنا الشرع للسرعة سمعنا من شاطئ المرسى حين دجا الليل
وأغسى هاتفاً يقول يا أهل ذا الفلك القويم المزجى في البحر العظيم بتقدير
العزيز العليم هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم فقلنا ألق سنا نارك
أيها الدليل وأرشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال تستصحبون ابن سبيل زاده في
زبيل وظله غير ثقيل وما يبغي سوى مقيل فأجمعنا على الجنوح إليه وألا نبخل
بالماعون عليه فلما استوى على الفلك قال أعوذ بمالك الملك من مسالك الهلك
ثم قال إنا روينا في الأخبار المنقولة عن الأحبار إن الله تعالى ما أخذ
على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا وإن معي لعوذة
عن الأنبياء مأثورة وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما
وسعني الكتمان ولا من شيمي الحرمان فتدبروا القول وتفهموا واعملوا
بما تعلمون وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال أتدرون ما هي هي والله
حرز السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم إذا جاش موج اليم
وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا ومن معه من الحيوان على ما صدعت به
آي القرآن ثم قرأ بعد أساطير لاها وزخارف حلاها وقال

تستصحبون صح

اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ثم تنفس تنفس المغرمين أو عباد الله
المكرمين وقال أما أنا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح
المبالغين وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وأنت خير
الشاهدين قال الحارث بن همام فأعجبنا بيانه البادي الطلاوة
وعجت له أصواتنا بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه معرفة عين شمسه
فقلت له بالذي سخر البحر اللجي ألست السروجي قال لي بلى وهل
يخفى ابن جلا فأحمدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسي إذ سفر
ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش صفو والزمان لهو
وأنا أجد للقيانه وجد المثري بعقيانه وأفرح بمناجاته فرح الغريق
بنجاته إلى أن عصفت الجنوب وعسفت الجنوب ونسي السفر ما كان
وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا الحادث الثائر إلى أحد الجزائر
لنريح ونستريح ريثما تؤاتي الريح وتمادى اعتياص المسير حتى نفد الزاد
غير اليسير فقال لي أبو زيد إنه لن يحرز جنى العود بالقعود
فهل لك في استثارة السعود بالصعود فقلت إني لأتبع من ظلك وأطوع من
نعلك فنهدنا إلى الجزيرة على ضعف من المريرة لنرتاد في امتراء الميرة
وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا وأقبلنا نجوس خلالها ونتفيأ
ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب من حديد ودونه زمرة

للاستقاء

من عبيد فناسمناهم لتتخذهم سلما الى الارتقاء وأرشية للاستسقاء
فألفينا كلا منهم في مسك كسير وكرب أسير فقلنا أيتها الغلمة لم هذه الغمة
فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما رأينا نارهم نار الحباحب
وخبرهم كسراب السباسب قلنا شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن
ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عرة وقال يا قوم
لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فإنا لفي حزن شامل وشغل عن الحديث
شاغل فقال له أبو زيد نفس خناق البث وانفث إن قدرت على النفث
فإنك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا شافيا فقال اعلم أن رب
هذا القصر هو قطب هذه البقعة وشاه هذه الرقعة إلا أنه لم يخل من
كمد الخلو من ولد ولم يزل يستكرم المغارس ويتخير المفارش النفائس
إلى أن بشر بحمل عقيلة وآذنت زقلته بنسيلة فنذرت له النذور
وأحصيت الأيام والشهور ولما حان النتاج وصيغ له الطوق والتاج
عسر مخاض الوضع حتى خيف على الأصل والفرع فما فينا من يعرف
قرارا ولا يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول وردد الاسترجاع
وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وأبشر بالفرج
وبشر فعندي عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في الخلق فتبادرت
الغلمة إلى مولاهم متباشرين بانكشاف بلواهم فلم يكن إلا كلا ولا حتى برز

عن أبي هريرة قال لقيا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا في البرية اذ رايا وحشية ماخضا
فقال عيسى ليحيى قل الكلمات حنة ولدت مريم ومريم ولدت عيسى الارض تدعوك يا ولد اخرج
ولد اخرج يا ولد اخرج قال حماد بن زيد فما يكون في الحي امراة تعسر عليها مخاضها فقرا هذا الا ولدت

من هلمّ بنا اليه فلمّا دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لابي زيد ليهنأ منالك
ان صدق مقالك ولم يفل فالك فاستحضر قلما مبريّا وزبدا بحريّا وزعفرانا
قد ديف بماء ورد نظيف فما ان رجع النفس حتّى احضر ما التمس فسجد
ابو زيد وعفّر وسبّح واستغفر ثمّ اخذ القلم واستحفد وكتب على الزبد
بالمزعفر

ايّها المجتنّ انّي ناصح لك والنصح من شروط الدين
انت مستعصم بكنّ كنين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من الف مداج ولا عدوّ مبين
فمتى ما برزت منه تحوّلت الى منزل الاذى والهون
وتراءى لك الشقاء الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر ان تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبّه بظنين

ثمّ انّه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشدّ الزبد في خرقة
حرير بعدما ضمّخها بعبير وامر بتعليقها على فخذ الماخض وان لا تعلق
بها يد حائض فلم يك الّا كفواق شارب او فواق حالب حتّى اندلق شخص
الولد لخصيصى الزبد بقدرة الواحد الصمد فامتلأ القصر حبورا واستطير

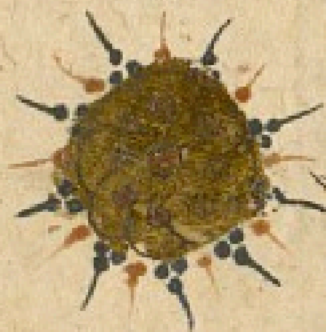
عممتك وعمتك سرورا وأحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه وتقبل يديه وتتبرك بمسامس طمريه حتى خيل إلي أنه القرني أويس أو الأسدي دبيس ثم انثال عليه من جوائز المجازاة وصلات الصلات ما قيض له الغنى وبيض وجه المنى ولم يزل يتنابه الدخل مذ نبخ السخل إلى أن أعطي البحر الأمان وتسنى الإتمام إلى عمان فاكتفى أبو زيد بالنحلة وتأهب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة بركته بل أوعز بضمه إلى حزانته وأن تطلق يده في خزانته قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال إلى حيث يكسب المال أنحيت عليه بالتعنيف وهجنت له مفارقة المألف والأليف فقال إليك عني واسمع مني

لا تصبون إلى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب إلى كن يقي ولو أنه حضنا حضن
وأربأ بنفسك أن تقيم بحيث يغشاك الدرن
وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا انت لو اتبعت قال فأوضحت له معاذيري
وقلت كن عذيري فعذر واعتذر وزود حتى لم يذر ثم شيعني تشييع الاقارب
الى ان ركبت في القارب فودعته وانا اشكو الفراق وأذمه وأود لو هلك
الجنين وامه

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة الاربعون



أخبر الحرث بن همام قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل
والعزيز وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد
الصحبة لقيت ابا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسألته
عن خطبه والى اين يسرب مع سربه فأومى الى امرأة منهن باهرة السفور
ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني
قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي
فانا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا الى الحاكم
ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق والا فالطلاق الطلاق
والانطلاق قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب
فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان كنت لا اغني فلما حضرا القاضي
وكان ممن يرى فضل الامساك ويظن بنفاثة السواك جثى ابو زيد

ويقص

بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن اليه ان مطيتي هذه أبية
القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها
فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب الرب ويوجب الضرب
فقالت انه ممن يدور خلف الدار ويأخذ الجار بالجار فقال له القاضي
أتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا إفراخ اغرب عني لا نعم عوفك
ولا أمن خوفك فقال أبو زيد انها ومرسل الرياح لأكذب من سجاح
فقالت بل هو ومن طوق الحمامة وجنح النعامة أكذب من أبي ثمامة
حين مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين
في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني بنيت عليك
ورنوت اليك ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة
وأنتن من جيفة وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة
وأبرد من قرة وأحمق من رجلة وأوسع من دجلة فسترت عوارك ولم أبد
عارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها
وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة بنسكها وخندف بفخرها
والخنساء بشعرها لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال
فتذمرت المرأة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا ألأم

من مادر

كان صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على ارض من الذهب

ولما دخل المأمون على بوران بنت الحسن واراد غشيانها حاضت بوران فقالت اتى امر الله فلا تستعجلوه فامتنع المأمون من غشيانها ونام في فراش اخر فلما اصبح الصبح وقعد دخل عليه افاضل زمانه فقبلوا الارض بين يديه وهنوه ودعوا له فانشد بديهة

فارس ماض بحربته حاذق بالطعن في الظلم ❊ رام ان يدمي فريسته فاتقته من دم بدم

واما الزبا ملكة الجزيرة نايله بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع العليقي وكان ابوها من العماليق وهم قوم من حمير قد ملك الحضر وهو مدينة قديمة بين دجلة والفرات وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراها واذا نشرته جللها فسميت الزبا واشتهر عليها علو الهمة وسمو القدر وقوة المنعة ومضاء العزيمة فبلغت همتها الى ان جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار ابيها ومملكته بعد ما غزا اباها جذيمة بن مالك الابرش وطرده عن بلاده وكانت عاقلة اديبة كثيرة الحيل وقصتها مشهورة مع جذيمة وقصير

واما رابعة فهي بنت اسمعيل العدوية من اهل البصرة كانت منورة البصيرة مطهرة السريرة حظيت بالمكاشفات الربانية ورزقت من الالطاف الصمدانية وابوها مولى لآل عتيك وكان سفيان الثوري يسالها عن مسائل ويرغب اليها ويرغب في موعظتها ودعائها روي عن جعفر بن سليمان قال اخذ بيدي سفيان الثوري وقال مر بنا الى المودبة التي لا اجد اذا استريح اذا فارقتها يعني رابعة العدوية قال فلما دخلنا عليها رفع سفيان يده وقال اللهم اني اسالك السلامة فبكت رابعة فقال لها ما يبكيك قالت انت عرضتني للبكاء فقال لها وكيف قالت اما علمت ان السلامة من الدنيا تركها فكيف وانت متلطخ بها محمد بن الحسين قال سمعت عبد الله بن حنيف يقول قال رجل لرابعة اني احبك في الله قالت فلا تعص الذي احببتني له وانشدت

ايضمن لي فتى ترك المعاصي وارهنه الكفالة بالخلاص ❊ اطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي

واما خندف فهي ليلى بنت عمران بن الحاف بن قضاعة القضاعية وكانت تحت الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فولدت له ثلثة بنين عمرا وعامرا وعميرا فندت لهم ابل فخرجوا في طلبها فادركها عامر فسمي مدركة واقتنص عمرو ارنبا فطبخه فسمي طابخة وانقمع عمير في بيته فسمي قمعة وقيل قمعة فلما ابطاوا عليها خرجت في اثرهم فقالت ما زلت اخندف في اثرهم فلقبت خندف [illegible] والخندفة الهرولة

واما الخنسا واخوها صخر بن عمرو بن الحرث بن الشريد الشريدي واسم الخنسا تماضر بنت عمرو وقد ذكرت في المقامة الثالثة عشر من مراثيها في اخيها صخر

يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره بكل طلوع شمس ❊
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي ❊ وما يبكون مثل اخي ولكن اسلي النفس عنهم بالتاسي

محمد بن عمر الجرجاني عن المفضل بن محمد الضبي قال كنت يوما جالسا على باب [illegible] الى [illegible] وعلي [illegible] رسول المهدي فقال اجب امير المؤمنين فقلت في نفسي وما يبغيه امير المؤمنين لعل ساعيا سعى بي اليه ثم دخلت [illegible] فلبست ثيابي وصرت اليه فاذا بين يديه [illegible] فسلمت عليه فقال وعليك السلام واومى الي بالجلوس فجلست فلما سكن جاشي قال لي يا مفضل ما احسن بيت قالته العرب في [illegible] على [illegible] ثم قال يا امير المؤمنين [illegible] ما سوى [illegible] وكان [illegible] قال الحي فلت قولها

وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار

[illegible] فاي علي واومى الي [illegible] امير المؤمنين قال يا مفضل [illegible] قلت [illegible] امير المؤمنين فحدثته حتى [illegible]

وقد تعقد الدنيا فيضحي غنيها فقيرا ويثري بعد فقر فقيرها ❊ وكم قد رأينا من تغير عيشة واخرى صفا بعد الاكدار غديرها ❊ فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوته تفنى ويبقى مريرها

وكان المهدي [illegible] المفضل [illegible] كيف [illegible] حال [illegible] عليه عشر الاف درهم [illegible] الاف درهم [illegible] ومن [illegible] يصلح [illegible]

ابو دلامة زند بن الجون بالزاي والنون كوفي اسود مولى لبني اسد وكان ابوه عبدا لرجل منهم يقال له قصاف فاعتقه وكان ابو دلامة صاحب نوادر غريبة ومضاحك عجيبة حظي بها في مجالس الخلفاء وادرك اخر ايام بني امية ولم يكن له في ايامهم نباهة ونبغ في ايام بني العباس وكانت له بغلة جميع عيوب الدواب فيها موجود ومنافعها عنها مفقود وكان يركبها في مواكب الخلفاء ومراكب الكبراء ويضحكهم بشماسها وحرانها ويبطيهم بعثارها وعبارها وقد ذكر بعض عيوبها في قصيدة اولها

ابعد الخيل اركبها كراما وبعد الفره من حضر البغال ‏ ‏ رزقت بغلة فيها وكال ولَيتها لم تكن غير الوكال

رايت عيوبها كثرت علينا وان اكثرتها من المعال ‏ ‏ ليحصي منطقي وكلام غيري عشير خصالها شر الخصال

فاهون عيبها اني اذا ما نزلت فعلت امشي لا ابالي ‏ ‏ تقوم فما تبيت هناك شبرا ومحيي وتلحق في قبالي

واني ان ركبت اذيت نفسي بضرب باليمين وبالشمال ‏ ‏ وبالرجلين اذكرها جميعا فيالك في الشقاء وفي الكلال

اتاني خائب يبتاع مني قديم في الخيانة والضلال ‏ ‏ فلما ابتاعها مني وبتت له في البيع عن المستقال

اخذت بثوبه ابرأت مما اعد عليك من سوء الخلال ‏ ‏ برئت اليك من مشي يديها ومن حرد ومن ثقل المخالي

ومن فتق بها في البطن ضخم ومن عقالها ومن انفتال ‏ ‏ ومن قطع اللسان ومن بياض بعينيها ومن قرض الحبال

ومن عض الغلام ومن خراط اذا ما همت صحبك بارتحال ‏ ‏ واقطف من فريخ الذر مشيا بها عرن وداء من سلال

وتكسر سرجها ابدا شماسا وتمضي لا تكاف على اعتيال ‏ ‏ ويدبر ظهرها من مسح كف وتهزل في الجمام من الجلال

تظل لرابنة منها وقيد انجاف علك من ورم الطحال ‏ ‏ ومشفار تقدم كل سرج تصيره دقيقة على القذال

وتحفي لو تسير على الحشايا ولو تمشي على دمث الرمال ‏ ‏ اذا استعجلتها عثرت وبالت وقامت ساعة عند المبال

تفكر اين تمضي فتخطو كان برجلها قيد الشكال ‏ ‏ وتضرط اربعين اذا وقفنا على اهل المجالس للسؤال

فتقطع منطقي وتحول بيني وبين حديثهم فيما توالي ‏ ‏ وتذعر للدجاجة ان تراها وتنفر للصفير وللخيال

فاما الاعتلاف فادنى منها من الاتبان امثال الجبال ‏ ‏ واما القت فالف وقر كاعظم حمل احمال الجمال

فليست عالفا منه لمثا وعندك منه عود للخلال ‏ ‏ وان عطشت فما ورد بها دجيلا اذا وردت ونهري بلال

فذاك لربها سقيت جمعا وان تمد الفرات فللنهال ‏ ‏ وكانت قارحا ايام كسرى وتذكر تبعا عند الفصال

وقد ربيت ونعمان صبي وقبل فصاله تلك الليالي ‏ ‏ وتذكر اذ نشا بهرام جور وعاملة على خرج الجوالي

فقد مرت بقرن بعد قرن واخر عهدها الهلاك مالي ‏ ‏ فابدلني بها يا رب طرفا يزين جمال مركبه جمالي

اما الحسن فهو ابو سعيد الحسن بن ابي الحسن يسار البصري كان من سادات التابعين والعلماء الخاشعين ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب وكان ابواه مولوين [illegible] امه مولاة ام سلمة زوج النبي [illegible] قال محمد بن زين العابدين كان الحسن كلامه يشبه كلام الانبياء [illegible] وسئل انس بن مالك عن مسالة فقال عليكم مولانا الحسن فسلوه فقالوا يا ابا حمزة نسالك فتقول سلوا الحسن فقال انا سمعنا وسمع فحفظ ونسينا ودخل الحسن على الحجاج فقال له ما تقول في علي وعثمان فقال اقول فيهما كما قال من هو خير مني بين يدي من هو شر منك قال [illegible] وتوفي الحسن سنة عشر ومائة وتوفي ابن سيرين بعده بمائة يوم

واما الشعبي فهو ابو عمرو عامر بن شراحيل من شعب همدان كوفي ولد لست سنين من خلافة عمر بن الخطاب وبه يضرب المثل في الحفظ ابو عبد الله [illegible] الزهري قال العلماء اربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال رجل للشعبي ما اسم امراة ابليس قال ذاك عرس ما شهدناه وتوفي الشعبي في سنة اربع ومائة وهو ابن اثنتين وثمانين سنة والله اعلم بحقيقة ذلك

[illegible] على الجبانات والعواد [illegible] اشهد له [illegible] التي فيها

مِنْ مادِرٍ وأشأمُ مِنْ قاشِرٍ وأجبنُ مِنْ صافِرٍ وأطيشُ مِنْ طامِرٍ أتُرى تُباري
بشِنارِكَ وتُغطّي عُرَّكَ بشِفارِكَ وأنتَ تعلمُ أنّكَ أحقرُ مِنْ قُلامةٍ وأعيبُ
مِنْ بغلةِ أبي دُلامةَ وأفضحُ مِنْ حَبْقةٍ في حَلْقةٍ وأحيرُ مِنْ بقّةٍ في حُقّةٍ
وهَبْ أنّكَ الحسنُ في لفظِهِ ووعظِهِ والشّعبيُّ في علمِهِ وحفظِهِ والخليلُ
في عَروضِهِ ونحوِهِ وجريرًا في غزلِهِ وهجوِهِ وقُسًّا في فصاحتِهِ وخطابتِهِ
وعبدَ الحميدِ في بلاغتِهِ وكتابتِهِ وأبا عمرٍو في قراءتِهِ وإعرابِهِ والأصمعيَّ
في روايتِهِ عن أعرابِهِ أتظنُّني أرضاكَ إمامًا لمحرابي وحُسامًا لقِرابي
لا واللهِ ولا بوّابًا لبابي ولا عصًا لجِرابي فقالَ لهما القاضي أراكما شَنًّا
وطَبَقةً وحِدَأةً وبُندُقةً فاتركْ أيّها الرّجلُ اللَّدَدَ واسلُكْ في سيرِكَ
الجَدَدَ وأمّا أنتِ فكُفّي عن سِبابِهِ وقَرّي إذا أتى البيتَ مِنْ بابِهِ فقالتِ
المرأةُ واللهِ ما أسجُنُ عنهُ لساني إلّا إذا كساني ولا أرفعُ لهُ شِراعي
دونَ إشباعي فحلفَ أبو زيدٍ بالمُحرِّجاتِ ثلاثًا أنّهُ لا يملكُ سوى أطمارِهِ
الرِّثاثِ فنظرَ القاضي في قصصِهما نظرَ الألمعيِّ وأفكرَ فكرةَ اللَّوذعيِّ
ثمّ أقبلَ عليهما بوجهٍ قد قطّبَهُ ومِجَنٍّ قد قلّبَهُ وقالَ ألمْ يكفِكُما التّسافُهُ
في مجلسِ الحُكْمِ والإقدامُ على هذا الجُرْمِ حتّى ترافَيْتُما مِنْ فُحشِ المقاذعةِ
إلى خُبْثِ المخادعةِ وايمُ اللهِ لقد أخطأتْ استُكما الحُفرةَ ولم يُصِبْ سهمُكُما
الثُّغرةَ فإنّ أميرَ المؤمنينَ أعزَّ اللهُ ببقائِهِ الدّينَ نصبَني لأقضيَ بينَ الخصماءِ

لا لأقضي دين الغرماء ووحق نعمته التي أحلتني هذا المحل وملكتني العقد والحل لئن لم توضحا لي جلية خطبكما وخبيئة خبكما لأنددن بكما في الأمصار ولأجعلنكما عبرة لأولي الأبصار فأطرق أبو زيد إطراق الشجاع ثم قال له سماع سماع

أنا السروجي وهذي عرسي ولا تنأى ديرها عن قسي
وما عدت بسقياي أرض غرسي لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كأنا لخفوت النفس أشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي وشفنا الضر الأليم المس
قمنا لسعد الجد أو للنحس هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي إلى التحلي بلباس اللبس
فهذه حالي وهذا درسي فانظر إلى يومي وسل عن أمسي
وامر بجبري أرتشا أو حبسي ففي يديك صحتي ونكسي

وليس كفو البدر غير الشمس وما تنافى أنسها وأنسي

فقال له القاضي ليثب أنسك ولتطب نفسك فقد حق لك أن تغفر خطيئتك وتوفر عطيتك فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت وأشارت إلى الحاضرين وقالت

يا أهل تبريز لكم حاكم أوفى على الحكام تبريزا

ما فيه من عيب سوى أنه يوم الندى قسمته ضيزى

قصدته والشيخ يبغي جنى عود له ما زال مهزوزا

فسرّح الشيخ وقد نال من جدواه تخصيصا وتمييزا

وردّني أخيب من شايم برقا خفا في شهر تموزا

كأنه لم يدر أني لقنت الشيخ الأراجيزا

وانني ان شئت غادرته أضحوكة في أهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي احتدام لجاجهما وانصلات لسانيهما علم أنه قد مني منهما بالداء العياء والداهية الدهياء وانه متى منح أحد الزوجين وصرف الآخر صفر اليدين كان كمن قضى الدين بالدين أو صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واخرنظم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة وأخذ يذم القضا ومتاعبه ويعدد شوائبه ونوائبه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس كما يتنفس الحزين وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب وقال ان هذا الشيء عجيب أأرشق في موقف بسهمين أألزم في قضية مغرمين أأطيق أن أرضي الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف الى حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاغترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه

ولا نصيب فأرحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما بدينارين
ثم فرق الأصحاب وأغلق الباب وأشعر انه يوم مذموم وان القاضي فيه
مهموم لئلا يحضره فيه خصوم قال فأمن الحاجب على دعائه
وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه المثقالين وقال أشهد
انكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها
فحش الكلام فما كل قاض قاضي تبريز ولا كل وقت فيه يسمع الاراجيز
فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين
وأصليا قلب القاضي نارين

مهذار أي كثير الهذيان — اعطهما — اظهر — فازا

بلغ مقابلة وتصحيحا

تفسير ما تضمن هذه المقامة من الألفاظ

اللغوية والامثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الأمر الذي
يزاوله كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق وقوله جعلته دبر
اذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم وقوله
الكذب من سجاح يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه
لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر
مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة

وهي السهولة

ومنه قولهم ملكت فأسجح وقوله اكذب من ابي ثمامة هذه كنية مسيلمة
الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد وقتله
وقوله لا نعم عوفك العوف الحال والعوف ايضا الذكر ويدعى للباني على اهله
فيقال نعم عوفك وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان معدولان عن
دفرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكل ما سمي بصيغة
غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث
يا دفار يا فجار ولا يجوز ذلك في غير النداء الا في ضرورة الشعر كقول الشاعر
اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع
واما قوله احمق من رجلة هي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها
واما قوله الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر اتخذ حوضا
ليسقي ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده واما
قوله أشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبايل سعد بن زيد مناة ما طرق
ابلا قط الا ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه
الارض من النبات واما قوله أجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره قال
بعضهم عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح
الجو ومصايد الارض وقيل انه طاير بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض
الاغصان ولم يزل يصفر طوال ليلته خوفا من ان ينام فيوخذ وقيل انه الذي

يظهر صح

يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يعثر على أمره وقيل إن المراد
به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير فعلى هذا القول فاعل هاهنا
بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة
وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا
أي ساترا وأما قوله أطيش من طامر فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر
لكثرة وثوبه وأما قول القاضي أرام شنا وطبقة وحداة وبندقة فإنه
أراد به أن كلا منهما كفؤ لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين
تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم
وافق شن طبقة فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفصى
ابن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت
طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن
رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا بامرأة تلائمه
وكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره
فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل
هل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسارا حتى أتيا على زرع فقال له شن أترى
هذا الزرع أكل أم لا قال يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما
جنازة فقال له شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا

الى القبر حيا ثم انهما وصلا الى قرية الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنت
تسمى طبقة فاخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا
استفهمك الا عما يستفهم عن مثله اما قوله تحملني ام احملك فانه اراد
اتحدثني ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله اترى هذا
الزرع اكل ام لا فانه اراد هل استسلف اربابه ثمنه ام لا واما استفهامه عن
حيوة صاحب الجنازة فانه اراد به اخلف عقبا يحيي ذكره ام لا فلما خرج
الى الرجل حدثه بتاويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار
بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة
فسارت مثلا وحكى ان الاصمعي سيل عن تفسير هذا المثل فقال اظن ان الشن
كان وعا من ادم قد اتشن فلما اتخذ له غطا وافقه ضرب فيه هذا المثل
واما حداة او بندقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدو او يبلى
بنظير حدا حدا وراك بندقة وكان الاصل حداة باثبات الها فرخم في النداء
فقد اختلف في المراد بهما فقيل هما الطاير المعروف وبندقة الرامي وقيل
انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حداة وكانت تنزل الكوفة على بندقة
وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حداة فابحت عليهم وقد
رواه بعضهم حدا حدا غير مهموز مثل حصا ورحي وزعم انه اسم القبيلة واما
قوله اخطات استك الحفرة فانه مثل يضرب لمن يخطي في مقصده ويضع

رُبّه ح
أحيٌ بهوام لا ح

في غير موضعه واما قوله طلسم وطرسم فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم اطرق
وقوله آخر نظم وبرطم غضب وقطب وقيل ان معنى آخر نظم غضب
مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس وقوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام

المقامة الحادية والاربعون

حدث الحرث بن همام قال لما طغت دواعي التصابي في غلواء شبابي
لم ازل زيرا للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير
فعزمت الى رشد الانتباه وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم اخذت في كسع
الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات
الى ملاقاة التقاة وعن معاناة القينات الى مداناة اهل الديانات
وآليت ان لا اصحب الا من نزع عن الغي وقاد منشره الى الطي وان القيت
من هو خليع الرسن مديد الوسن نأيت داري عن داره وفررت عن عره
وعاره فلما القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها الانيس رأيت به ذا
حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو يقول بجأش متين ولسان
مبين مسكين ابن آدم واي مسكين ركن من الدنيا الى غير ركين واستعصم
منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب

عليها

لشقاوته ويعتدّ فيها المفاخرة ولا يتزوّد منها لآخرته أقسم بمن مرج البحرين ونوّر القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو أفكر فيما قدّم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما فات ولو نظر في المآل لحسّن قبح الأعمال يا عجبا كل العجب لمن يتحمّد ذات اللهب في اكتناز الذهب وخزن النشب لذوي النسب ثم من البدع العجيب أن يعظك وخط المشيب ويؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى أن تنيب وتهذّب المعيب ثم اندفع ينشد إنشاد من يرشد

يا ويح من أنذره شيبه *** وهو على غيّ الصبى منكمش

يعشو إلى نار الهوى بعدما *** أصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويعتدّه *** أوطا ما يفترش المفترش

لم يهب الشيب الذي ما رأى *** نجومه ذو اللبّ إلا دهش

ولا انتهى عمّا نهاه النهى *** عنه ولا بالى بعرض خدش

وذاك إن مات فسحقا له *** وإن يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره *** كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبذا من عرضه طيّب *** يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شانه ذنبه *** هلكت يا مسكين أو تنتقش

فأخلص التوبة تطمس بها *** من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضي ودار من طاش ومن لم يطش
وريش جناح الحر ان حصّه زمانه لا كان من لم يرش
وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاستجش
وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش
وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

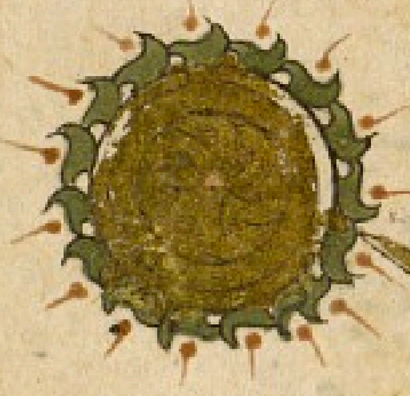
قال فلما فرغ من مبكياته وقضى انشاد ابياته نهض صبي قد شدن واعرى
البدن وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة قد وعيتم الانشاد
وفهمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يعتبل ويصلح المستقبل فليبن ببري
عن نيته ولا يعدل عني بعطيته فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار
ان سري لكما ترون وان وجهي ليستوجب الصون فاعينوني رزقتم
العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف عليه الالوف ويتسنى له المطلوب
حتى ابط حفنه واعشوشب قفره فلما ان ترع الكيس انصلت يميس
ويحمد تميس ولم يحل للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام فاسترفع
الايدي للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوي فانبعثت الى ان اعجمه
واحل مترجمه فتبعته وهو يتشدد في سمته ولا يفتق رتق صمته فلما
أمن التفاجي وامكن التناجي لفت جيده الي وسلم تسليم البشاشة
علي ثم قال اراك ذكا ذاك الشويدن فقلت اي والمؤمن المهيمن

قال إنه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد أنك لشجرة
ثمرته وشواظ شرارته فصدق كهانتي واستحسن إبانتي ثم قال هل لك
في ابتدار البيت لنتنازع كأس الكميت فقلت له ويحك أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم فافتر افترار المتضاحك ومر غير مماحك
ثم بدا له أن تراجع إلي وقال احفظها عني وعلي

اصرف بصرف الراح عنك الأسى وروح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم قدك اتئب

ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق وإذا كنت لا تصحب
ولا تلائم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخل سبيلي
ونكب ولا تنفر عني ولا تنقب ثم ولى مدبرا ولم يعقب قال
الحرث بن همام فالتهبت وجدا عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة الثانية والأربعون

حكى الحرث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومهاوي الهوى
إلى أن جبت ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا أني لم أكن أقطع واديا
ولا أشهد ناديا إلا لاقتباس الأدب المسلي عن الأوطان المغلي قيمة الإنسان

الأشجان

حتى عرفت بهذه الشنشنة وتناقلتها عني الألسنة وصارت أعلق بي
من الهوى ببني عذرة والشجاعة بآل أبي صفرة فلما ألقيت الجران بنجران
واصطفيت بها الخلان والجيران تخذت أنديتها معمري وموسم فكاهتي
وسمري فكنت أتعهدها صباح مسا وأظهر فيها على ما سر وسا فبينما
أنا في نادٍ محشود ومحفل مشهود إذ جثم لدينا ذو هدم فحيا تحية
ملق بلسان ذلق ثم قال يا بدور المحافل وبحور النوافل قد بين الصبح
لذي عينين وناب العيان مناب عدلين فما ترون فيما ترون ألمحسنون
العون أم تنأون إذ تدعون فقالوا له تالله لقد غلطت ورمت أن تنبط
فغضت فناشدهم الله عماذا صدهم حتى استوجب ردهم فقالوا
كنا نتناضل بالألغاز كما يتناضل يوم البراز فما تمالك أن شعث
من المنضول وألحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسنه لسن القوم ووخزوه
بأسنة اللوم وأخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم
مضبون على مؤاخذته وملبون داعي منابذته إلى أن قال لهم يا قوم إن
الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم إلى أن
نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم
ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا أن يكون أولهم فأمسك ريثما يعقد
شسعًا أو يشد نسعًا ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش وأنشد

قوله والسماحة بآل ابي صفرة كانوا حماة شجعانا ابطالا احماة

منهم ابو سعيد المهلب بن ابي صفرة ادرك خلافة عمر بن الخطاب وغزا في خلافته ثم صاروا الى خراسان وهو صاحب الحروب مع الازارقة وقد كان عبد الملك بن مروان ولى المهلب بن ابي صفرة خراسان سنة تسع وسبعين ثم مات المهلب في سنة اثنين او ثلاث وثمانين واستخلف ابنه يزيد بن المهلب وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب سنة ثلاث وخمسين قال وقتل المهلب واولاد ومن معه من عدوهم الازارقة في ليلة واحدة اربعة آلاف وثمان مائة وانهزم البقية وقال خليفة غزا يزيد بن المهلب جرجان في خلافة سليمن بن عبد الملك في سنة سبع وتسعين ومع يزيد مائة الف رجل فقاتلهم اشهرا ثم صالحهم ان يعطوا خمس مائة الف درهم كل عام يؤدونها اليه قال خليفة وفي سنة ثمان وتسعين غزا يزيد بن المهلب طبرستان فسأله الاصفهبذ الصلح على سبع مائة الف درهم واربع مائة وقر زعفران واربع مائة رجل مع كل رجل ترس وطيلسان وجام فضة وسرقة حرير وكسوة فقبل ذلك يزيد منهم وانصرف وذكر خليفة ان اهل جرجان غدروا ابن خلفه يزيد عليهم من المسلمين فقتلوهم فلما سمع سار اليهم فتحصنوا فقاتلهم يزيد اشهرا ثم اعطوا بايديهم ونزلوا على حكمه فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وصلبهم فرسخين

... المسير فقفولها
... تشاث رسلها
... الى المصيف فحولها
... في جابول النخل
... ملغزا في القلم
... الكرام
... بروق الاوام
ويذري حين يستبكي دموعا يرقن كما بروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وانشد ملغزا في الميل

وما ناكح اختين جهرا وخفية وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه وان مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب معاذ الاداب وانشد ملغزا في الدولاب

معاذة

رجوعها

الزنجبيل الذي ينفع مع الوجع وفي مناصله وغيرها

يتبعهم

الكد وهو الحبل الذي يصعد به الى النخله

من قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم اي بكتابهم

العطش

يصب

لا اثم عليه

عيب الشيب من العين ومثانه ... الكحل

فارسي معرب وقد يقال بفتح الدال

حتى عرفت لي هذه الشنشنة ...
من الهوى ببني عذرة والشجا ...
واصطفيت بها الخلان وا ...
وسمري فكنت اتعهده ...
انا في نادٍ محشود ومحفل مش ...
ملق بلسان ذلق ثم قال ...
لذي عينين وناب العيان م ...
العون ام تناون اذ تدع ...
فغضت فناشدهم الله ...
كنا نتناضل بالالغاز كا ...

وقد دهم ابي عثر الغال الانذر وادي جرجان فقتلهم واجرى الما في الوادي
على الدم وعليه ارحا تطحن بدمايهم فطحن واختبز واكل وكان يزيد قد حلف
على ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن الليث فحمل على طعن يزيد بن المهلب رجلا
من الخوارج فصرعه قال فوثب الخارجي بالسيف وبالرمح وهو يقول

وانا القوم ما نعود خيلنا ... اذا ما التقينا ان تحيد وتنفرا
وتنكر يوم الروع الوان خيلنا ... من الدم حتى تحسب الجون اشقرا
وليس بمعروف لنا ان نردها ... صحاحا ولا مستنكر ان تعقرا

قال يزيد فكرهت ان اقتل مثله فانصرفت عنه وقال الشاعر

آل المهلب قوم خولوا شرفا ... ما ناله عربي لا ولا كادا
لو قيل للمجد حد عنهم وخالهم ... بما احتكمت من الدنيا لما حادا
ان المكارم ارواح يكون لها ... آل المهلب دون الناس اجسادا

وقال بعض الشعرا
اذا كان المهلب من وراي ... هدا الليل وقر له فوادي
ولم اخش الدنية من اناس ... ولو صالوا بقوم قوم عاد

من المنضول والحق هذا الفضل بنمط الفضول فلسبته لسن القوم وو...
بأسنة اللوم واخذ هو يتنصل من هفوته ويتندم على فوهته وهم
مضبون على مؤاخذته وملبون داعي منابذته الى ان قال لهم يا قوم ان
الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع والقذع ثم هلم الى ان
نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم
ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا أن يكون أولهم فأمسك ريثما يعقد
شسعا أو ينشد نسعا ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش وانشد

مُلغزاً في مِروحة الخيش

وجاريةٍ في سيرها مُشمعلّةٍ ولكن على إثر المسير قفولها

لها سائقٌ من جنسها يستحثّها على أنّه في الاحتثاث رسيلها

ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ويبدو إذا ولّى المصيف قحولها

ثمّ قال وهاكم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد ملغزاً في حابول النخل

ومنتسبٍ إلى أمٍّ تنشّا أصلُه منها

يعانقها وقد كانت نفته برهةً عنها

به يتوصّل الجاني فلا يُلحى ولا يُنهى

ثمّ قال ودونكم الخفيّة العلم المعتكرة الظُّلَم وأنشد ملغزاً في القلم

ومأمومٍ به عُرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام

له إذ يرتوي طيشان صادٍ ويسكن حين يعروه الأوام

ويُذري حين يستسقي دموعاً يرقّ كما يروق الابتسام

ثمّ قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزاً في الميل

وما ناكحٌ أختين جهراً وخفيةً وليس عليه في النكاح سبيل

متى يغش هذي يغش في الحال هذه وإن مال بعلٌ لم يجده يميل

يزيدهما عند المشيب تعهّداً وبرّاً وهذا في البعول قليل

ثمّ قال وهذه يا ذوي الألباب ميعاد الإدآب وأنشد ملغزاً في الدولاب

وجار

وَجافٍ وهو موصولٌ وصولٌ لِسَن بالجفا يفي
غريقٌ بارزٌ فاعجب له من راسبٍ طافي
يسحُّ دموعَ مهضومٍ وهيصمٌ هضمٌ متلافِ
ويُخشى منه حدّتُه ولكن قلبُه صافي

قال فلما رشق بالخمس التي نسق قال يا قوم تدبّروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخمس ثم رأيكم وضمّ الذيل أولى الازدياد من الكيل قال فاستغزرت القوم شهوة الزيادة على ما أُشربوا من البلادة فقالوا والذي أوقفنا دون حدّك لينحسمنا عن استوراء زندك فإن أتممت عشراً فمن عندك فاهتزّ اهتزاز من فلج سهمه وانخزل خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة وأنشد ملغزاً في المزمّلة

ومسرورةٍ مغمومةٍ طول دهرها وما هي تدري ما السرور وما الغمّ
تقرّب أحياناً لأجل جنينها وكم ولدٍ لولاه طلّقت الأمّ
وتُبعد أحياناً وما حال عهدها وإبعاد من لم يستحلّ عهده ظلم
إذا قصر الليل استلذّ وصالها وإن طال فالإعراض عن وصلها نعم
لها ملبسٌ بادٍ أنيقٌ مطبقٌ بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشّر عن أنيابه الصفر وأنشد ملغزاً في الظفر

ومرهوب الشبا نامٍ وما يرعى ولا يشرب
يرى في العشر دون النحر فاسمع وصفه واعجب

ثم تخازر تخازر العفريت وأنشد ملغزاً في طاقة الكبريت

وما محقورة تدني وتقصي وما منها إذا فكرت بد

لها رأسان مشتبهان جداً وكل منهما لأخيه ضد

تعذب إن هما خضبا وتلغى إذا عدما الخضاب ولا تعد

ثم تحمحم تحمحم القرم وأنشد ملغزاً في حلب الكرم

وما شيء إذا فسدا تحول غيه رشدا

وإن هو راق أوصافاً أثار الشر حين بدا

زكي العرق والده ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزاً في الطيار

وذي طيشة شقه مائل وما عابه بهما عاقل

يرى أبداً فوق علية كما يعتلي الملك العادل

تساوى لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل

وأعجب أوصافه إن نظرت كما ينظر الكيس الفاضل

تراضى الخصوم به حاكماً وقد عرفوا أنه مائل

قال فظلت الأفكار تهيم في أودية الأوهام وتجول جولان المستهام إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد فلما رآهم يزندون ولا سنا ويقضون النهار بالمنى قال يا قوم إلام تنظرون وحتام تنظرون ألم يأن لكم استخراج

الخبي واستسلام الغبي فقالوا له تالله لقد اعوصت ونصبت الشرك
فقنصت فتحكم كيف شئت وحز الغنم والصيت ففرض عن كل معمى
فرضا واستخلصه منهم نضا ثم فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول
الانجفال فاعتلق به مدره القوم وقال له لا لبسة بعد اليوم فانتسب
قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فاطرق حتى قلنا مريب
ثم انشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي
واعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي
ما لي مقر بارض ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي
ازجي الزمان بقوت منغص مستخس
ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخس

قال الحرث بن همام ثم انه اختبن خلاصة النض ونذر
ضاربا في الارض فناشدناه ان يعود واسنينا له الوعود فلا وابيك
ما ارجع ولا الترغيب له نجع

بلغ مقابلة وتصحيحا



المقامة الثالثة والاربعون

أخبر الحرث بن همام قال هفا بي البين المطوّح والسير المبرّح الى أرض يضل
بها الخرّيت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد الحاير الوحيد ورأيت ما كنت
منه أحيد الا اني شجعت قلبي المزءود ونسأت نضوي المجهود وسرت
سير الضارب بقدح المستسلم للحين ولم ازل بين وخد وذميل واجازة ميل بعد
ميل الى ان كادت الشمس تجب والضيا يحتجب فارتعت لاظلال الظلام
واقتحام جيش حام ولم ادر أأكفت الذيل وارتبط أم أعتمد الليل وأختبط
وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم ترائى لي شبح رجل مستذر بجبل فرجيته
نعم مريح وقصدته قصد مشيح فاذا الظن كهانة والقعدة عيرانة
والمريح قد ازدمل ببجاده واكتحل برقاده قال فجلست عند رأسه حتى هب
من نعاسه فلما ازدهر سراجاه وأحس بمن فاجاه نفر كما ينفر المريب
وقال اخوك أم الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فأضئ لي اقدح لك
فقال ليسر عنك همك فرب أخ لم تلده امك فانسرى عند ذلك اشفاقي
وسرى الوسن الى آماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فهل ترى
كما أرى فقلت اني لك لأطوع من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بنجيتي
وتبجح بمجيئي ثم احتملنا مجدين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى

نثر الليل كله

وتغاضي الكرى إلي أن بلغ الليل غايته ورفع الصبح رايته فلما أسفر
الفاضح ولم يبق إلا الواضح توسمت رفيق رحلتي وسمير ليلتي فإذا هو
أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين إذا التقيا
بعد البين ثم تباثثنا الأسرار وتناثثنا الأخبار وبعيري يخطر من الكلال
وراحلته ترف رفيف الرال فأعجبني اشتداد أسرها وامتداد صبرها
وأخذت أستشف جوهرها وأسأله من أين تخيرها فقال إن لهذه الناقة
خبرا حلو المذاقة مليح السياقة فإن أحببت استماعه فأنخ وإن لم تشأ
فلا تنح فأنخت لقوله نضوي وأرهفت السمع لما يروي فقال اعلم أني
استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت وما زلت أجوب
عليها البلدان وأطس بها الظران إلى أن وجدتها عبر أسفار وعدة فرار
لا يلحقها العناء ولا تواهقها وجناء ولا تدري ما الهناء فأرصدتها للخير والشر
وأحللتها محل البر السر فاتفق أن ندت منذ مدة وما لي سواها عدة
فاستشعرت لها الأسف واستشرفت التلف ونسيت كل ذي سلف ومكثت
ثلاثا لا أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم إلا حثاثا ثم أخذت في استقراء
المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا لا أستشفي منها ريحا ولا أستغشي
بأيام نجحا وكلما ادكرت مضاءها في المسير وانبراءها لمباراة الطير
لاعني الادكار واستهوتني الأفكار فبينا أنا في حواء بعض الأحياء إذ سمعت

من نخر

من شخص مستعد وصوت منجرد من ضلت له مطية حضرمية جلدها قد وسم
وعرها قد جشم وزمامها قد ضفر وظهرها كأن قد كسر ثم جبر تزين
الماشية وتعين الناشية وتقطع المسافة النائية وتظل ابدا كمدانية
لا يعتورها الونا ولا يعتريها الوجى ولا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن عصى
قال ابو زيد فجذبني الصوت الى الصايت وبشرني بدرك الغايت فلما
افضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية وتسلم العطية فقال
وما مطيتك غفرت خطيتك قلت له ناقة جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة
وحلبها ملء العلبة وكنت اعطيت بها عشرين حين حلت بيبرين فاستزدت
الذي اعطى ودريت انه اخطى فاعرض حين سمع صفتي وقال لست بصاحب
لقطتي فاخذت بتلابيبه واصررت على تكذيبه وهممت بتمزيق جلابيبه
وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبك فاكفف من غربك وعد عن سبك والا
فقاضني الى حاكم هذا الحي البري من الغي فان اوجبها لك فتسلم
وان زواك عنها فلا تتكلم فلم ار ادوا اقضيتي ومساغ غصتي الا ان آتي
الحكم ولو لكم فانخرطنا الى شيخ ركين النصبة انيق العصبة
يونس منه سكون الطاير وان ليس بالجاير فاندرات اتظلم واتالم وصاحبي
مرمرم لا يترمرم حتى اذا نثلت كنانتي وقضيت من القصص لبانتي ابرز نعلا
رزينة الوزن محذوة لمسلك الحزن وقال هذه التي عرفت واياها

حكم

وان زواها عنك

وصفت فان كانت هي التي اعطي بها عشرين وها هو من المبصرين فقد
كذب في دعواه وكبر ما افتراه اللهم الا ان يمد قذاله ويبين مصداق
ما قاله فقال الحكم اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا
ثم قال اما هذه النعل فنعلي واما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك
وافعل الخير بحسب طاقتك فقمت وقلت

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم
والطايفين العاكفين في الحرم
انك نعم من اليه يحتكم
وخير قاض في الاعاريب حكم
فاسلم ودم دوم النعام والنعم

وقال

فأجاب من غير روية ولا عقد نية

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم
اذ لست استوجب شكرا يلتزم
شر الانام من اذا استقضي ظلم
ثم من استرعي فلم يرع الحرم
فذاك والكلب سوا في القيم

ثم انه نفذ بين يدي من سلم الناقة الي ولم يمتن علي فرحت اجر ذيل

الطرب

سمي البيت عتيقا لانه اقدم مساجد الارض وقيل لان الله اعتقه من الجبابرة وقيل لانه اعتقه من طوفان نوح عم

هذا البيت لحن والصحيح ما ثبت في الهامش … لا يكون فاعلها الا معرفا بالالف واللام او مضافا الى ما فيه الالف واللام

انك بين الورى نعم الحكم صح

الاعاريب سكان البادية خاصة

الذمم

الطرب وأقول باللعب قال الحرث بن همام فقلت تالله لقد
أطرفت وهرفت بما عرفت فناشدتك الله هل لقيت أسحر منك بلاغة
وأحسن لفظا وصياغة فقال اللهم نعم فاسمع وأنعم كنت عزمت
حين أتهمت على أن أتخذ طعينة لتكون لي معينة فحين تعين الخطب
وكاد الأمر يستتب أفكرت فكرة المتحرز من الوهم المتأمل كيف
مسقط الوهم وبت ليلتي أناجي القلب المعذب وأقلب العزم المذبذب
إلى أن أجمعت على أن أسحر وأشاور أول من أبصر فلما قوضت الظلمة
أطنابها وولت الشهب أذنابها غدوت غدو المتعرف وابتكرت ابتكار
المتعيف فانبرى لي يافع في وجهه شافع فتيمنت بمنظره البهيج واستشرت
رأيه في التزويج فقال أو تبغيها عوانا أم بكرا تعاني فقلت اختر لي
ما ترى فقد ألقيت إليك العرى فقال إلي التبيين وعليك التعيين فاسمع أنا
أفديك بعد أن أعاديك أما البكر فالدرة المخزونة والبيضة المكنونة
والباكورة الجنية والسلافة الشهية والروضة الأنف والطوق الذي
ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها عابث
ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي
والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة
المغازلة والملحة الكاملة والوشاح الطاهر القشيب والضجيع الذي

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلعم من آتاه الله وجها حسنا واسما حسنا وجعله في موضع غير شائن له فهو من صفوة الله في خلقه قال الشاعر

ان شرط النبي اذ قال يوما ابتغوا الخير في حسان الوجوه

يشب ولا يشيب   وأما الثيب فالمطية المذللة واللهنة المعجلة
والبغية المسهلة والطبة المعللة والقرينة المتحببة والخليلة المتقربة
والصناع المدبرة والفطنة المجربة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة
الحاطب وقعدة العاجز ونهزة المبارز عريكتها لينة وعقلتها
هينة ودخلتها متبينة وخدمتها مزينة واقسم لقد صدقت في
النعتين واجليت المهنتين فبأيهما هام قلبك وعلى ايتهما قام زبك
قال ابو زيد فرأيته جندلة تتقيها المراجم وتدمى منها المحاجم
الا اني قلت له كنت سمعت ان البكر اشد حبا واقل خبا فقال
لعمري قيل هذا ولكن كم قول آذى ويحك اما هي المهرة الابية العنان
والمطية البطية الاذعان والزندة المتعسرة الاقتداح والقلعة
المستصعبة الافتتاح ثم ان مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها
صلفة ودالتها مكلفة ويدها خرقا وفتنتها صما وعريكتها خشنا
وليلتها ليلا وفي رياضتها عنا وعلى خبرتها غشا ولطالما اخزت
المنازل وفركت المغازل واحنقت الهازل واضرعت الفنيق البازل
ثم انها تقول انا البس واجلس فاطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما ترى
في الثيب يا ابا الطيب فقال ويحك اترغب في فضالة المآكل وثمالة المنهل
واللباس المبتذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة

المتصرفة

قال الاصمعي تزوج رجل من عذرة امرأة من بني جحمنا فغاب عنها
غيبة ثم قدم فلما ضمهما المضجع انشا يقول

ما منني بعدك من ابسي ❊ غير غلام واحد جعفي ❊ ورجل احمق من بجي
ورجلين من بني عدي ❊ وسبعة كانوا على الطوي ❊ وخمسة مروا بنا عشي

فقام اليه الرجل فضربها واجتمع لذلك من حوله فقال والله لو اني قمت اليها
اضربها لعددت على اهل عرفات ومنى وقوله اراك ما سمعت
بان لا رهبانية في الاسلام قال ابو عبيد وفي الحديث لا رهبانية في الاسلام
هي الاختصا وخرق التراقي واعتاق السلاسل وجعل الخزام
في الانف وترك النكاح واجتناب اللذات ومفارقة الاوطان بالسياحة
مما كانت الرهبان تتكلفه وتبتدعه وقد وضع الله تعالى جميع
ذلك عن هذه الامة وقد روي ان عثمان بن مظعون لما ترك النساء واشتغل
بالعبادة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عثمان اني لم اومر بالرهبانية
وقد روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلثة يدعون فلا يستجاب
الله لهم رجل كانت عنده امراة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل اعطى ماله
سفيها وقد قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ورجل كان له على رجل دين
فلم يشهد عليه

زوجات النبي صلى الله عليه وسلم

تزوج بعد خديجة بمكة بعد موتها بسنة سودة بنت زمعة بن قيس الاسود وبنى بها بمكة
ثم تزوج عائشة الصديقة بنت ابي بكر الصديق قبل الهجرة بسنتين وهي بنت ست
سنين ولم يتزوج بكرا غيرها ثم بنى بها بالمدينة سنة احدى ثم تزوج قبل وقعة بدر
في سنة اثنتين ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية زاد الراكب ثم تزوج بالمدينة
سنة اثنتين من التاريخ في عقب بدر بعدما رجع الى المدينة حفصة بنت عمر بن
الخطاب فهو احمس من قريش ثم تزوج سنة ثلاث من التاريخ من حلفاء قريش
زينب بنت جحش زاد بن عمرو ثم تزوج سنة خمس جويرية بنت الحرث بن ضرار
المصطلقية ثم من بني عمرو من خزاعة وكان سباها يوم المريسيع ووقعت
في سهم ثابت ثم اعتقها رسول الله وجعل عتقها صداقها ثم تزوج في سنة ست
من قريش ام حبيبة بنت ابي سفيان بن حرب بن امية وبنى بها في سنة سبع ثم تزوج في سنة
سبع صفية بنت حيي بن اخطب من بني النضير من بني هرون وكانت قد اقا

تخطه ثم كلمتها كنت
ن اليوم وامس وابن العمد
لماحة الهلوك فهي الغل
ترى ان اترهب واسلك
لة المتادب ثم قال ويلك
لك ولو هن رايك وتبالك
الاسلام او ما احدثت بمناكح
صالحه ترب بيتك وتلبي
وبها ترى قرة عينك وريحانه
فكيف رغبت عن سنه
لمحصنين ومجلبة المال والبنين
ض اعراض المغضب
انطلق متبجحا وتدعي
بلد عميرة وتستغني
قرنك ثم رحت عنه
مراح الخزيان وتبت عن مشاورة الصبيان قال الحرث بن
همام فقلت له اقسم بمن انبت الايك ان الجدل منك واليك فاغرب في

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان واستكتام السر النساء والصبيان

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها انه سئل عن المتعة فقال نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا

الله علي رسوله يوم خيبر وكان فتح خيبر في رمضان سنة سبع ثم خطب ميمونة بنت
الحرث بن حزن بن بجير الهلالية وهو معتمر فاذنت له وجعلت امرها الى
العباس فانكحها اياه والنبي صلعم محرم فلما اراد الرجعة امر ابا رافع فحملها
اليه فبنى بها بسرف ثم ارتحل الى المدينة ثم تزوج فاطمة بنت شريح وكانت
وهبت نفسها للنبي صلعم ثم تزوج زينب بنت خزيمة وهي ام المساكين
وهي احدى بني عامر بن صعصعة فلم تلبث الا يسيرا وماتت عنده
ثم تزوج هند بنت يزيد من بني ابي بكر بن كلاب فلما بنى بها ولم يكن راها
راى بها بياضا فطلقها وردها الى اهلها واعطاها صداقها ثم تزوج
عمرة الكلابية وتزوج من اهل اليمن اسماء بنت النعمن من بني الجون
من كندة فلما ادخلت عليه دعاها اليه فقالت تعال انت وابت ان تجي
فطلقها وقال الاخرون بل كانت اجمل النسا فخاف نساوه ان تغلبهن
عليه فقلن لها انه يحب اذا دنا منك ان تقولي اني اعوذ بالله منك فلما دنا
منها قالت له ذلك فقال قد عذت بمعاذ وان عايذ الله عز وجل اهل ان يجار
وقد اعاذك الله مني فطلقها وسرحها الى اهلها فكانت تسمي نفسها الشقية
وفيها اختلاف ثم تزوج حين قدم وفد كندة قتيلة بنت قيس اخت الاشعث
ابن قيس سنة عشر ثم اشتكى في النصف من صفر ثم قبض صلى الله عليه ولم يكن
قدمت عليه ولا دخل بها وتزوج ام شريك من بني النجار فلم يدخل بها وزعم
عبد القاهر البصري انه تزوج سنا السلمية فماتت قبل ان يبني بها واما زينب
بنت جحش التي كانت تحت زيد بن حارثة كانت نفس النبي صلعم تميل الى ونحى
ذلك فانزل الله عز وجل وتخفي في نفسك ما الله مبديه الاية فكانت تفخر على ازواجه
وكان المقوقس صاحب الاسكندرية ومصر بعث الى النبي صلعم مارية القبطية
فتسراها فولدت له ابرهيم فاوصى بالقبط خيرا وقال هم اصهارنا وقال
لو بقي ابرهيم ما سبيت قبطية وكانت للنبي صلعم ريحانة القرظية وكانت
بالعالية فكان يقيل عندها احيانا اذا ما اتى النخل سباها في شوال سنة اربع

يشب ولا يشيب وأ…
والبغية المسهلة والمطـ…
والصناع المدبرة والفـ…
الحاطب وبعد العاجـ…
هينة ودخلت ما تبيـ…
النعتين واجليت المهـ…
قال أبو زيد فرأيت…
الا أني قلت له لئن سمعـ…
لعمري قيل هذا ولكن كـ…
والمطية البطية الاذعا…
المستصعبة الامتناح ثـ…
صلفه ودالتها مكلفة…
وليلتها ليلا وفي رياضـ…
المنازل وفركت المغازلـ…
ثم الها تقول أنا البر واخـ…
في الشيب يا ابا الطيب فقال ويحك اترغب في فضالة الماكر …
واللباس المبتذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة

وربما
التي
الملبوس كثيرا
التي جربت الرجال
المتصرفة

المتصرفة والوقاح المتسلطة والحيكرة المتسخطة ثم كلمتها كلت
وصرت وطالما بغي علي فنجرت وشتان ما بين اليوم وأمس وأين الثمد
من الشمس وإن كانت الحنانة البروك والطماحة الهلوك فهي الغل
القمل والجرح الذي لا يندمل فقلت له فهل ترى أن أترهب وأسلك
هذا المذهب فانتهرني انتهار المؤدب عند زلة المتأدب ثم قال ويلك
أتقتدي بالرهبان والحق قد استبان أف لك ولوهن رأيك وتبا لك
ولأوليك أتراك ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام أو ما حدثت بمناكح
نبيك عليه السلام ثم أما تعلم أن السكن الصالحة ترب بيتك وتلبي
صوتك وتغض طرفك وتطيب عرفك وبها ترى قرة عينك وريحانة
أنفك وفرحة قلبك وذخيرة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنة
المرسلين ومتعة المتأهلين وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين
والله لقد ساءني فيك ما سمعت منك ثم أعرض إعراض المغضب
ونزا نزوان العنظب فقلت له قاتلك الله أتنطلق متحجرا وتدعي
متحيرا فقال أظنك تدعي الحيرة لتجلد عميرة وتستغني
عن المهيرة فقلت له قبح الله ظنك ولا أشبع قرنك ثم رحت عنه
مراح الخزيان وتبت عن مشاورة الصبيان قال الحرث بن
همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك إن الحذلم منك وإليك فاعترف

وقد روي عن ابن عباس أنه سئل عن [illegible] فقال نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خصلتان من علامة الجهل مشاورة النساء والصبيان

الضحك وطرب طربة المنتهك ثم قال العق العسل والاسل فأخذت أسهب في مدح الأدب وأفضل رتبة على ذي النشب وهو ينظر إلي نظر المستجهل ويغضي عني إغضاء المتمهل فلما أفرطت في العصبية للعصبة الأدبية قال صه واسمع مني وافقه

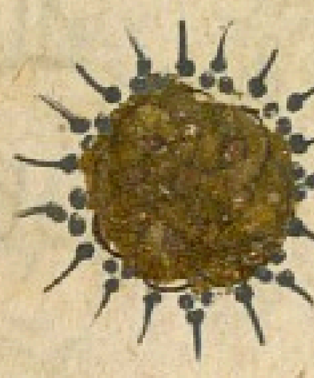
يقولون أن جمال الفتى وزينته أدب راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ومن طود سودده شامخ
فأما الفقير فخير له من الأدب القرص والكامخ
وأي جمال له أن يقال أديب يعلم أو ناسخ

ثم قال سيتضح لك صدق لهجتي واستنارة حجتي وسرنا لا نألوا جهدا ولا نستفيق جهدا حتى أدانا السير إلى قرية عزب عنها الخير فدخلناها للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما أن بلغنا المحط والمناخ المختط أو لقينا غلاما لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث فحياه أبو زيد تحية المسلم وسأله وقفة المتفهم فقال له وعم تسأل وفقك الله قال أيباع هاهنا الرطب بالخطب قال لا والله ولا اللحم بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالشمر قال هيهات والله قال ولا العصايد بالقصايد قال اسكت عافاك الله قال ولا الثرايد بالفرايد قال لا اين يذهب بك أرشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عد عن هذا أصلحك الله واستحلي

ابو زيد تراجع السؤال والجواب والتكايل من هذا الجراب ولمح الغلام ان
الشوط بطين والشيخ شيطين فقال له حسبك يا شيخ فقد عرفت فنك
واستبنت انك تخذ الجواب صبره واكتف به خبره اما بهذا المكان
فلا يشتري الشعر بشعيره ولا النثر بنثاره ولا القصص بقصاصه ولا
الرسالة بغسالة ولا حكم لقمن بلقمة ولا اخبار الملاحم بلحمة
واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يمنح اذا صيغ له المديح ولا من يجيز
اذا انشد الاراجيز ولا من يغيث حين يطربه الحديث ولا من يمير
ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم يجد الربع
ديمة لم تكن له قيمة ولا دارته بهيمة وكذى الادباء ان لم يعضد نشب
فدراسته نصب وحزبه حصب ثم اشتد يعدو وولى يحدو فقال لي ابو زيد
اعلمت ان الادب قد بار وولت انصاره الادبار فبؤت له بحسن البصيرة
وسلمت بحكم الضرورة فقال دعنا الان من المصاع وخض في احاديث حديث
القصاع واعلم بان الاسجاع لا تشبع من جاع فما التدبير فيما يمسك
الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك فقال ارى
ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وصفك فناولنيه وقم لا انقلب اليك
بما تلتقم فاحسنت به الظن وقلدته السيف والرهن فما لبث ان
ركب الناقة ورفض الصدق والصداقة فمكثت مليا ارتقبه ثم نهضت

بلغ مقابلة وتصحيحا

أتعقبه فكنت كمن ضيع اللبن في الصيف ولم ألقه ولا السيف



المقامة الرابعة والأربعون



حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة اللمم إلى نار تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وأنا فيها أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء فلم أزل أنص عنسي وأقول طوبى لك ولنفسي إلى أن تبصر الموقد إلي وتبين إرقالي فانحدر يعدو الجمزى وينشد مرتجزا

حييت من خابط ليل سار … هداه بل أهداه ضوء النار

إلى رحيب الباع رحب الدار … مرحب بالطارق الممتار

ترجاب جعد الكف بالدينار … ليس بمزور عن الزوار

ولا معتام القرى مختار … إذا اقشعرت ترب الأقطار

وضنت الأنواء بالأمطار … وهو على بؤس الزمان الضار

جم الرماد مرهف الشفار … لم يخل في ليل ولا نهار

من نحر وار واقتداح وار

المعتام الرجل الذي يكون له إبطاء في أمره ومختار كثير التأخر
وقال ابن الأنباري سميت صلوة العتمة عتمة لتأخرها وعتم الرجل قراه أخره

ثم تلقاني بمحياه وصافحني براحة أريحي واقتادني إلى بيت عشاره
تخور وأعشاره تفور وولايد تمور وموايد تدور وبأكنافه أضياف
قد جلبهم جالبي وتلبوا في قالبي وهم يجتنون فاكهة الشتاء ويمزجون مرح
ذوي الفتاء فأخذت مأخذهم في الاصطلاء ووجدت بهم وجد الثمل
بالطلاء ولما أن سري الخصر وانسري الخصر أتينا بموايد كالهالات
دورا والروضات نورا وقد شحنت بأطعمة الولايم وحمين من العايب واللايم
فرفضنا ما قبلنا البطنة ورأينا الإمعان فيها من الفطنة حتى إذا اكتلنا
بصاع الحطم وأشفينا على خطر التخم تعاورنا مشوش الغمر ثم تبوأنا
مقاعد للسمر واخذ كل منا يشول بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا
شيخا مشتهبا فوداه مخلولقا برداه فإنه ربض مجحره واوسعنا هجره
فغاظنا تجنبه الملتبس موجبه المعذور فيه مؤنبه الا انا التأنا له القول
وخشنا في المسألة العول وكلما رمنا أن يفيض كما فضنا أو يفيض فيما أفضنا
أعرض إعراض العلية عن الأرذلين وتلا إن هذا إلا أساطير الأولين
ثم كان الحمية هاجته والنفس الأبية ناجته فدلف وازدلف
وخلع الصلف وبذ أن بتلافي ما سلف ثم استرعى سمع السامر واندفع
كالسيل الهامر وقال

عندي احاديث ارويها بلا كذب عن العيان فكنّوني أبا العجب

المشوش ما تمسح به اليد اي تمسح وتنظف

أعاجب

رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم بول العجوز وما أعني ابنة العنب

بول العجوز لبن البقرة

ومنتشين من الاعراب قوتهم أن يشتووا خرقة تغني عن السغب

الخرقة القطعة من الجراد

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ولا قرؤوا ما خط في الكتب

الكاتبون الخرازون يقال كتب اي خرز

تغطيهم الدرق الترس

وتابعين عقابا في مسيرهم على تكميهم في البيض واليلب

العقاب راية كانت للنبي عليه السلام تسمى العقاب

جالسين

ومنتدين ذوي نبل بدت لهم نبيلة فانثنوا منها الى الهرب

النبيلة الجيفة ونبل البعير اذا مات

وعصبة لم تر البيت العتيق وقد حجت حجيا بلا شك على الركب

معنى حجت اي علت الحجة

ونسوة بينما ادلجن من حلب أصبحن كاظمة من غير ما تعب

كاظمة مجترعة الغيظ

ومدلجين سروا من أرض كاظمة فأصبحوا حين لاح الصبح في حلب

اي اصبحوا يحلبون اللبن

وقادرين متى ما ساء صنعهم وقصروا فيه قالوا الذنب للحطب

القادر الطابخ في القدر والقدير المطبوخ

[illegible] عشرين

ويافعٍ لم يلامس قطّ غانيةً شاهدته وله نسلٌ من العقبِ

النسل هنا العدو ومنه قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون

وشايبًا غير مخفٍ للمشيب بدا في البدو وهو فتيّ السنّ لم يشبِ

الشايب مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج

نزاع وشاجره

ومرضعًا بلبانٍ لم يغذّه فمه رأيته في شجارٍ بيّن السببِ

الشجار المحفة والسبب هاهنا الحبل

وزارعًا ذرّةً حتى اذا حصدت صارت غبيراء يهواها أخو الطربِ

الغبيراء السكر المتخذ من الذرة وفي الحديث اياكم والغبيراء فانها خمر العالم

وراكضًا وهو مغلولٌ على فرسٍ قد غلّ أيضا وما ينفكّ من خببِ ضرب من العدو

المغلول العطشان وغلّ اي عطش

وذايدٍ طلقٍ يقتاد راحلةً مستعجلًا وهو ماسورٌ أخو كربِ

الماسور الذي اخذه عسر البول

وجالسًا ماشيًا تهوي مطيّته به وما في الذي أوردت من ريبِ

الجالس الآتي نجدًا والماشي الذي كثرت ماشيته

مقطوع

وحايكًا أجذم الكفّين ذا خرسٍ فإن عجبتم فكم في الخلق من عجبِ

الحايك الذي اذا مشى حرّك منكبيه وفحج بين فخذيه

وصادعًا بالقنا من غير أن علقت كفّاه يومًا برمحٍ لا ولم يثبِ

القنا ارتفاع الانف وتحدّب وسطه

أعتدل القامة

وذا شطاطٍ كصدر الرمح قامته صادفته بمنى يشكو من الحدب

الحدب ما ارتفع من الأرض

وساعيًا في مسرات الأنام يرى أفراحهم مأثمًا كالظلم والكذب

أفراحهم أثقالهم

ومغرمًا بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من أرب

الخلق هاهنا الكذب ومنه قوله تعالى إن هذا إلا خلق الأولين

حرمة

وذا ذمامٍ وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

الذمام الثاني جمع ذمة وهي البير القليلة الماء

وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب

اللين النخل الدقل

مبال

وساجدًا فوق نخل غير مكترث بما أتى بل يراه أفضل القرب

النخل الحصير المتخذ من جمار النخل

وعاذرًا مولمًا من ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

داخل

وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين

ملتف

وقرية دون أفحوص القطا شحنت بديلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والديلم النمل الجم

أفحوص القطا عشها

وكوكبًا يتوارى عند رؤيته الانسانُ حتى يُرى في أبدع العجب

الكوكب النكتة البياض التي تحدث في العين والانسان هاهنا انسان العين

قدر وقيمة

وروثةٍ قُوِّمَتْ ما لا له خطرٌ وبيعُ صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الانف

وصحفةٍ من نضارٍ خالصٍ شربت بعد المكارم بقيراطٍ من الذهب

النضار هاهنا شجر النبع ومنه قول ابرهيم النخعي لا باس بان يشرب في قدح النضار

عيب

وطالما مرّ بي كلبٌ وفي فمه ثورٌ ولكنه ثورٌ بلا ذنب

الثور القطعة من الاقط

ثني رجله

وكم رأى ناظري فيلًا على جملٍ وقد تورّك فوق الرحل والقتب

الفيل الرجل الفايل الراى

وعاينت مقلتي عينين ما وهما تجري من الغرب والعينان في حلب

الغرب مجرى الدمع والعينان المثلثان

بناحية المفاوز

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيًا وما اشتكى قطّ في جدٍّ ولا لعب

المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة

كوز كبير

وكنت أبصرت كرّازًا لراعيةٍ بالدوّ ينظر من عينين كالشهب

الكراز كبش يحمل عليه الراعي اداته

وكم نزلت بأرضٍ لا نخيل لها وبعد يومٍ رأيت البسر في القلب

وحيةٍ تحتها شيءٌ ليس من بعد ما أطلت أجادَ بعد من أولاد

الحشا اسم خط علم دارعين الانسان

مايل ما انحدر من الارض

وكم رأيت أقطار الفلاة طبقا يطير في الجو منصبا إلى صبب

الطبق القطعة من الجراد

وكم مشايخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن يخشون من العطب

المخلد الذي أبطأ شيبه

جوعا — فصيح — السيوف القاطعة

وكم بدا لي وحش مشتكي سغبا بمنطق ذلق أمضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستبج فجادثني وما اخل ولا أخللت بالأدب

المستبجي الجالس على نحوه وهو المكان المرتفع

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذ القبة والعرب جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها

وكم نظرت إلى من سر ساعته ودمعه منهمل القطر كالسحب

بسر أي قطع سرته وسره وسمي ما بقي بعد القطع سرة

متخرق

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه حتى أنشى وأهى الأعضاء والعصب

القميص الدابة الكثيرة العماص

وكم ازار ألوان الدمقس ألفة لجف لبد حيث السير مضطرب

الازار المراة ومنه قول الشاعر فدى لك من اخي ثقة ازاري وقيل عنى بالازار نفسه

هذا وكم من افانين معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

خيار الشيء

أساليب وهي أجناس الشيء

بلغت مقابلة وتصحيحا

فان فطنتم للحن القول بان لكم صدقي ودلكم طلعي على رطبي
وان شدهتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحرث بن همام فطفقنا نخبط في تعليب قريضه وتأويل معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس بعشك فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم الارتتاج فالقينا اليه المقادة وخطبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الايناس قبل الابساس فعلمنا انه ممن يرغب في الشكم ويرتشي في الحكم وساءنا مثوانا ان نعرض للغرم فاحضرنا ناقة عيدية وحلة سعيدية وقلنا له خذهما حلالا ولا تردنا أضياف ضلالا فقال اشهد انها شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم قابلنا بوجه بشره يشف ونضرته ترف وقال يا قوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا الى المراقد واغنموا راحة الراقد لتشربوا نشاطا وتبعثوا انشاطا فنعوا ما افسر ويسهل لكم المتعسر فاستصوب كل ما رآه وتوسد وسادة كراه فلما وسنت الاجفان واغفت الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها وقال مخاطبا لها

سيري يا ناق فسيري وجدي　　وادلجي واوبي واسئدي
حتى تطا خال مرعاها الندي　　فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني أن تتهمي وتنجدي　　ايه فرتك النوق جري واجهدي

وافري أديم فدفدٍ ففدفدِ واقتنعي بالنشح عند المورد

ولا تحطي دون ذاك المقصد فقد حلفت حلفة المجتهد

بحرمة البيت الرفيع العمد انك ان أحللتني في بلدي

حللت مني بمحل الولد

قال فعلمت انه السروجي الذي اذا باع انباع واذا ما لا الصاع انصاع ولما انبلج صباح اليوم وهب النوام من النوم اعلمتهم ان الشيخ حين اغشاهم السبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فأخذهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم انشعبنا في كل مشعب وذهبنا تحت كل كوكب

بلغ مقابلة وتصحيحا

قال الشيخ الرئيس ابو محمد القسم بن علي الحريري رحمه الله تعالى

قد فسرت كل لغز تحته ولم ابعد على من يقرأه كشفه وقد بقيت الفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع اليه فاجبت ايضاحها ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسألة وبالله الاستعانة قوله عشوت الى نار يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا اي من يعرض وقوله

وكنت اصرد من عين الحربا والعنز الجربا هذان المثلان يضربان لمن يبلغ
منه البرد وذلك لأن الحربا تدور مع عين الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك
شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله

ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدا قبيح قبح الرقبا
ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدا يكون رقيبها الحربا

والعنز الجربا لا تدفا في الشتا لقلة شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجربا
تصحيف المثل الاول وقوله نحروا وارا يعني الواري الجمل المكتنز شحما الكثير
مخا وقوله عشار تخور واعشار تفور العشار النوق الحوامل
واحدها عشرا وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها
حتى تضع وبعد ما تضع والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها
يقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق وحبل
ارمام ووصف الجماعة كوصف الواحد وقوله فاكهة الشتا كنى بها عن
النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتا فمن يرد اكل الفواكه شاتيا فليصطلي
ان الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور افضل ماكل

وقوله موائد كالهالات يعني دارات القمر واحدها هالة ودارة الشمس
تسمى الطفاوة وقوله مشوش الغمر يعني المنديل يقال مشربه بالمنديل اذا

بعينه صح

والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها

مسحها ومنه قول امري القيس

نمش بأعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقوله مشتهبا فوداه اي قد صار من الشيب في لون الاشهب ومنه قول امري القيس

قالت الخنسا لما جيتها شاب بعدي راس هذا واشتهب

وقوله ربض حجرة يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك في الرخا ويجانب عند البلاء يرتع وسطا ويربض حجرة وقوله فاسترعي سمع السامر يعني سمع السمار لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الما وكالباقر اسم لجماعة البقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر اشتق لهم اسم منه والي هذا يرجع قولهم لا كلمه القمر والسمر وقوله ليس بعشك فادرجي هذا مثل يضرب لمن يتعاطي ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فان كان في حايط او كهف جبل فهو وكر وقوله الايناس قبل الابسا هذا مثل ايضا ومعناه انه ينبغي ان يونس الانسان ثم يكلف واصله ان حالب الناقة يونسها حين يروم حلبها ثم يبس لها الحلب والابسا ان يقول لها بس بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التي تدر على الابسا البسوس وقوله يرغب في الشكم الشكم ما اعطيته على سبيل المجازاة فان اعطيت مبتديا فهو الشكد ومنه قول الراجز

بشكمي عبيد وكذاك شكدي للخير والشر بقا عندي

فانظر اذا أسديت ماذا تسدي   فالأرض مهما استودعت تؤدي

وقوله يا ابا مثوانا يعني المضيف الذي آووا اليه وثووا عنده وقوله ناقة
عيدية قيل هي منسوبة الى فحل نجيب اسمه عيد وقيل هي منسوبة الى فخذ من مهرة
يقال لهم بنو عيد بن الآمري على وزن العامري وكانت مهرة وعيد يتخذان نجايب
الابل فنسبت اليهما وقوله حلة سعيدية هي منسوبة الى سعيد بن العاص وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه وقوله لا ترزا
اضيافي زبالا اي لا ترزأهم شيأ ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها وقوله
شنشنة اخزمية اشارة به الى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن اخزم بن الحشرج
الطاي حين نشا حاتم وتقيل اخلاق جده اخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها
من أخزم وتمثل عقيل به حين قال بن علفة

ان بني ضرجوني بالدم   من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

ومن ادعى أن المثل له فقد تعدى فيه وقوله اجلوذا اي اسرع في الذهاب
ومثله اخروط وقوله وثب الى الناقة فرحلها يعني شد عليها الرحل وبه سميت
الراحلة لانها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وقوله
تعالى في عيشة راضية اي مرضية والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول
الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية وقوله ارتحلها اي ركبها وفي الحديث

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فركبه الحسن فابطأ في سجوده فلما قضى
صلوته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان اعجله وقوله ورحلها اي ازعجها واشخصها
واخذها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل
الناس وقوله فادلجي واوبي واسئدي فالادلاج ان تسير الليل كله والاسم منه
الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم
الدال وقيل الدلجة بالضم والفتح بمعنى والتاويب سير النهار وحده والاسئاد ان تسير
ليلا ونهارا والنشح ان تشرب دون الري وقوله فاخذهم ما قدم وما حدث
يقال ذلك لمن يستولي عليه الهم والدال من حدث تضم في هذا الموضع وحده لتوافق
لفظ قدم فان افرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث ومنه قولهم هنأني
ومرأني بحذف الالف من مرأني اذا ذكر مع هنأني فان افرد قيل امرأني وكذلك
يقولون رجس نجس فيكسرون النون من نجس ويسكنون الجيم ليزاوج لفظة
رجس فان افرد قيل نجس بفتح النون والجيم كما قال تعالى انما المشركون نجس وقوله
ذهبنا تحت كل كوكب هذا مثل يضرب لمن يختلف طرقهم في السفر وتباين سبلهم

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الخامسة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب ان السفر مرآة

الاعاجيب

الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل
اطروفة فمن احسن ما لمحته واغرب ما استملحته اني حضرت قاضي الرملة
وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بالي في بال وفتاة ذات
جمال واسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة من
الافصاح وحسأته عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت
بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمر والجمره
اليك اشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت سوى مره
وليته لما قضى نسكه وخف ظهرا اذ رمى الجمره
كان على راي ابي يوسف في صلة الحجة بالعمره
هذا على اني مذ ضمني اليه لم اعص له امره
فمن اما الفه حلوه ترضي واما فرقه مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ ابي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك اليه وتوعدتك عليه فجانب ما
عرك من قبل وحاذر ان تعرك وتعرك فجثا الشيخ على ثفناته وفجر ينبوع
نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما انها عذره

وَاللهِ ما أعرضتُ عنها قِلىً ولا هوى قلبي قضى نَذْنَهْ
وإنّما الدهرُ عدا صرفُه فابتزّنا الدُّرّةَ والذَّنّْ
فمَنْ لي قَفْنٌ كما جيدُها عُطْلٌ من الجَزْعةِ والشَّذَنْ
وكنتُ من قبلُ أرى في الهوى ودينِه رأيَ بني عُذْرَهْ
فمذ نبا الدهرُ هجرتُ الدُّمى هجرانَ عفٍّ أخذِ جذنَهْ
وملتُ عن حرثي لا رغبةً عنه ولكن أتّقي بَذْنَهْ
فلا تلُمْ مَن هذه حالُه واعطف عليه واحتمل هذنَهْ

قال فالتظت المرأة من مقاله وانتضت الحُجَجَ لجداله وقالت له ويلك يا مرقعان يا من هو لا طعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعاً ولكلّ أكولة مرعى لقد ضلّ فهمك وأخطأ سهمك وسفهت نفسك وشقيت بك عرسك فقال لها القاضي أمّا أنت فلو جادلتك الخنساء لانثنت عنك وهي خرساء وأمّا هو فإن كان صدق في زعمه ودعوى عدمه فله في همّ قبقبه ما يشغل عن ذبذبه فأطرقت تنظر ازوراراً ولا ترجع حواراً حتى قلنا قد راجعها الخفر وحاق بها الظفر فقال لها الشيخ تعساً لك إن زخرفت أو كتمت ما عرفت فقالت ويحك وهل بعد المنافرة كتم أو بقي لنا على سرّ ختم وما فينا إلا من صدق وهتك صونه إذ نطق فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت بوشاحها وتباكت لافتضاحها

لانفتاح رتاجها وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويعجب ويلوم الدهر لهما
ويؤنب ثم احضر من الورق الفين وقال ارضيا بها الاجوفين وعاصيا النازع
بين الالفين فشكراه على حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح
وطفق القاضي بعد مسرحهما يثني على ادبهما ويقول هل من عارف بهما فقال
له عين اعوانه وخالصة خلصانه اما الشيخ فالسروجي المشهود
بفضله واما المراة فعرسه ونعيبة رحله واما تحاكمهما فمكيدة من فعله واحبولة
من حبائل ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب كيف خدع ثم قال للواشي
بهما قم فردهما ثم اقصدهما وصدهما فنهض ينفض مذرويه ثم عاد يضرب
اصدريه فقال له القاضي اظهرنا على ما بثثت ولا تخف ما استخبثت
فقال ما زلت استقري الطرق واستفتح الغلق الى ان ادركتهما
مصحرين وقد زما مطيتي البين فرغبتهما في العلل وكفلت لهما بنيل
الامل فاشرب قلب الشيخ ان يأسره الغرار بقراب الكيس فقالت
هي بل العود احمد والقروة يحمد فلما تبين الشيخ سفه رأيها وغرر
اجترائها امسك ذلاذلها ثم انشأ يقول لها

دونك نصحي فاتبعي سبله ... واغني عن التفصيل بالجمله
طيري متى نعرت من نخله ... وطلقيها بتة بتله
وحاذري العود اليه ولو ... سبلها ناطورها الابله

فخير ما للص ألا ترى شبعة فيها له عمله

ثم قالت لي لقد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل للمرسل إن شئت

رويدك لا يعقب جميلك بالأذى ... فتضحي وشمل المال والحمد منصدع

ولا تغضبن من تزيد سائل ... فما هو في صوغ اللسان بمبتدع

وإن يك قد ساءتك مني خديعة ... فقبلك شيخ الأشعريين قد خدع

قال القاضي فتالله لما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم إنه أصحب رائده بردين وصرة من العين وقال له سر سير من لا يرى الالتفات إلى أن ترى الشيخ والفتاة فحينئذ ابذل بيدهما هذا الحباء وبين لهما انخداعي للأدباء قال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب

بلغ

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة السادسة والأربعون

حدث الحارث بن همام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب وطلب يا له من طلب وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير وخففت نحوها خفوق الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت ربيعها أفاني الأيام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام إلى أن أقصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فأغرى البال الخلو والمرح الحلو

بأن أقصد حمص لأصطاف ببقعتها وأسبر رقاعة أهل رقعتها فأسرعت إليها إسراع النجم إذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمح طرفي شيخا قد أقبل هرين وادبر غرين وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لأختبر به أدبا حمص فبش لي حين وافيته وحيا بأحسن ما حييته فجلست إليه لأبلو جنا نطقه وأكتنه كنه حمقه فما لبث أن أشار بعصيته إلى أكبر أصيبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل واحذر أن تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح ... وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها ... وأعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لإدراك محل سما ... عماده لا لادراع المراح

والله ما السؤدد حسو الطلا ... ولا مراد الحمد رود رداح

واها لحر صدره واسع ... وهمه ما سر أهل الصلاح

مورده حلو لسؤاله ... وماله ما سأله مطاح

ما أسمع الآمل ردا ولا ... ماطله والمطل لؤم صراح

ولا أطاع اللهو لما دعا ... ولا كسا راحا له كأس راح

سوده إصلاحه سره ... وردعه أهواءه والطماح

اي علمه بان مهر القبيحة لا يبلغ مهر الحسنا المليحة

وحصل المدح له علمه ما مهر العود مهور الصحاح

فقال له أحسنت يا بدير يا رأس الدير ثم قال للتالي المشبه بصنوه أدن يا نويرة يا قمر الدويرة فدنا ولم يتباطا حتى حل منه مقعد المعاطا فقال له اجل الابيات العرائس وان لم يكن نفائس فبرى ووقط احتجر اللوح وخط

فتنتني فجننتني تجني … بتجن يفتن غب تجني

شغفتني بجفن ظبي غضيض … غنج يقتضي تغيض جفني

غشيتني بزينتين فشفتني … بزي يشف بين تثني

فتظنيت تجتني فتجزيني … بنفث يشفي فخيب ظني

ثبتت في غش جيب بتزيين … خبث يبغي تشفي ضغن

فنزت في تجني وفتنتني … بشجي بغض ففن

فلما نظر الشيخ الى ما حبره وتصفح ما زبره قال له بورك فيك من طلا كما بورك في لا ولا ثم هتف أقرب يا قطرب فاقترب منه فتى يحكي نجم دجية أو تمثال دمية فقال له ارقم الابيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين … ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال … فنن أم في السؤال خفف

ولا نظر

وَلَا تَظُنَّ الدُّهُورَ تُبْقِي مَالَ ضَنِينٍ وَلَوْ تَقَشَّفْ
وَاحْلُمْ بِجَفْنِ الْكِرَامِ يُغْضِي وَصَدْرُهُمْ فِي الْعَطَاءِ نَفْنَفْ
وَلَا تَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدَادٍ ثَبْتٍ وَلَا تَبْغِ مَا تَزَيَّفْ

فَقَالَ لَهُ لَا شَلَّتْ يَدَاكَ وَلَا كَلَّتْ مُدَاكَ ثُمَّ نَادَى يَا عَثَمْثَمُ يَا عِطْرَ مَنْشِمَ فَلَبَّاهُ غُلَامٌ كَدُرَّةِ غَوَّاصٍ وَجُؤْذَرِ قَنَّاصٍ فَقَالَ لَهُ اكْتُبِ الْأَبْيَاتَ الْمَتَائِيمَ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَشَائِيمِ فَتَنَاوَلَ الْقَلَمَ الْمُثَقَّفَ وَكَتَبَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَوَقَّفَ

زُيِّنَتْ زَيْنَبُ بِقَدٍّ يَقُدُّ وَتَلَاهُ وَيْلَاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ
جِيدُهَا جُنْدُهَا وَظَرْفٌ وَطَرْفٌ نَاعِسٌ نَاعِشٌ بِحَدٍّ يَحُدُّ
قَدْرُهَا قَدُّهَا وَتَاهَتْ وَبَاهَتْ وَأَعْدَتْ وَأَغْدَتْ بِخَدٍّ نَجْدٍ
فَارَقَتْنِي فَأَرَّقَتْنِي وَشَطَّتْ وَسَطَتْ ثُمَّ نَمَّ وَجْدٌ وَجِدٌّ
فَدَنَتْ فُدِّيَتْ وَحَنَّتْ وَجَنَّتْ مُغْضَبًا مُغْضِبًا بِوُدٍّ يُوَدُّ

فَطَفِقَ الشَّيْخُ يَتَأَمَّلُ مَا سَطَرَهُ وَيُقَلِّبُ فِيهِ نَظَرَهُ فَلَمَّا اسْتَحْسَنَ خَطَّهُ وَاسْتَصَحَّ ضَبْطَهُ قَالَ لَهُ لَا شَلَّ عَشْرُكَ وَلَا اسْتُخْبِثَ نَشْرُكَ ثُمَّ أَهَابَ بِفَتًى فَتَّانٍ يَسْفِرُ عَنْ أَزْهَارِ بُسْتَانٍ فَقَالَ لَهُ أَنْشِدِ الْبَيْتَيْنِ الْمُطْرِفَيْنِ الْمُشْتَبِهَيِ الطَّرَفَيْنِ اللَّذَيْنِ أَسْكَتَا كُلَّ نَافِثٍ وَأَمِنَا أَنْ يُعَزَّزَا بِثَالِثٍ فَقَالَ لَهُ اسْمَعْ لَا وُقِرَ سَمْعُكَ وَلَا هُزِمَ جَمْعُكَ وَأَنْشَدَ مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ

ولا تريّث وقال

شم شيمة تحسن آثارها واشكر لمن أعطى ولو سمسمة

والمكر مهما استطعت لا تأته لتقتني السودد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا أبا الغلول ثم نادى أوضح يا ياسين ما يشكل

من ذوات السين فنهض ولم يتأن وأنشد بصوت أغن

نقس الدواة ورسغ الكف مشتبه سيناهما إن هما خطا وإن دربا

وهكذا السين في قسب وباسقة والسخل والبخس واقسر واقتبس قبسا

وفي تقسّست بالليل الكلام وفي مسيطر وشموس واتخذ جرسا

وفي قريس وبرد قارس فخذ الجواب مني وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة

وبين الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مشار ثم أنشد من غير عثار

بالصاد تكتب قد بصت دراهمه بأنا ملي وأصخ لتستمع الخبر

وبصقت أبصق والصماخ وصنجة والعص وهو الصدر واقتص الأثر

وبخصت مقلته وهذي فرصة وقد ارعدت منه الفريصة للخور

وقصرت أي حبست وقد دنا فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخمر قارصة إذا حذت اللسان وكل هذا مستطر

فقال له رعيا لك يا بني فقد أقررت عيني ثم استنهض ذا جثة كالبيدر

ونغشة

الصواب؟

هنداء

ونغشة كالسوذق وأمر ان يقف بالمرصاد ويسرد ما يجري على السين والصاد فنهض يسحب بردته ثم انشد مشيرا بيده

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه وان تشا فهو بالصادات يكتتب

مغس ونقس ومسطار ومملس وسالغ وصراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو ميسكي(?) الخبن(?) والمغس فعل(?) البيضة والمسطار الخمر المر(?) وقد يقال المسطار بالهاء(?) والملس ما يسقط من يدك ولا تشعر به والسالغ اخر اسنان ذوات الظلف والسقب القرب

والسامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم والسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة حداد

فقال له احسنت يا حبقة يا عين بقة ثم نادى يا دغفل يا ابا زنفل فلباه فتى احسن من بيضة في روضة فقال له ما عندك من الافعال التي اخرها حروف اعتلال فقال له اسمع لا صم صداك ولا سمعت عداك ثم انشد وما استرشد

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تا الخطاب ولا تقف

فان تر قبل التاء يا فاكتبه بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقع يا باقعة

البقاع فاقبل احسن من نار العرى في عين ابن السري فقال له اصدع
بتمييز الظاء من الضاد لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش
ثم انشد بصوت اجش

ايها السائلي عن الضاد والظاء لكيما تضله الالفاظ
ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ
والحظيرات والمظنة والظنة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والالظاظ
ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والاغلاظ
ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم الفظيع والوعاظ
وعكاظ والظعن والمظ والحنظل والقارظان والاوشاظ

وظراز

وظِرابُ الظِرّانِ والشَّظَفُ الباهِظُ والجعظريُّ والجوّاظُ

الظِرابُ الروابي الصغار واحدها ظَرِبٌ والظِرّانُ الحِجارةُ المحدَّدة واحدها ظُرَرٌ والجعظريُّ المنتفخ بما ليس عنده والجوّاظُ الفاجر وقيل الأكول المختال

والظرابينُ والحناظِبُ والعُنظُبُ ثم الظَيّانُ والأرعاظُ

الظرابينُ جمعُ ظَرِبانٍ وهو دابّة فَسّوها وتجمع ايضا على ظرابيّ بحذف النون وعلى ظِربى وهو جمعٌ شاذٌّ والحناظبُ ذكور الخنافس والعنظبُ ذكر الجراد

والظَيّانُ ياسمين البَرّ والأرعاظُ

جمع رُعظ وهو مدخل النصل في السهم

والشناظي والدِلَظُ والظأبُ والظبظابُ والعُنظُوانُ والجِنعاظُ

الشناظي نواحي الجبل والدِلَظُ الدافع والظأبُ الصخب وقد تبدل الباء منه ميما وقيل انّ الظأبَ والظأم اسمان لسِلف الرجل والعنظوان نبتٌ والظبظابُ الداءُ يقال ما به ظبظاب كما يقال ما به قَلَبة والجنعاظ الأحمق وقيل المتسخّط عند الطعام

والشناظيرُ والتعاظُلُ والعِظْلِمُ والبَظْرُ بعدُ والإنعاظُ

الشناظير جمع شنظير وهو السيّئ الخلق والتعاظل تلازم الجراد والكلاب عند السِفاد والعِظلم الخِطميّ
ه

هي هذي سوى النوادر فاحفظها لتقفوا آثار الحفّاظ

واقض فيما صرّفت منها كما تقضيه في أصله كغيظ وقاظو

قال له الشيخ أحسنت لا فضّ فوك ولا برّ من يجفوك فوالله إنا مع الصبي
الغض لأحفظ من الأرض وأجمع من يوم العرض ولقد أوردتك ورفقتك
زلالي وثقّفتكم تثقيف العوالي فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون

قال الحرث بن همام فعجبت لما أبدى من براعة مقرونة برقاعة وأبرز وأظهر
من حذاقة ممزوجة بحماقة ولم يزل طرفي يصعّد فيه ويصوّب وينقّر
عنه وينقّب وهو كمن ينظر في ظلماء أو يسري في يهماء فلما استراب
تنبّهي واستبان تدلّهي حملق إليّ وتبسّم وقال لم يبق من يتوسّم فبهت
لفحوى كلامه ووجدته أبا زيد عند ابتسامه وأخذت ألومه على
تدنيس بقعة النوى وتخيّر حرفة الحمقى فكأنّ وجهه أسفّ رمادا
أو أشرب سوادا إلا أنه أنشد وما تمادى

تخرّفت حمص وهذي الصناعة لأرزق حظوة أهل الرقاعة
فما يصطفي الدهر غير الرقيع ولا يوطن المال إلا بقاعه
ولا لأخي اللبّ من دهره سوى ما لعير ربيط بقاعه

أما أن التعلم

ثم قال أما التعليم فإنه أشرف صناعة وأربح بضاعة وأنجح شفاعة
وأفضل براعة وربّه ذو إمرة مطاعة وهيبة مشاعة ورعيّة
مطواعة يتسيطر تسيطر أمير ويرتّب ترتيب وزير ويتحكّم تحكّم قدير

ويتشبه بذي ملك كبير الا انه يخرف في امد يسير ويتسم بجمع شهير
وينقلب بفعل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت له تالله انك لابن الايام
وعلم الاعلام والساحر اللاعب بالافهام المذلل له سبل الكلام
ثم لم ازل معتكفا بناديه ومغترفا من سيل واديه الى ان غابت الايام
الغر ونابت الاحداث الغبر ففارقته ولعيني العبر

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة السابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة
فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي
لإحضاره وأرصدت نفسي لانتظاره فأبطأ بعدما انطلق حتى خلته قد
ابق او ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه
فقلت له ويلك أبطأ فند وصلود زند فزعم ان الشيخ اشغل من
ذات النحيين وفي حرب لحرب حنين فعفت المشي الى حجام وحرت
بين اقدام واحجام ثم رأيت ان لا تعنيف على من يأتي الكنيف فلما شهدت
موسمه وشاهدت ميسمه رأيت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة
وعليه من النظارة اطواق ومن الزحام طباق وبين يديه فتى كالصمصامة

احاطت به حلق من الناس — بعضها فوق بعض — السيف

مستهدف للحجامة والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك قبل أن
تبرز قرطاسك ووليتني قذالك ولم تقل لي ذالك ولست ممن يبيع نقدا
بدين ولا يطلب اثرا بعد عين فان انت دضخت بالعين جمجمت في الاخدعين
وان كنت ترى الشح اولى وخزن الفلس في النفس احلى فاقرا عبس وتولى
واغرب عني والا فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد
الحرمين اني لا افلس من ابن يومين فثق بسيل تلعتي وانظرني الى سعتي
فقال الشيخ ويحك ان مثل الموعود كغرس العود مويين أن يدركه
العطب اويدرك منه الرطب فما يدريني احصل من عودك على جنى
ام احصل منه على ضنى ثم ما الثقة بانك حين تبتعد ستفي بما تعد
وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل فارحني بالله من التعنت
وارحل الى حيث يعوي الذيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى
الخجل عليه وقال والله ما يخيس بالوعد غير الخسيس الوغد ولا يرد
غدير الغدر الا الوضيع القدر ولو عرفت من انا لما اسمعتني الخنا
لكنك جهلت فقلت وحيث وجب ان تسجد بلت وما اقبح الغربة
والاقلال واحسن قول من قال

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويله أبيك وعوله أهليك أأنت في موقف فخر فتظهر
وحسب فتشهر أم في موقف جلد يكشط وقفا يشرط وهبك كما ادعيت
وسلم أن لك البيت أيحصل بذلك مجد وقد ذلك لا والله ولو أن أباك
أناف على عبد مناف أو خالك دان عبد المدان فلا تطلب ما لست له
بواجد ولا تضرب في حديد بارد وباه إذا باهيت بموجودك لا بجدودك
ومحصولك لا بأصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك
ولا تطع الطمع فيذلك ولا تتبع الهوى فيضلك ولله القائل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه إذا ما التوى التوي
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق إلى النجم لما أن أطاع الهوى هوى
وأسعف ذوي القربى فيقبح أن يرى على من إلى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون إذا نبا زمان ومن يرعى إذا ما النوى نوى
وإن تعتذر فاصفح فلا خير في امرئ إذا أعلقت أظفاره بالشوى شوى
وإياك والشكوى فلم ير ذا نهى شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

وقال للغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة أنف في السماء
واست في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ

وهب أن لك البيت كما ادعيت

بلسان سليط وغيظ مستشيط وقال اف لك من صواغ باللسان رواغ عن
الاحسان يأمر بالبر ويتعوق عقوق الهر فان يكن سبب تعتبك
نفاق صنعتك فرماها الله بالكساد وافساد الحساد حتى ترى افرغ
من حجام ساباط واضيق رزقا من سم خياط فقال له الشيخ بل سلط
الله عليك بثر الفم وتبيغ الدم حتى تلجا الى حجام عظيم الاشتطاط
ثقيل الاشتراط كثير المخاط والضراط فلما تبين الفتى انه يشكو الى غير
مصمت ويزاول استفتاح باب مصمت اضرب عن رجع الكلام واحتفز
للقيام وعلم الشيخ انه قد آلمه بما اسمع الغلام فجنح الى سلمه وبذل
ان يذعن لحكمه والا يبغي اجرا على حجمه وابى الغلام الا المشي
بدائه والهرب من لقائه وما زالا في حجاج وسباب ولزاز وجذاب
الى ان ضج الفتى من الشقاق وتلا رده سورة الانشقاق فما عول
حينئذ لو فاته خسره وانحطاط عرضه وطمره واخذ الشيخ
يعتذر من فرطاته ويغيض من عبراته وهو لا يصغي الى اعتذاره
ولا يقصر عن استعباره الى ان قال له فداك عمك وعداك ما يغمك
اما سئمت الاعوال اما تعرف الاجمال الم تسمع بمن امالك واخذ يقول من قال
اسكن احمد حلمك ما يذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح ان جنى جاني
فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به والاخذ بالعفو احلى ما جنى جاني

فقال له الغلام أما أنك لو ظهرت على عيشي المنكدر لعذرت في دمعي
المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر ثم كأنه نزع إلى الاستحياء
وأقلع عن البكاء وفاء إلى الارعواء وقال للشيخ قد ضربت إلي ما اشتهيت
فارقع ما أوهيت فقال هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارق سواي
ثم إنه نهض يستقري الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسم بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمة
لو أن عندي قوت يوم لما مست يدي المشراط والمحجمة
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد هذي السمة
ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حجمه
لكن صروف الدهر غادرنني كخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر إلى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة علي أو تعطفه مرحمه

قال الحرث بن همام فكنت أول من آوى لبلواه ورق لشكواه
فنحته بدرهمين وقلت لا كانا ولو كان ذا مين فابتهج بالكون جناه
وتفاءل بهما لغناه ولم تزل الدراهم تنهال عليه وتنثال لديه حتى آل
ذا عيشة خضراء وحقيبة بجراء فازدهاه الفرح عند ذلك وهنأ
نفسه هنالك وقال للغلام هذا ربع أنت بذره وحلب لك

شطرٌ فهلمّ لنقتسم ولا نحتشم فتقاسماه بينهما شقّ الأبلمه ونهضا
متّفقي الكلمه ولمّا انتظم عقد الاصطلاح وهمّ الشيخ بالرواح
قلت له قد تبوّغ دمي ونقلتُ اليك قدمي فهل لك في أن تحميني وتكفكف
ما دهمني فصوّب طرفه فيّ وصعّد ثم ازدلف وانشد

كيف رأيت حيلتي وختلي … وما جرى بيني وبين سخلي
حتى انثنيت فائزا بالخصل … أرعى رياض الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي … هل ابصرت عيناك قطّ مثلي
يفتح بالرقية كلّ قفل … ويستبي بالسحر كلّ عقل
ويمزج الجدّ بماء الهزل … إن يكن الاسكندريّ قبلي
فالطلّ قد يبدو أمام الوبل … والفضل للوابل لا للطلّ

قال فنبّهتني أرجوزته عليه وأرتني انّه شيخنا المشار اليه فقرّعته
على الابتذال والالتحاق بالأرذال فأعرض عمّا سمع ولم يبل بما قرّع
وقال كلّ الحذاء يحتذي الحافي الوقع ثم فاصاني مفاصاة المهان وانطلق
وابنه كفرسي رهان

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القسم علي
الحريري رحمه الله تعالى

قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلا من أمثال العرب فسرت منها
ما خلته يلتبس على من يقتبس   أما قوله بط فند فهو مولى عايشة بنت
سعد وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد مصر وأقام بها سنة
ثم جاءها بعد السنة ومعه جمر فتبدد منه فقالت تعست العجلة   وأما
ذات النحيين فهي امرأة من تيم الله حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن
فاستخلى بها خوات بن جبير الانصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه
ودفعه إليها فأخذته بإحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته
بيدها الأخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم النحيين
وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب بها المثل فيمن شغل
وهي في هذا المثل مفعولة لأنها شغلت وأكثر الأمثال التي على أفعل تأتي
من فعل الفاعل   وأما قوله أنف في السما وأست في الماء فهذا المثل يضرب
لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا   وأما قوله أفرغ من حجام ساباط
فذكر أنه كان حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجند بدانق نسيئة وإنما
مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد وكان يبرز أمه عند تمادي عطلته
فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت
وأما قوله يشكو إلى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه
ولا يبالي باستمرار شكايته لأنه لو اشكاه لصمت وأمسك عن الكلام

وقال خوات في شعر له
وأم عيال واثقين بعقلها ... خلجت لها جار استها خلجات
شغلت يديها إذ أرادت خلاصها ... بنحيين من سمن ذوي عجرات
فشدت على النحيين كفا شحيحة ... على سمنها والفتك من فعلاتي
فأخرجته ريان ينطف رأسه ... من الرامك المدموم بالمغرات
وكان لها الويلات من ترك سمنها ... وإن رجعت صفرا بغير بتات
وكان إذا ما القوم هموا بغدرة ... تنادوا على اسمي يا أخا الغدرات

قال ابن الحايك بلغني أن رسول الله صلعم قال لخوات بعدما أسلم ما فعل الجمل من شرادك فقال والذي بعثك بالحق ما ارتبى منذ أسلمت

ذكر صاحب الأغاني أنه خرجت
عاتكة بنت الملاءة إلى العصر بوادي
البصرة فلقيت بدويا ومعه أنحا
سمن فقالت له يا بدوي أتبيع هذا
السمن قال نعم قالت أرناه ففتح
لها نحيا فنظرت إلى ما فيه ثم ناولته
إياه وقالت افتح آخر ففتح فنظرت
إليه ثم ناولته إياه فلما شغلت
يديه أمرت جواريها فجعلن يركلن
في استه وجعلت تنادي يا
لثارات ذات النحيين هـ

ومنه قول الراجز يخاطب جملا له

أنك لا تشكو إلي مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

وأما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع فمعناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن يصيب الحجارة القدم فتوهنها وأما البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر في ظهره

بلغت مقابلة وتصحيحا

المقامة الثامنة والأربعون

روى الحرث بن همام عن أبي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي أحن إلى عيان البصرة حنين المظلوم إلى النصرة لما أجمع عليه أرباب الدراية وأصحاب الرواية من خصائص معالمها وعلمائها وما ثر مشاهدها وشهدائها وأسأل الله أن يوطئني ثراها لأفوز بمرآها وأن يمطيني قراها لأقتري قراها فلما أحلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ

رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الأوطان كل غريب

فغلست في بعض الأيام حين نصل خضاب الظلام وهتف أبو المنذر بالنوام

لأخطو

لأخطو في خططها وأقضي الوطر من توسّطها فأدّاني الاختراق
في مسالكها والانصلات في سككها الى محلّة موسومة بالاحترام
منسوبة الى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة ومبانٍ
وثيقة ومغانٍ أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنّات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطّلع الى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقارٍ أضرّا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغنّ فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصِل ان شئت فيها من يصلّي وامّا شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاسات مطلق العنان

قال فبينا أنا أنفض طرقها وأستشفّ رونقها اذ لمحت عند دلوك
براح وإظلال الرواح مسجدا مشتهرا بطرائفه مزدهرا بطوائفه
وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا في حلبة الجدل فعجت
نحوهم لأستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم فلم يكن الا كقبسة العجلان
حتى ارتفعت الأصوات بالأذان ثم ردف التأذين بروز الامام فاعتمدت

طُوِيَ الكلامُ وحُلّتِ الحُبى للقيام وشُغلنا بالقنوت عن استمداد القوت
وبالسجود عن استنزال الجود ولمّا قُضي الغرض وكاد الجمع ينفضّ انبرى
من الجماعة كهلٌ حلو البراعة له مع السمت الحسن ذلاقة اللسن
وفصاحة الحسن وقال يا جيرتي الذين اصطفيتهم على أغصان
شجرتي وجعلت خطّتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي وأعددتهم
لمحضري وغيبتي أما تعلمون أنّ لبوس الصدق أبهى الملابس الفاخرة
وأنّ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وأنّ الدين إمحاض النصيحة
والإرشاد عنوان العقيدة الصحيحة فإنّ المستشار مؤتمن والمسترشد
بالنصح قمن وأنّ أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من
صدقك لا من صدّقك فقال له الحاضرون أيّها الخلّ الودود والخدن
المودود ما سرّ كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما
الذي تبغيه منّا لننجز ولو أعجز فوالذي حبانا بمحبتك وجعلنا من
صفوة أحبّتك ما نألوك نصحًا ولا ندّخر عنك نُصحًا فقال جُزيتم خيرًا
ووُقيتم ضيرًا فإنكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب
فيهم مظنون ولا يطوى دونهم مكنون وسأبثّكم ما حكّ في صدري
وأستفتيكم فيما عيل به صبري اعلموا أني كنت عند صلود الزند
وصدود الجدّ أخلصت مع الله نية العقد وأعطيته صفقة العهد

على ألّا

عَلَى أَنْ لَا أُعَاقِرَ نَدَامَى وَلَا أَسْبَأَ مُدَامًا وَلَا أَحْتَسِيَ قَهْوَةً وَلَا أَكْتَسِيَ نَشْوَةً
فَسَوَّلَتْ لِيَ النَّفْسُ الْمُضِلَّةُ وَالشَّهْوَةُ الْمُزِلَّةُ أَنْ نَادَمْتُ الْأَبْطَالَ وَعَاطَيْتُ
الْأَرْطَالَ وَأَضَعْتُ الْوَقَارَ وَارْتَضَعْتُ الْعُقَارَ وَامْتَطَيْتُ مَطَا الْكُمَيْتِ
وَتَنَاسَيْتُ التَّوْبَةَ كَالْمَيْتِ ثُمَّ لَمْ أَقْنَعْ بِمَا تِيكُمُ الْمَرَّةَ فِي طَاعَةِ أَبِي مُرَّةَ حَتَّى
عَكَفْتُ عَلَى الْخَنْدَرِيسِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَبِتُّ صَرِيعَ الصَّهْبَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَّاءِ
وَهَا أَنَا بَادِي الْكَآبَةِ لِنَقْضِ الْإِنَابَةِ نَائِي النَّدَامَةِ لِوَصْلِ الْمُدَامَةِ شَدِيدُ
الْإِشْفَاقِ مِنْ نَقْضِ الْمِيثَاقِ مُعْتَرِفٌ بِالْإِسْرَافِ فِي عَبِّ السُّلَافِ
فَيَا قَوْمُ هَلْ كَفَّارَةٌ تَعْرِفُونَهَا تُبَاعِدُ مِنْ ذَنْبِي وَتُدْنِي إِلَى رَبِّي
قَالَ أَبُو زَيْدٍ فَلَمَّا حَلَّ أُنْشُوطَةَ نَفْثِهِ وَقَضَى الْوَطَرَ مِنِ اشْتِكَاءِ بَثِّهِ
نَاجَتْنِي نَفْسِي يَا أَبَا زَيْدٍ هَذِهِ نُهْزَةُ صَيْدٍ فَشَمِّرْ عَنْ يَدٍ وَأَيْدٍ فَنَهَضْتُ مِنْ
مَجْثَمِي انْتِهَاضَ الشَّهْمِ وَانْخَرَطْتُ مِنَ الصَّفِّ انْخِرَاطَ السَّهْمِ وَقُلْتُ

أَيُّهَا الْأَرْوَعُ الَّذِي فَاقَ مَجْدًا وَسُودَدَا
وَالَّذِي يَبْتَغِي الرَّشَادَ لِيَجْزَى بِهِ غَدَا
إِنَّ عِنْدِي عِلَاجَ مَا بِتَّ مِنْهُ مُسَهَّدَا
فَاسْتَمِعْهَا عَجِيبَةً غَادَرَتْنِي مُبَلَّدَا
أَنَا مِنْ سَاكِنِي سَرُوجَ ذَوِي الدِّينِ وَالْهُدَى
كُنْتُ ذَا ثَرْوَةٍ بِهَا وَمُطَاعًا مُسَوَّدَا

مربعي مألف الضيوف ومأوى لهم سدا
أشتري الحمد باللهى وأقي العرض بالجدا
لا أبالي بمنفس طاح في البذل والندى
أوقد النار باليفاع إذا البكر أخمدا
ويرآني المؤملون ملاذا ومقصدا
لم يشم بارقي صدٍ فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رام قابس قدح زندي فأصلدا
طالما ساعد الزمان فأصبحت مسعدا
فقضى الله أن يغير ما كان عوّدا
بوّأ الروم أرضنا بعد ضغن تولّدا
فاستباحوا حريم من صادفوه موحّدا
وحووا كل ما استسرّ نهالي وما بدا
فتطوحت في البلاد طريدا مشرّدا
أجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدى
وترامى خصاصة المنى لها الردى
والبلاء الذي به شمل أنسي تبدّدا
أسيتا ابنتي التي أسروها لتفتدى

وأصبحت

فاستبق

146

فاستبن محنتي ومد الى نصرتي يدا

واجرني من الزمان فقد جار واعتدى

واعني على فكاك ابنتي من يد العدى

فبذا تمحى المآثم عمن تمردا

وبه تقبل الانابة ممن تزهدا

وهو كفارة لمن زاغ من بعد ما اهتدى

ولئن قمت منشدا فلقد فهت مرشدا

فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى

واسمح الآن بالذي يتسنى لتحمدا

قال ابو زيد فلما اتممت هذرمتي واوهم المسئول صدق كلمتي اغراه الغرم الى الكرم بمواساتي ورغبة الكلف بحمل الكلف في مقاساتي فرضخ لي على الحافرة ونضح لي بالعدة الوافرة فانقلبت الى وكري فرحا بنجح مكري قد حصلت من صوغ المكيدة على سوغ الثريدة ووصلت من حوك القصيدة الى لوك العصيدة قال الحرث بن همام فقلت له سبحان من ابدعك فما اعظم خدعك فاستغرب في الضحك وانشد غير مرتبك

عش بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه

وَأَدِرْ قَنَاةَ الْمَكْرِ حَتَّى تَسْتَدِيرَ رَحَى الْمَعِيشَهْ

وَصِدِ النُّسُورَ فَإِنْ تَعَذَّرَ صَيْدُهَا فَاقْنَعْ بِرِيشَهْ

وَاجْنِ الثِّمَارَ فَإِنْ تَفُتْكَ فَرَضِّ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَهْ

وَأَرِحْ فُؤَادَكَ إِنْ نَبَا دَهْرٌ مِنَ الْفِكَرِ الْمُطِيشَهْ

فَتَغَايُرُ الْأَحْدَاثِ مُؤْذِنٌ بِاسْتِحَالَةِ كُلِّ عِيشَهْ



الْمَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ



حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ حِينَ نَاهَزَ الْقَبْضَةَ وَابْتَزَّ فِيدُ الْهَرَمِ النَّهْضَةَ أَحْضَرَ ابْنَهُ بَعْدَمَا اسْتَجَاشَ ذِهْنَهُ وَقَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ إِنَّهُ قَدْ دَنَا ارْتِحَالِي مِنَ الْفِنَاءِ وَاكْتِحَالِي بِمِرْوَدِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَلِيُّ عَهْدِي وَكَبْشُ الْكَتِيبَةِ السَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِي وَمِثْلُكَ لَا تُقْرَعُ لَهُ الْعَصَا وَلَا يُنَبَّهُ بِطَرْقِ الْحَصَا وَلَكِنَّهُ قَدْ نُدِبَ إِلَى الْإِذْكَارِ وَجُعِلَ صِقَالًا لِلْأَفْكَارِ وَإِنِّي مُوصِيكَ بِمَا لَمْ يُوصِ بِهِ شِيثٌ الْأَنْبَاطَ وَلَا يَعْقُوبُ الْأَسْبَاطَ فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي وَجَانِبْ مَعْصِيَتِي وَاحْذُ مِثَالِي وَاقْفُهُ أَمْثَالِي فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَنْصَحْتَ نُصْحِي وَاسْتَصْبَحْتَ بِصُبْحِي أَمْرَعَ خَانُكَ وَارْتَفَعَ دُخَانُكَ وَإِنْ تَنَاسَيْتَ سُورَتِي وَنَبَذْتَ مَشُورَتِي قَلَّ

رماد

رماداً أثافيك وزهد أهلك ورهطك فيك يا بنيّ إني جرّبت حقائق
الأمور وتصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والمحصّ
عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أنّ المعايش إمارة وتجارة
وزراعة وصناعة فمارست هذه الأربع لأنظر أيّها أوفق وأنفع
فما أحمدت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات
وخلس الإمارات فكأضغاث أحلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك
بها غصّة بمرارة الفطام وأمّا بضائع التجارات فعرضة
للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيّارات
وأمّا اتخاذ الضياع والتصدّي للازدراع فمنهكة للأعراض
وقيود عائقة عن الارتكاض وقلّما خلا ربّهما من إذلال أو رزق
روح بال وأمّا حرف أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات
ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب بشبيبة الحيوة
ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم إلا الحرفة التي وضع
ساسان أساسها ونوّع أجناسها وأضرم في الخافقين نارها
وأوضح لبني غبرا منارها فشهدت وقائعها معلماً واخترت
سيماها لي ميسماً إذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور
والمصباح الذي يعشوا إليه الجمهور ويستصبح به العمي والعور وكان

أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم من حيف ولا يقلقهم
بسل سيف ولا يخشون حمة لاسع ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا
يرهبون ممن برق ورعد ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة
وقلوبهم مرفهة وطعمهم معجلة وأوقاتهم غر محجلة أينما
سقطوا لقطوا وحيثما انخرطوا اخترطوا لا يتخذون أوطانا ولا
يتقون سلطانا ولا يمتازون عما يغدو بطانا ويروح خماصا فقال له
ابنه يا أبه لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت فبين
لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بني إن الارتكاض
بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والقحة سلاحها
فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب وأنشط من ظبي مقمر وأسلط
من ذئب متنمر واقدح زند جدك بجدك واقرع باب رزقك بسعيك
وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل
حوض ولا تسأم الطلب ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا
شيخنا ساسان من طلب جلب ومن جال نال وإياك والكسل
فإنه عنوان النحوس ولبوس ذي البوس ومفتاح المتربة ولقاح
المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما
اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة

وعليك بالإقدام ولو على الضرغام فإن جرأة الجنان تُطلق اللسان
وتُطلق العنان وبها تُدرك الحظوة وتُملك الثروة كما أن الخور
صنو الكسل وسبب الفشل ومبطاة للعمل ومخيبة للأمل ولهذا
قيل في المثل من جسر أيسر ومن هاب خاب ثم أبرز يا بني في بكور
أبي زاجر وجرأة أبي الحرث وحزامة أبي مرة وختل أبي جعدة
وحرص أبي عقبة ونشاط أبي وثاب ومكر أبي الحصين وصبر
أبي أيوب وتلطف أبي غزوان وتلوّن أبي براقش واخلب
بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب
وامتر الضرع قبل الحلب وسائل الركبان قبل المنتجع ودمّث
لجنبك قبل المضطجع واشحذ بصيرتك للعيافة وانعم نظرك في القيافة
فإن من صدق توسّمه طال تبسّمه ومن أخطأت فراسته أبطأت
فريسته وكن يا بني خفيف الكل قليل الدل راغبا عن العلل
قانعا من الوبل بالطل وعظّم وقع الحقير واشكر على النقير
ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد رشح الصلد ولا تيأس من روح الله إنه
لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وإذا خيّرت بين ذرة
منقودة ودرة موعودة فمل إلى النقد وفضّل اليوم على الغد فإن
للتأخير آفات وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين النجز

عقبات وأي عقبات وعليك بصبر أولي العزم ورفق ذوي الحزم وجانب خرق المشتط وتخلق بالخلق الأسبط وقيد الدرهم بالربط وشب البذل بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نبا بك بلد أو نابك فيه كمد فبت منه أملك واسرح عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقلن الرحلة ولا تكرهن النقلة فان أعلام شريعتنا وأشياخ عشيرتنا اجمعوا على ان الحركة بركة والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا هي تعلة من قنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب وأعددت له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل أن تبعد فان الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

خذها اليك وصية لم يوصها قبلي أحد
غرا أحاجية خلاصات المعاني والزبد
نحتها تنقيح من محض النصيحة واجتهد
واعمل بها مثلته عمل اللبيب أخي الرشد
حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت واستقصيت فان اهتديت فوا أم لك وان اعتديت فآها منك والله خليفتي عليك وأرجو ألا تخلف ظني فيك

قال الراوي

فقال له ابنه يا أبه لا وضع عرشك ولا رفع نعشك فلقد قلت
سددا وعلمت رشدا ونحلت ما لم ينحل الوالد الولد ولئن امهلت بعدك
لا ذقت فقدك فلا تأدبن بآدابك الصالحة ولا قتدين بآثارك الواضحة
حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز
ابو زيد لجوابه وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم قال
الحرث بن همام فاخبرت ان بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا
الحسان فضلوها على وصايا لقمن وحفظوها كما تحفظ ام القرآن
حتى انهم ليرونها الى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وانفع لهم من نحلة العقيان

بلغ مقابلة وتصحيحا

المقامة الخمسون

حدث الحرث بن همام قال اشعرت في بعض الايام هما برح بي استعاره
ولاح على شعاره وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي
الفكر فلم ار لاطفاء ما بي من الجمرة الا قصد الجامع بالبصرة
وكان اذ ذاك ماهول المساند مشفوه الموارد يجتنى من ازاهير الكلام
ويسمع في ارجايه صرير الاقلام فانطلقت اليه غير وان ولا لاو على
شان فلما وطيت حصاه واستشرفت اقصاه رأيت ذا اطمار

بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى
وليدهم فابتدرت قصده وتوردت ورده ورجوت شفاي عنده ولم
ازل انتقل في المراكز واغضي للاكز والواكز الى ان جلست تجاهه وحيث
امنت اشتباهه فاذا هو شيخنا السروجي لا ريب فيه ولا لبس يخفيه
فتسرى مرآه همي وارفضت كتيبة غمي وحين رآني وبصر بمكاني
قال يا اهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما اضوع رياكم
وافضل مزاياكم بلدكم اوفى البلاد طهرة وازكاها فطرة وافسحها
رقعة وامرعها نجعة واقومها قبلة واوسعها دجلة واكثرها نهرا
ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز البلد الحرام وقبالة البيت
والمقام واحد جناحي القبلة والمصر المؤسس على التقوى لم يتدنس
ببيوت النيران ولا طيف فيه بالاوثان ولا سجد على اديمه لغير الرحمن
ذو المشاهد المشهودة والمساجد المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر
المزورة والآثار المحمودة والخطط المحدودة به تلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب والحادي والملاح والقانص والفلاح
والناشب والرامح والسارح والسابح وله آية المد الفايض والجزر
الغايض واما انتم فمن لا يختلف في خصايصهم اثنان ولا ينكرها
ذو شنان دهماؤكم اطوع رعية لسلطان واشكرهم لاحسان

الدنيا صح

وزاهدكم أورع الخليقة وأخشنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم
علامة كل زمان والحجة في كل أوان ومنكم من استنبط علم النحو
ووضعه وابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر إلا ولكم
فيه اليد الطولى وإن شئتم فأنتم أحق به وأولى ثم إنكم أكثر
أهل مصر مؤذنين وأحسنهم في النبك قوانين وبكم اقتدى في
التعريف وعرف التسحير في الشهر الشريف ولكم إذا أقرت المضاجع
وهجع الهاجع تذكار يوقظ النائم ويونس القائم وما ابتسم ثغر
فجر ولا بزغ نوره في بر ولا بحر إلا ولتأذينكم في الأسحار كدوي
الريح في البحار وبهذا أعلمكم صادع النقل وأخبر النبي عليه السلام
من قبل وبين أن دويكم بالأسحار كدوي النحل فسرنا لكم بشان
المصطفى وواها لمصركم وإن كان قد عفى ولم يبق منه إلا شفا ثم إنه
خزن لسانه وخطم بيانه حتى حدج بالأبصار وفرق الإقصار
تنفس تنفس من رقي لقود أو ضبثت به بر ابن أسد ثم قال أما أنتم يا
أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف ومن له المعرفة والمعروف
وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك وشر المعارف من آذاك ومن لم يثبت
عرفني فسأصدقه صفتي أنا الذي أنجد وأتهم وأيمن وأشأم
وأصحر وأبحر وأدلج وأسحر نشأت بسروج وربيت على السروج

في القفار
في الأسحار

ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق وشهدت المعارك وألنت العرائك
واقتدت الشوامس وأرغمت المعاطس وأذبت الجوامد وأمعت الجلامد
سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل
والجحافل والقبائل والقنابل واستوضحوا من نقلة الأخبار
ورواة الأسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا كم فج
سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت وكم ألباب
خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وأسد افترست وكم محلق
غادرته لقى وكاين استخرجته بالرقى ومجن سحرته حتى انصدع
واستنبطت زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود
غربيب وبرد الشباب قشيب فأما الآن وقد استشن الأديم وتأود
القويم واستنار الليل البهيم فليس إلا الندم ان نفع وترقيع الخرق
الذي قد اتسع وكنت رويت في الآثار المسندة والأخبار المعتمدة
ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد
وسلاحكم الأدعية فقصدتكم انضي الرواحل واطوي المراحل حتى
قمت فيكم ولا منّ لي عليكم اذ ما سعيت الا في حاجتي ولا تعبت الا في
لراحتي ولست أبغي أعطيتكم بل استدعي أدعيتكم ولا اسالكم اموالكم
بل أستنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد للمآب

فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
ويعفو عن السيئات ثم انشد

أستغفر الله من ذنوب أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ورحت في الغي واغتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا واختلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا الى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي الى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فأنت أهل للعفو عني وان عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه في السماء الى ان دمعت اجفانه وبدا رجفانه فصاح الله اكبر بانت امارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم يا أهل البصيرة جزاء من هدى من الحيرة فلم يبق في القوم الا من سُرّ لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم وأقبل يهرف في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطي البصرة واعقبته الى حيث تخالينا وأمنا التجسس والتحسس علينا فقلت له لقد أغربت في هذه النوبة فما رأيك في التوبة فقال أقسم

بعلام الخفيات وغفار الخطيئات ان شاني لعجاب وان دعا قومك لمجاب
فقلت زدني ايضاحا زادك الله صلاحا فقال والله لقد قمت فيكم مقام
المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه وويل
لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق واودعني العلق فلم ازل
اعاني الفكر واشوق الى خبرة ما ذكر وكلما استنبيت خبره
من الركبان وجوابة البلدان كنت كمن حاور عجما او نادى صخرة
صما الى ان لقيت بعد تراخي الامد وتراقي الكمد ركبا قافلين من سفر
فقلت هل من مغربة خبر فقالوا ان عندنا الخبر اغرب من العنقاء واعجب
من نظر الزرقاء فسالتهم ايضاح ما قالوا وان يكيلوا لي بما اكتالوا فحكوا
انهم المّوا بسروج بعد ما فارقها العلوج فراوا ابا زيد بها المعروف
قد لبس الصوف وام الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف فقلت
اتعنون ذا المقامات فقالوا انه الان ذو الكرامات فحفزني اليه
النزاع ورايتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة المعد وسرت
نحو سير المجد حتى حللت بمسجده وقران متعبده فاذا به قد نبذ
صحبة اصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة
فهبته مهابة من ولج على الاسود والفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر
السجود ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته من غير ان نغم معي بحديثه

وقال النابغة يخاطب النعمان ويشير الى زرقاء اليمامة وقصتها مع الحمام

واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت ❊ الى حمام شراع وارد الثمد
قالت فيا ليتما هذا الحمام لنا ❊ الى حمامتنا ونصفه فقد
يحفه جانبا نيق وتتبعه ❊ مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد
فحسبوه فالفوه كما زعمت ❊ تسعا وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها ❊ واسرعت حسبة في ذلك العدد

ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم أقبل على أوراده وتركني أعجب من اجتهاده
وأغبط من هدى الله من عباده ولم يزل في قنوت وخشوع وإخبات وخضوع
إلى أن كمل قامة الخمس وصار اليوم أمس فحينئذ انكفى إلى بيته وأسهمني
من قرصه وزيته ثم نهض إلى مصلاه وتخلى بمناجاة مولاه حتى إذا التمع
الفجر وحق للمجتهد الأجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة
المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الأربع ... والمعهد المرتبع ... والظاعن المودع
وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا ... سودت فيه الصحفا ... ولم تزل معتكفا
على القبيح الشنع

كم ليلة أودعتها ... مآثما أبدعتها ... لشهوة أطعتها
في مرقد ومضجع

وكم خطى حثثتها ... في خزية أحدثتها ... وتوبة نكثتها
لملعب ومرتع

وكم تجرأت على ... رب السموات العلى ... ولم تراقبه ولا
صدقت فيما تدعي

وكم غمطت بره ... وكم أمنت مكره ... وكم نبذت أمره
نبذ الحذا المرقع

وكم ركضت في اللعب وفهت عمدا بالكذب ولم تراع ما يجب
من عهده المتبع

فالبس شعار الندم واسكب شآبيب الدم قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع

واخضع خضوع المعترف ولذ ملاذ المقترف واعص هواك وانحرف
عنه انحراف المقلع

إلى م تسهو وتني ومعظم العمر فني فيما يضر المقتني
ولست بالمرتدع

أما ترى الشيب وخط وخط في الرأس خطط ومن يلح وخط الشمط
بفوده فقد نعي

ويحك يا نفس احرصي على ارتياد المخلص وطاوعي وأخلصي
واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى من القرون وانقضى واخشي مفاجاة القضا
وحاذري أن تخدعي

وانتهجي سبل الهدى وادكري وشك الردى وأن مثواك غدا
في قعر لحد بلقع

آها له بيت البلى والمنزل القفر الخلا ومورد السفر الأولى
واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه | قد ضمه واستودعه | بعد الفضاء والسعه
قيد ثلث أذرع

لا فرق أن يحله | داهية أو أبله | أو معسر أو من له
ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي | يحوي الحيي والبذي | والمبتدي والمحتذي
ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي | وربح عبد قد وقي | سوء الحساب الموبق
وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى | ومن تعدى وطغى | وشب نيران الوغى
لمطعم او مطمع

يا من عليه المتكل | قد زاد ما بي من وجل | لما اجترحت من زلل
في عمري المضيع

فاغفر لعبد مجترم | وارحم بكاه المنسجم | فانت اولى من رحم
وخير مدعو دعي

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من قبل ابكي عليه ثم برز الى مسجده بوضوء تهجده فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من حضر وتفرقوا شغر بغر

أخذ يهينم بدرسه ويسبك يومه في قالب أمسه وفي ضمن ذلك يرن
إرنان الرقوب ويبكي ولا بكا يعقوب حتى استبنت أنه قد ألحق بالأفراد
وأشرب قلبه هوى الانفراد فأخطرت بقلبي عزمة الارتحال وتخليته
والتخلي بتلك الحال فكأنه تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت
فزفر زفير الأواه ثم قرأ فإذا عزمت فتوكل على الله فأسجلت عند ذلك
بصدق المحدثين وأيقنت أن في الأمة محدثين ثم دنوت إليه كما يدنو
المصافح وقلت أوصني أيها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب
عينك وهذا فراق بيني وبينك فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي
وزفراتي يتصعدن من التراقي وكانت هذه خاتمة التلاقي

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القسم بن علي الحريري رحمه الله تعالى

هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان الاضطرار
وقد أحوجت إلى أن أرصدها للاستعراض وناديت عليها في سوق الاعتراض
هذا مع معرفتي بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع
ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق لسترت عواري الذي

لم يزل مستورا ولكن كان ذلك الكتاب مسطورا وانا استغفر الله
مما اودعتها من اباطيل اللغو واضاليل اللهو واسترشد الى ما يعصم
من السهو ويحظي بالعفو انه هو اهل التقوى واهل المغفرة وولي
الخيرات في الدنيا والآخرة

كتبها وذهبها ورقم حواشيها ونظم لآليها
العبد الفقير الى الله تعالى طيلب ابك بصفد المحروسة
في شهور سنة عشرين وسبع مائة للهجرة النبوية
الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد آل الطيبين الطاهرين وسلم

انشد السعودي في آخر شرحه المقامات
فان لم يكن نظم القصايد شيمتي ولا من جدودي يعرب واياد
فقد تسجع الورقا وهي حمامة وقد تنطق الاوتار وهي جماد

بلغت مقابلة وتصحيحا
جهد الطاقة من اولها الى
آخرها فصحت بحمد الله تعالى
في مجالس آخرها خامس عشر
ربيع الآخر سنة احدى عشر

الحمد لله ترجمة كاتب هذه المقامات صلاح الدين الصفدي

خليل ابن ايبك ابن عبد الله الاديب صلاح الدين الصفدي ابو الصفا ولد سنة ست او سبع
وتسعين وستمائة وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها ثم حبب اليه الادب
فولع به وكتب الخط الجيد وذكر عن نفسه ان اباه لم يمكنه من الاشتغال
حتى استوفى عشرين سنة فطلب بنفسه ثم قال الشعر الحسن ثم اكثر جدا من النظم
والنثر والترسل والتواقيع واخذ عن الشهاب محمود وابن سيد الناس وابن نباتة
وابي حيان وغيرهم وسمع بمصر من يونس الدبوسي ومن معه وبدمشق من المزي
وجماعة وطاف مع الطلبة وكتب الطباق ثم اخذ في التاليف فجمع تاريخه الكبير
الذي سماه الوافي بالوفيات في نحو ثلاثين مجلدا على حروف المعجم وافرد منه
اهل عصره في كتاب سماه اعوان النصر واعيان العصر في ست مجلدات وله شرح
لامية العجم كثير الفوائد وله السر الجامع بين المبادي والمراجع مجلد وله رشف الرحيق
اللطائف التنبيه على التشبيه وجر الذيل في وصف الخيل وتوشيع التوشيح وكشف
الحال في وصف الخال وجنان الجناس وغير ذلك واول ما ولي كتابة الدرج
بصفد ثم بالقاهرة وبدمشق كتابة السر بحلب ووقف وبالرحبة وقبة والتوقيع بدمشق
ووكالة بيت المال وكان محببا الى الناس حسن العشرة جميل المودة وكان في الاخر
قد ثقل سمعه وكان قد تصدى للاداب فبلغ وسمع منه ابن حجر الذهبي وابن كثير
وغيرهم قال الذهبي في حقه الاديب البارع الكاتب شارك في الفنون
وتقدم في الانشاء وصنف وجمع وقال انه سمع منه وسمعت منه ولد تذالسف
وكتب عنه وقال في المعجم المختص الامام العالم الاديب البليغ الاكمل طلب
العلم وشارك في الفضائل وساد في الوسائل وقرا الحديث وجمع وصنف
وله تواليف وكتب وبلاغة وقد ترجم له السبكي في الطبقات وقال
وذو الحسبي كان اليه المنتهى في مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم فقال ابن كثير
كتب ما يقارب مائتي مجلد من المجلدات وقال ابن سعد كان من بقايا الرؤساء
الاخيار وقد وجد بخطه كتب بيدي ما يقارب خمسمائة مجلد قال ولعل الذي
كتبه في ديوان الانشاء ضعف ذلك وقال ابن رافع قرا بنفسه
من الحديث وكتب بعض الطباق وقرا الادب على شيخه الشهاب محمود ولازمه
وقرا بنفسه فنون الخط عن التدريس وان شيخه ام وصنف المذاكرة والتذاكر
في الرسم وشرح لامية العجم وغير ذلك وكتب عنه الذهبي من شعره وذكره في معجمه
وانشده عن ابن رافع عدة مقاطيع من نظمه بسهم اتقانه رحابه وقدرت
من هجره وبينهم الا مت فاي سواه فيهم لانه قد تلى بعينه ومات بدمشق
في ليلة عاشر شوال سنة ٧٦٤ انتهى من الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة للحافظ
ابن حجر العسقلاني

